

الجامعة الإسلامية - غـــــــزة

عمــادة الدراســـــــات العليـــا

كليـــــــــــــــــــــــة الآداب

قـــــسم التـــــاريخ والآثـــــار

جهود المسلمين في تحرير أسراهم

من (1هـ / 692هـ) (621م / 1292م)

إعداد الباحثة

مروج حسن داود عسلية

إشراف

الدكتور/ خالد يونس الخالدي

قدم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

1431 هـ - 2010م


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى زوجي العزيز الذي علمني أن العلم سلاح لا ينكسر
وكان لي نعم الزوج والرفيق طوال مسيرة كفاحي إلى أن وصلت إلى هذه الدرجة، فهو المستحق أن أهدي إليه هذه الرسالة وإلى أولادي قرة عيني
وداد وعدي وقصي و رغد وأجوان.

إلى أسرى الحرية القابعين خلف القضبان يعانون سطوة السجان وظلمه، الذين ضحوا بزهرة شبابهم من أجل نصرة دينهم ووطنهم، فهم الأحرار، ونحن السجناء. وإلى أسرهم التي تعاني مرارة حرمانهم لأولادهم منتظرين فرجا من الله يكون قريباً.

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر والعرفان إلى كل من وقف بجانبي وساعدني في إتمام هذه الرسالة وأخص بالذكر

الدكتور/ خالد يونس الخالدي "أبو عبادة"

الذي أشرف على هذه الدراسة، ولم يأل جهداً في مساعدتي فكان نعم الموجه والمعلم

فجزاه الله خير الجزاء.

*** العاملين في مكتبة الجامعة الإسلامية من إداريين وموظفين**

*** العاملين في مكتبة جامعة الأزهر من إداريين وموظفين**

*** العاملين في مكتبة جامعة الأقصى من إداريين وموظفين**

*** العاملين في مكتبة بلدية غزة من إداريين وموظفين**

إلي كل هؤلاء وإلى كل من وقف بجانبي وآزرني وساعدني أتقدم بالشكر والعرفان.

الاختصارات والرموز

ترمز الحرف التالية إلى ما يقابلها أينما وردت في فصول هذه الدراسة:

ص: صفحة

ج: جزء

ع: عدد

مج: مجلد

ت: توفي

هـ: هجري

م: ميلادي

ق: قسم

ط: طبعة

د.ط: دون طبعة

د.ت: دون تاريخ النشر

م.ن: المصدر نفسه

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بذل المسلمون جهوداً عظيمة في تحرير أسراهم، انطلاقاً من تعاليم دينهم الذي زرع في نفوسهم أن المؤمنين إخوة، وأنهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، وأن من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم وأن أجراً عظيماً ينتظر من يبذل روحه أو ماله في تحرير عبدٍ مسلمٍ من الرق أو الأسر وقد شارك في تحرير الأسرى المسلمين الخلفاء والولاة والسلاطين والقادة والجيوش والعلماء والأغنياء والصالحون، وبذل كل منهم ما بوسعه لتحقيق هذا الهدف النبيل، فكم من حربٍ شنت في سبيل تحريرهم، وكم من معاهدة أبرمت من أجلهم، وكم من أموالٍ بذلت لفكاكهم .

ونظراً لأن حركة الجهاد في الدولة الإسلامية لم تتوقف على أيَ الجبهات منذ العهد النبوي، فإن وقوع مسلمين في أسر الأعداء استمر في كل العهود وعلى الجبهات كافة، لكن بقاء الأسرى في يد الأعداء لم يدم طويلاً في معظم الأحيان عكس ما في زماننا، لأنهم وجدوا خلفهم رجالاً مؤمنين عرفوا واجبهم ، وحق إخوانهم الأسرى عليهم ، فبذلوا كل ما في وسعهم لإنقاذهم وفك أسرهم، وهذه الجهود الرائعة – السياسية والعسكرية والشعبية – تستحق أن تسجل، وتظهر مكانة الجندي المسلم وتبين حقه على المسلمين جميعاً، وتحفزهم اليوم حكاماً وقادة وعسكريين وعلماء وحركات على القيام بدورهم في تحرير أسراهم، وخصوصاً الأسرى الفلسطينيين الذين يقبع الآلاف منهم في سجون المحتلين اليهود منذ عشرات السنين، دون أن يسعى لتحريرهم حاكم أو عالم أو جيش .

أولاً: مبررات الدراسة:

هناك أسباب عديدة دفعتني إلى دراسة هذا الموضوع، أهمها:

1- ندرة الدراسات الأكاديمية التي تناولت هذا الموضوع بالرغم من أهميته.

2- احتواء مصادرنا الإسلامية على معلومات غزيرة متناثرة حول الموضوع، وجدت أنها بحاجة إلى جمعه ودراسته دراسة علمية جادة.

3- الجهود التي بذلها المسلمون في سبيل تحرير أسراهم عظيمة تدعو إلى الفخر، وتدل على ترابط أفراد المجتمع المسلم ، وتؤكد مكانة الجندي المسلم عند قادته ومجتمعه، وهي جهود تستحق التقدير، ولا بد من جمعها بين دفتي كتاب علمي، يظهر هذه الصفحة المشرقة من تاريخنا المجيد.

4- إن المسلمين منذ العهد النبوي وطيلة مدة دولتهم قد خاضوا معارك ضارية ضد أعدائهم، حققوا فيها انتصارات رائعة، وسجلوا صفحات مشرقة في الاهتمام بأسراهم، وهي صفحات تستحق التسجيل والفخر لتتربى عليها الأجيال الحاضرة واللاحقة، وتقتدي بها في صراعنا القائم والمستمر مع أعداء الله.

ثانياً: أهداف الدراسة:

1- تحفز الدراسة المسلمين اليوم الذين يقضي أسراهم عشرات السنين في سجون أعدائهم دون أن يتحرك لتحريرهم رؤساء أو ملوك أو قادة أو جيوش أو علماء أو جماهير، للاقتداء بأجدادهم الأوائل الذين كانوا يبذلون الغالي والنفيس والدماء والنفوس في سبيل تحرير أسراهم من ذل الأسر.

2- الرغبة في التعرف على مدى اهتمام المسلمين الأوائل بقضية أسراهم وتحريرهم من أيدي الأعداء، وهل خاضوا حروبا ضارية من أجلهم.

3- تحديد العصور التي لم يوجد فيها أسرى للمسلمين عند الأعداء .

4- التعرف على أساليب تحرير الأسرى من الأسر، في حالة ضعف الدولة الإسلامية وعدم مقدرتها على خوض حروب من أجلهم.

5- للتعرف على مدى اهتمام الحكام بقضية الأسرى وفكاكهم من الأسر دون النظر إلى مكانة الأسير في الدولة، وهل اهتم الحكام بأسرى أهل الذمة والنصارى كما هو الحال مع أسرى المسلمين؟

6- كيفية تعامل العدو مع أسرى المسلمين في حال قوة الدولة الإسلامية ؟ و ضعفها؟

7- لمعرفة هل وجدت الأسيرات المسلمات آذاناً مصغية لاستغاثاتهن من قبل حكام الدولة الإسلامية وشعوبها ؟

8- لمعرفة كيف كانت تتم عملية تبادل الأسرى بين الدولة الإسلامية و الدولة الآسرة، وعلى أي أساس كانت تتم عملية التبادل ...؟

9- معرفة الجهود الشعبية التي بذلت لتحرير أسرى المسلمين من أيدي الأعداء؟ وكيف كانت تلك الجهود؟

10- عقد مقارنة بين جهود حكام المسلمين السياسية والعسكرية في تحرير أسراهم سابقا، وبين موقف حكام المسلمين اليوم من قضية الأسرى!؟

ثالثاً: مشكلات الدراسة :

1- عدم وجود أي دراسة سابقة تناولت هذا الموضوع قديماً أو حديثاً، حيث وجدت الباحثة إغفالاً واضحاً لهذا الموضوع بشكل عام، وهذا من أصعب المشكلات التي واجهتها .

2- تناثر المعلومات في بطون أمهات الكتب من المصادر القديمة فلا تكاد تجد إلا بضعة أسطر في المصدر الواحد .

3- تشعب مصادر المعلومات بخصوص الدراسة، إذ شملت مصادر الأدب والفقه والسير وكتب الرجال واللغة والمعاجم، علاوة على مصادر التاريخ .

4- طول مدة الدراسة التاريخية ومساحتها، حيث شملت العديد من الدول الإسلامية في حقب متتالية أي ما يقارب سبعمائة سنة متواصلة من الجهاد ضد الأعداء .

رابعاً: الدراسات السابقة :

بعد المراجعة والبحث تبين أن الموضوع لم يطرق من قبل ولم تكتب فيه دراسة علمية متخصصة .

خامساً: منهج الدراسة:

التزمت الباحثة في هذه الدراسة بالمنهج العلمي التاريخي التحليلي.

سادساً: هيكلية الدراسة:

جاء البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة .

أما المقدمة فقد تضمنت لمحة موجزة عن الموضوع والأسباب التي دفعت الباحثة لدراسته ، والفصل التمهيدي تناولت فيه التعريف بالأسرى، وحكم تخليص الأسرى المسلمين من الأسر، والجهود العملية المشروعة لتخليص الأسرى.

وأما الفصل الأول فقد تناولت فيه جهود المسلمين السياسية في تحرير أسراهم في العهد النبوي والراشدي و الأموي والعباسي الأول و الثاني والزنكي والأيوبي حتى العهد المملوكي الأول، وقد قسمت الفصول على هذا الأساس إلى خمسة مباحث تضمنت كل دولة وجهودها على حدة، بالإضافة إلى جهود الدويلات المستقلة عن الخلافة العباسية، الحمدانيين و الطولونيين و الإخشيديين و السلاجقة وأخيرا الفاطميين .

وقد بحث الفصل الثاني جهود المسلمين العسكرية في تحرير أسراهم من العهد النبوي حتى العهد المملوكي الأول، وتمت دراسته وفق التقسيمات الواردة في الفصل الأول.

والفصل الثالث تناولت فيه الجهود الشعبية للمسلمين في تحرير الأسرى وقد قسمته إلى ثلاث مباحث كان الأول بعنوان: جهود العلماء المسلمين في تحرير الأسرى، والثاني بعنوان: جهود أثرياء المسلمين في تحرير الأسرى، والثالث بعنوان: جهود النساء في تحرير الأسرى.

وقد انتهى البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصّلت إليها الدراسة، وكذلك التوصيات التي يوصي بها الباحث .

الفصل التمهيدي

نظرة الإسلام إلى تحرير الأسرى

أولاً: التعريف بالأسرى

ثانياً: حكم تخليص أسرى المسلمين

ثالثاً: الجهود العملية المشروعة لتخليص أسرى المسلمين

الفصل التمهيدي

نظرة الإسلام إلى تحرير الأسرى

لما كان بحثي هذا يتناول موضوع الأسرى ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بمعرفتهم، فلا بد لنا من معرفة حقيقة الأسرى من حيث التعريف بهم ومشروعية الأسر، وحكم تخليص أسرى المسلمين من أيدي الكفار.

أولاً: التعريف بالأسرى:

الأسرى لغة: "جمع أسير وهو مأخوذ من الإسار وهو العقد الذي يشدّ به الشيء كالحبل أو السلسلة فيقال أسره يأسره أسراً، أي شده بالإسار لئلا يفلت وسمي كل أخيذٍ أسيراً وإن لم يؤسر"[1] .

ويوصف بلفظ أسير كل من الرجل والمرأة فيقال: رجل أسير وامرأة أسير فيستوي فيه المذكر والمؤنث، ويجمع الأسير على أسارى [2].

ثانياً: حكم تخليص أسرى المسلمين:

اتفق الفقهاء على أن تخليص الأسرى المسلمين من أيدي أعدائهم واجب على المسلمين وعلى هذا الأساس اعتمد الفقهاء في رأيهم على قول النبي ﷺ: "فكوا العاني- يعني الأسير-وأطعموا الجائع، وعودوا المريض"[3] فهو حثٌ صريح على تخليص الأسرى من أيدي أعدائهم.

---

(1) الرازي أبو بكر، محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، تحقيق: محمود خاطر، ط1، 1415هـ ، 1995م ،ج 1، ص7،.

(2) ابن منظور، محمد بن منظور الأفريقي المصري: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، بيروت، ج5، ص76.

(3) الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد سنن الدرامي، 2ج، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1، 1407هـ، تحقيق: فواز أحمد رمزي، خالد السبع العلمي، 28، ص294؛ البخاري، حمد بن إسماعيل أبو عبد الله: صحيح البخاري، 6 ج، دار مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط 3، 1407هـ ، 1987م، ج5، ص2139؛ أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدني :السنن، تحقيق: فخر محي الدين عبد الحميد، 4 ج، دار الفكر، بيروت، ج3، ص187؛ النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي،...: السنن الكبرى، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، 6 ج، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ / 1991م، ط 1، ج4، ص354.

فقال مالك – رضي الله عنه – يجب على المسلمين فداء أسراهم وإن استغرق ذلك أموالهم"[1]، وأكد الإمام الشافعي على ذلك بقوله أنه أنفع وأولى على المسلمين أن يفادوا أسرى كفار بأسرى مشركين، وتخليص الأسير المسلم من يد الأعداء. [2]

فإن تم عن طريق الأسير نفسه سقط الإثم عن جميع المسلمين، وكذلك إذا حصل من الخليفة أو بعض المسلمين سقط الإثم عن باقي المسلمين، وإن لم يحصل بقى المسلمون جميعهم مطالبين بهذا الواجب الديني،[3]انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَـئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ* وَالَّذينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [4]

والآيتان الكريمتان تبينان أنه إذا دعيَّ المؤمنون لنصر إخوانهم المسلمين على الكفار، فيجب على المسلمين نصرهم، ويدخل في ذلك المستضعفون الذين يعيشون بين ظهراني الكفار، والأسرى الذين وقعوا في أيدي أعداء المسلمين.

ثالثاً– الإجراءات العملية المشروعة لتخليص أسرى المسلمين:

إذا كان تخليص أسرى المسلمين من أيدي الأعداء واجباً على سبيل الكفاية، فإن مسئولية تخليصهم تقع على كل من الأسير نفسه والمسلمين كافة و خليفة المسلمين، فما الجهود التي تتبع في سبيل تخليص كل شريحة من الشرائح السابقة؟

أولاً– الإجراءات العملية المشروعة لتخليص الأسير نفسه:

أ– الفرار :

إذا استطاع الأسير المسلم أن ينجو من الأسر بنفسه من الأعداء الحربيين، وأن يفرّ دون مفاداة ولا مِنّاً، فيجب أن يقوم بذلك، لأنهم لا عهد لهم ولا ذمة ولا أمان، ولو أدى الأمر لقتل بعض الأعداء الحربيين[5].

---

(1) المدونة الكبرى ، ج3، ص22

(2) الأم، ج4، ص144، ص177.

(3) شبير: أحكام الأسرى ، ص266.

(4) الأنفال، آية 72.

(5) مجلة الشريعة الدراسات السابقة، ص268.

فقد أقر الرسول ﷺ أبا بصير الصحابي[1] على فراره من أيدي المشركين وقتله بعضهم، فعندما قدم الرسول ﷺ المدينة بعد صلح الحديبية، [2]جاءه أبو بصير مسلماً قد أن فر من قومه، فجاء في أثره رجلان بطلبانه. طبقاً لشروط الصلح بين قريش والمسلمين، فدعا رسول الله ﷺ أبا بصير فقال له: (يا أبا بصير، إن هؤلاء القوم قد صالحونا على ما قد علمت، وإنا لا نغدر، فالحق بقومك) فقال: يا رسول الله، تردني إلى المشركين يفتنوني في ديني؟! فقال رسول الله ﷺ : (اصبر يا أبا بصير واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين من المؤمنين فرجاً ومخرجاً)، [3]فخرج أبو بصير وخرجا معه، وفي الطريق انقض أبو بصير على أحد الرجلين فقتله، وفر الآخر يشتكي لرسول الله ﷺ، ورجع أبو بصير متوشحاً سيفه، فقال: (يا رسول الله وفيت ذمتك وأدى الله عنك، وقد أسلمتني بيد العدو، وقد امتنعت بديني من أن أفتن) [4].

فقال عليه الصلاة والسلام: (اذهب حيث شئت) [5] وهذا يدل على مدى صدق الصحابة وقوة إيمانهم رضوان الله تعالى عليهم، ومدى حفظ المسلمين للعهود والمواثيق التي يقطعونها مع أعدائهم.

وروي أن امرأة من الأنصار تدعى ليلى امرأة أبي ذر[6] سبيت، وكانت ناقته ﷺ قد أخذها الأعداء، فانفلتت المرأة ذات ليلة من الوثاق حتى أتت الناقة، وركبتها، ولم يقدروا على اللحاق بها

---

(1) أبو بصير: هو عتبة بن أسيد بن جارية بن أسيد بن عبد الله بن سلمة بن عبد الله في عوف بن قيس، حليف لبني زهرة، فر من الكفار ونزل بالعيص ولحقه المؤمنون من مكة، وكانوا يقتلون الكفار من قريش، وهم قرابة 70 رجلاً، وعندما أتاه الفرج من رسول الله ﷺ للعودة للمدينة كان في سكرات الموت، توفى ودفنه صاحبه أبا جندل – رضي الله عنهما – وبني على قبره مسجداً. ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج7، ص405؛ خليفة بن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط: تاريخ خليفة، تحقيق: مصطفى نجيب فواز، الدكتورة حكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1415هـ / 1995م، ج7، ص73؛ ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد أبو عمر :الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل بيروت، 1412هـ، 4 ج، ط1، ج2، ص12.

(2) الحديبية: بضم الحاء وفتح الدال وياء ساكنة وياء موحدة مكسورة وياء، قرية ليست بالكبيرة وبمحاذاتها جبل صغير ويقولون أن الحديبية بئر وعندها مسجد الشجرة.ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص229.

(3) أبو داود: السنن، ج3، ص85.

(4) ابن سعد: الطبقات، ج7، ص405؛ خليفة: تاريخ خليفة، ص73؛ الطبري: تاريخ الرسل، ج2، ص23؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج3، ص145.

(5) أبو داود: السنن، ج3، ص85؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج2، ص12

(6) هي ليلى الغفارية زوجة الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري رضي الله عنهما، كانت تخرج مع رسول الله ﷺ في مغازية تداوي الجرحى، وروت عن عائشة رضي الله عنها – فضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه. ابن الأثير: أسد الغابة، ج3، ص411؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج4، ص1910؛ العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل: الإصابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي حمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1412هـ ، 1992م، ج3، ص448.

حتى وصلت المدينة، فرجعت المرأة إلى بيتها والناقة لمالكها. وكانت قد نـذرت لـئن أنجاهـا الله لتذبحن الناقة، لكن رسول الله ﷺ قال لها: (بئسما جازيتها به) [1] وهو بهذا قد أيد هروب الأسـير إن استطاع ذلك.

ب-مفاداة الأسير نفسه بالمال أو العمل:

إذا استطاع الأسير المسلم أن يخلص نفسه ببذل مال أو منفعة، فيجب ذلك وقد صرح ابـن زنجوية: " يجب على الأسير الغني فداء نفسه" [2] فإذا عاهدهم على إطلاق سراحه والرجوع إلـيهم ببذل الفداء فيلزمه الرجوع إليهم للوفاء بما اشترطوه عليه عند الحنابلة [3].
وذهب الشافعي إلى أن هذا الشرط لا يجب عليه و لا يحل؛ لأن في الرجوع إليهم معصية، والعهود التي أعطاها لا شيء عليه فيها، لأنه مكره عليها [4].

وإذا اتفق الأعداء مع الأسرى المسلمين على العمل لديهم مقابل إخلاء سـبيلهم فيجـب أن يوفوا لهم، بشرط أن يكون العمل جائزا شرعاً، أما: أن يساعدوهم في حروبهم ضد المسلمين فهـذا حرام بعينه، أو حتى أن يساعدوهم في حربهم ضد كفار آخرين، فيجوز ذلك إذا علموا منهم الصدق في وعدهم؛ لأنهم بهذا العمل يدفعون الأسر عنهم. [5]

ج-الإفراج عن الأسير مقابل تعهده بالإقامة في دار الحرب:

نص الحنابلة على أنه إذا أطلق سراح الأسير مقابل تعهده بالإقامة في دار الحرب ورضـي بالشرط لزمه الوفاء لهم به ما لم يكن مكرها على ذلك فإن أكره عليه لم يلزمه الوفاء، وجـاز لـه الهرب [6]، ويؤيد ذلك قوله ﷺ (المسلمون عند شروطهم)، [7]وقول المالكية الذين يـرون أن غـدر

---

(1) ابن هشام، أبي حمد عبد الملك بن هشام المعافري : السيرة النبوية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيـل، بيروت، 1975م، ج4، ص283.
(2) ابن زنجوية، أبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله الخرساني: الأموال، تحقيق: شاكر ذيب فياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1406هـ، ج1، ص411.
(3) ابن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني:المسند، 6 ج،مؤسسة قرطبة، مصر، دون طبعة، ج6، ص9.
(4) الشافعي، الأم ، ج4، ص247.
(5) شبير: أحكام الأسرى، ص270
(6) ابن زنجوية: الأموال، ج1، ص411.
(7) أبو داود: السنن، ج3، ص304؛ الترمذي، حمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلم: سنن الترمـذي، تحقيـق: أحمد محمد شاكر وآخرون، 5ج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج3، ص634.

الأسير لمن عاهدوه حرام [1] وذهب الشافعي إلى أن غدر الأسير بأعدائه مباح، فلا يجب الوفاء بالعهود التي أعطاها لهم؛ لأنه مكره عليها [2].

ثانياً: الجهود العملية المشروعة للمسلمين لتخليص أسراهم:

إذا وقع الأسير المسلم في يد أعدائه فهو في ذمة المسلمين جميعاً؛ لأن تخليصه فرض كفاية، فلا يسقط الإثم إلا باستنقاذهم من أيدي الأعداء، ومن الجهود العملية التي ينبغي أن يقوموا بها:

أ. تذكير المسلمين الدائم بالأسرى:

تعد قضية الأسرى المسلمين من القضايا المركزية التي يجب أن تشغل بال المسلمين في حلهم وترحالهم، وفي وحدتهم واجتماعهم، فإن اختلوا بأنفسهم دعوا الله بإنقاذهم، وإن اجتمعوا في صلواتهم دعوا الله في كل صلاة بفك أسرى المسلمين، ومما يؤكد هذا أن قريشاً لما أسرت نفراً من المسلمين ولم يجد الرسول ﷺ حيلة لإنقاذهم كان يدعو الله لإنقاذهم دبر كل صلاة [3].

ب. أن يسهلوا سبيل الهروب للأسير

إذا كان في الدولة الآسرة مسلمون يعملون فيها فيجب عليهم تسهيل سبل الهروب للأسير المسلم؛ بأن يمكنوه من الهروب من موضع احتجازه، كما يجب على المسلمين توفير الحماية له إذا لجأ إليهم وهو هارب ومطلوب من الدولة الآسرة، فلا يجوز تسليمه إلى تلك الدولة، كما لا يجوز أن يدلوا عليه [4] لقوله ﷺ : (المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة) [5].

ج. أن يسهموا في فدائه بالمال:

من الأصول المعمول بها أن الدولة المسلمة تتكفل بتقديم المال لمفاداة أسرى المسلمين، فإن لم يكن في بيت مال المسلمين ما يكفي لذلك وجب على المسلمين أن يقدموا المال اللازم لمفاداة

---

(1) مالك بن أنس: موطأ مالك، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، 2ج، دار إحياء التراث العربي، مصر، ج2، ص756.

(2) الشافعي، الأم ، ج4، ص247.

(3) ابن هشام: السيرة النبوية، ج1، ص474

(4) الشافعي: الأم ،ج 4، ص192.

(5) مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري: صحيح مسلم، 5 ج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي1996م، ج4،ص1262،؛ الترمذي: سنن الترمذي، ج4، ص325؛ البخاري، التاريخ الكبير، ج4، ص140.

الأسرى، ولو أدى ذلك إلى دفع جميع أموالهم [1]. لقول الإمام مالك: "يجب على كافة المسلمين فداء أسراهم، وإن استغرق ذلك أموالهم"[2]

ثالثاً : الإجراءات العملية المشروعة للدولة لتخليص أسرى المسلمين:

إذا كان المسلمون يقومون بالدور الأهلي لتخليص الأسرى فإن الدولة تقوم بالدور الرسمي، وهي تملك من الإمكانات ما تفوق إمكانات المؤسسات الأهلية لتخليص الأسرى وتفوق أيضاً إمكانات الأسير، وفيما يلي بيان للإجراءات التي شرعها الإسلام للدولة من أجل تحرير الأسرى:

أ. إعلان الحرب على الدولة الآسرة:

إن الدولة الإسلامية هي الجهة الوحيدة في الأمة الإسلامية التي تعلن الحرب على الأعداء الحربيين إذا كان في أيدي المسلمين قوة تمكنهم من تحقيق الانتصار على الأعداء، فيجب على الدولة المسلمة إعلان الحرب بقصد استنقاذ أسرى المسلمين، إذا لم تفلح الوسائل السلمية في ذلك [3]. ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا ﴾[4] فالآية توجب القتال لاستنقاذ المستضعفين والمراد بهم من كان في مكة من المؤمنين تحت إذلال كفرة قريش وإيذائهم لا يستطيعون خروجاً وهم الأسرى المسلمون في حواضر الشرك[5].

ب. المبادلة بأسرى الكافرين:

إذا كان لدى الدولة الإسلامية أسرى للدولة الآسرة فيجب على الدولة الإسلامية مبادلتهم بأسرى المسلمين عند الشافعي الذي نص على جواز تأخير صدور قرار مصير الأسرى لهذا الغرض[6].

---

(1) ابن زنجوية: الأموال، ج1، ص411، ابن العربي: أحكام القرآن، ج4، ص313.

(2) مالك: المدونة الكبرى، ج3، ص16؛ ابن العربي، أحكام القرآن، ج1، ص107.

(3) شبير: أحكام الأسرى، ص271 – 272.

(4) النساء، آية 75.

(5) شبير: أحكام الأسرى، ص273 .

(6) الشافعي: الأم، ج4، ص192 ، ص247

أما إذا لم يكن لدى المسلمين أسرى تابعون للدولة الأسرة فعلى الدولة الإسلامية خطف بعض أفراد تلك الدولة الكافرة كرهائن لمبادلتهم بأسرى مسلمين[1] وذلك ماقام به الرسول ﷺ يوم صلح الحديبية حينما أسر مجموعة من فرسان قريش جاءوا للتجسس على المؤمنين، مقابل إطلاق سراح عثمان بن عفان رضي الله عنه [2].

ج. مفاداة أسرى المسلمين بالمال:

يجب على الدولة مفاداة أسرى المسلمين من بيت مال المسلمين ومن مال الفيء، فعن حيان ابن أبي جبلة[3] قال أن رسول الله ﷺ قال: " إن على المسلمين في فيئهم أن يفادوا أسيرهم، ويؤدوا عن غارمهم"[4].

وسئل الحسن بن علي رضي الله عنه على من فداء الأسير؟ قال: " على الأرض التي يقاتل عنها"[5].

أما مال الزكاة فقد اختلف الفقهاء في جواز فداء الأسرى منه، فذهب الحنابلة والمالكية إلى قول عدم جواز فداء الأسرى من الزكاة [6] لأن الرقاب في آية مصارف الزكاة كالتالي: قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[7] تنصرف إلى العبيد دون غيرهم.

---

(1) شبير: أحكام الأسرى، ص273 .

(2) الطبري: تاريخ الرسل، ج2، ص224، اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر العباس: تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، د.ط، ج2، ص63.

(3) حيان بن جبلة وقيل حيان بن أبي جبلة القرشي مولي لبني عبد الدار، وقيل مولى بن حسنة، حدث عنه عمرو بن العاص وابنه عبد الله وابن عباس، توفي سنة (22هـ = 740م). ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج4، ص260؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقوس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 9، 1413هـ = 1999م، ج1، ص369.

(4) الخرساني، أبو عثمان سعيد بن منصور: كتاب السنن، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الدار السلفية، الهند، ط 1، ج2، ص341.

(5) الشافعي: الأم، ج4، ص247؛ ابن قدامة: المغني، ج9، ص253.

(6) مالك: المدونة، 16 جزء، بيروت، دون طبعة ، ج3، ص22.

(7) التوبة: آية 60

في حين ذهب الشافعية إلى جواز فداء الأسرى من الزكاة، لأن فك رقبة من الأسر، أشـــبه بإعانة العبد، ولأن الحاجة داعية إليه، لأنه يخاف عليه من القتل، هو الراجح[1] لأن الأســـر ســـبيل للاسترقاق والذل والهوان وإهدار كرامة الإنسان، ولأن الرق زال في هذا الوقت فلم يبق في ســـهم الرقاب إلا فداء الأسرى[2].

---

(1) ابن حنبل: المسند، ج6، ص9

(2) خربوطلي، شكران: الأسرى ومعاملتهم من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر النبوي، مجلة دراسات تاريخية، العددان 89، 90،آذار، مجلد4، 2005م، ص39..

الفصل الأول

جهود المسلمين السياسية في تحرير أسراهم

المبحث الأول: جهود المسلمين السياسية في تحرير أسراهم فـــي العهــدين النبــوي والراشدي

المبحث الثاني: جهود المسلمين السياسية في تحرير أسراهم في العهــدين الأمــوي والعباسي الأول

المبحث الثالث: جهود المسلمين السياسية في تحرير أسراهم في العهد العباسي الثاني وحتى بداية الاحتلال الصليبي لبلاد الشام

المبحث الرابع: جهود المسلمين السياسية في تحرير أسراهم في العهــدين الزنكـــي والأيوبي

المبحث الخامس: جهود المسلمين السياسية في تحرير أسراهم في العهد المملوكي

المبحث الأول

جهود المسلمين السياسية في تحرير أسراهم في العهدين النبوي و الراشدي

أولاً: العهد النبوي:

1. جهود المسلمين السياسية في تحرير الأسرى قبل الهجرة للمدينة:

اهتم المسلمون منذ بداية البعثة النبوية بتحرير إخوانهم من ظلم العبودية ومن رق العذاب، فعندما شرع النبي محمد ﷺ في تبليغ الدعوة إلى الله، واتبعه قلةٌ قليلة بادئ الأمر في مكة، واجه هؤلاء القلة العذاب من كبار قريش، حيث ثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين فعذبوهم وحبسوهم وأذاقوهم شتى أنواع القهر من الجوع والعطش والضرب وصلبهم في رمضاء مكة إذا اشتد الحر، حتى يفتنوهم عن دينهم، فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذي يصيبهم،[1]فقد قيل لعبد الله بن عباس[2] رضي الله عنه: (أكان المشركون يبلغون في أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم؟ قال: نعم والله! إن كانوا ليضربون أحدهم ويؤلمونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالساً من شدة الضر الذي به، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة، حتى يقال له: اللات والعزى إلاهان من دون الله؟ فيقول: نعم! افتداءً منهم بما يبلغون من جهدهم)، [3] وفي مثل هذا أنزل الله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [4]

إن احتجاز المسلمين وتعرض العبيد المسلمين للسجن والتعذيب عقاباً لهم على إسلامهم، ومحاولة من كفار قريش على حملهم على التخلي عن دينهم، يجعل هؤلاء العبيد في حكم الأسرى.

---

(1) ابن كثير: البداية والنهاية، ج1، ص492؛ السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد :الروض الآنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1421 هـ = 200م، ج2، ص83؛ ابن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار، الكويت، ط 1، 1399هـ - 1979م ، ج5، ص95.

(2) ولد عبد الله بن عباس في الشعب قبل خروجه بني هاشم منه، كان عمره 13 سنة عند وفاة الرسول ﷺ وهو حبر الأمة، ودعا له الرسول فقال: (اللهم علمه الحكمة وتأويل القرآن). مات وهو في السبعين، ودفن بالطائف سنة (68 هـ = 687م) وصلى عليه عبد الله بن الزبير بن العوام رضي الله عنهما. وابن سعد: الطبقات، ج2، ص367، 365؛ التميمي، محمد بن حيان بن أحمد بن أبو حاتم البستي: مشاهير علماء الأنصار، تحقيق: م، فلا يشهر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1959م، ج1، ص28.

(3) ابن كثير: السيرة النبوية، ج1، ص497.

(4) النحل، آية 106.

وكان الرسول ﷺ يرى ذلك ولا يقدر على عمل شيء غير الدعاء لهم وتصبيرهم، وهذا ما حدث عندما كان بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر [(1)] وأبيه وأمه، وكانوا أهل بيت إسلام، إذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة، فيمر بهم رسول الله ﷺ فيقول: (صبراً آل ياسر موعدكم الجنة)، [(2)] وفي رواية أخرى: (أبشروا آل عمار وآل ياسر، فإن موعدكم الجنة) [(3)] وكانت أم عمار سمية، أول شهيدة في الإسلام طعنها أبو جهل بحربة في قلبها [(4)].

إن من بشره رسول الله ﷺ بهذه البشارة، لجدير به أن يصبر على ما لاقاه من العذاب، حتى ولو أدى ذلك إلى قتله.

كذلك كان الرسول ﷺ يذكرهم بالمؤمنين من قبلهم، وكيف صبروا على الأذى بالرغم من تعرضهم لعذاب أشد [(5)].

ومن ذلك ما يروى عن الخباب بن الأرت [(6)] رضي الله عنه – قال :(شكونا إلى رسول الله الرمضاء فلم يشكنا، وسألناه أن يدعو الله على المشركين أو يستنصره عليهم،_ فوعدهم ذلك ولم ينجزه لهم في الحالة الراهنة_، وأخبرهم عن من كان قبلهم أنهم كانوا يلقون من العذاب ما هو أشد مما أصابهم[(7)] ، حتى إن أحدهم ليمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم أو عصب، ويوضع

---

(1) عمار بن ياسر كفانة بن قيس بن الحصين بن ثور بن عنبس، كان من أهل بدر وبعثه عمر بن الخطاب رضي الله عنه أميراً على الكوفة سنة (21هـ = 642م) وهو من نجباء الصحابة، شهد صفين مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه – قاتل حتى قتل سنة (36هـ = 656م) وعمره 70 سنة، الأصفهاني، أبي نعيم أحمد بن عبد الله: حلية الأولياء، دار الكتاب العربي، بيروت، ط4، 1405هـ، ح6، ص139-140 ؛الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج1، ص139.

(2) النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم: المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، 4ج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1411هـ – 1990م ، ج3، ص432.

(3) الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني: المعجم الكبير، 20 ج، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط 2، 1407هـ – 1983م ، ج4، ص303؛ المزي، يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي: تهذيب الكمال، 35 ج، مؤسسة الرسالة، بيروت، تحقيق: بشار عواد معروف ، ط 1، 1400هـ = 1980م، ج21، ص216.

(4) ابن هشام: السيرة النبوية، ج2، ص162؛ ابن عبد البر – الاستيعابة ج2، ص.103

(5) الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ج2، ص324.

(6) خباب بن الأرت: حليف بني زهرة، بن سعد بن خزيمة بن كعب بن مناة بن تيم، عمل بصناعة السيوف، فأصيب بسباء فاشترته أم أنمار الخزاعية وعذبته عندما أسلم، نزل الكوفة ومات بها سنة (37 هـ = 657م) وصلى عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعمره 63 سنة. ابن سعد: الطبقات، ج3، ص164 – 165 الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج2، ص332.

(7) أبو الحسين، محمد بن يصلي أبو الحسين: طبقات الحنابلة، تحقيق: محمد حامد الفقي، 2ج، دار المعرفة، بيروت، د.ط ، ج1، ص17، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج11، ص202.

المنشار على مفرق رأسه فيشقّ نصفين ما يصرفه ذلك عن دينه، وأكمل... وليتمن الله هذا الأمـــر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله عز وجل ولكنكم تستعجلون) [1].

وهذا يوضح لنا كيف عامل الرسول ﷺ أصحابه بالحكمة والصبر وأن ما عانوه ما هـــو إلا جزء من معاناة من كانوا قبلهم، ورغم ذلك صبروا على ما لاقوة من الأذى ولم يرتدوا عن ديـــنهم، ثم بشرهم أن الله سينصر دينه حتى ولو كره المشركون، وأن الأرض سيورثها لعبـــاده الـــصالحين ولكنهم يستعجلون.

كذلك شجع النبي ﷺ الصحابة من ذوي المال والنسب على إعتاق من يستطيعون عتقه مـــن رقاب العبيد المسلمين والضعاف فيهم، وتخليصهم من العذاب، وحثهم على ذلك من خلال قولـــهﷺ: (أيما امرؤ أعتق امرأً مسلماً كان فكاكه من النار يجزئ كل عضو منه عضواً منه) [2].

ولهذا وجدنا الصحابة _ رضوان الله عليهم_ يسارعون بأموالهم لعتق رقاب المسلمين مـــن أسر العبودية وظلم العذاب، فقد كان أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – إذا مر بأحد مـــن العبيـــد يعذب اشتراه منهم وأعتقه [3] ومنهم بلال بن رباح [4]، الذي كان مولى لأمية بن خلف. فقد كان أمية يخرج به إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثـــم يـــأمر بالـــصخرة العظيمـــة فتوضع على صدره ثم يقول له: (لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد الـــلات والعـــزى)

---

(1) أبو داود: السنن، ج3، ص47، النسائي: السنن الكبرى، دار الكتب العلميـــة، بيـــروت، ط 1، 1411هـــــ – 1991م ، ج3، ص450.

(2) ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني : سنن ابن ماجه ، 2ج، تحقيق: محمد فؤاد عبـــد البـــاقي، دار الفكر، بيروت، ج2، ص43؛ الترمذي: سنن الترمذي، ج4، ص114؛ النسائي، المجتبي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط 2، 1406هـــ / 1986م ، ج6، ص26.

(3) ابن قيم الجوزية: زاد المعاد ، ج1، ص153.

(4) بلال بن رباح الحبشي – رضي الله عنه – مؤذن الرسول ﷺ اسم أمه حمامة، كان صـــادق الإســـلام، طـــاهر القلب، لزم النبي ﷺ وشهد معه جميع المشاهد، آخى النبي بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح رضـــي الله عنهمـــا، خرج مجاهداً إلى الشام في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. أبو الحسين، عبد البـــاقي بـــن قـــاقع أبـــو الحسين: معجم الصحابة، تحقيق: صلاح سلام المصرائي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنـــورة، 3 ج، ط 1، ج1، ص78؛ التميمي: مشاهير علماء الأمصار، ج1، ص50؛ الربعي، محمد بن عبد الله بن أحمد بن ســـليمان بن زيد الربعي، مولد العلماء ووفياتهم، تحقيق: عبد الله أحمد سليمان الحمـــد،دار العاصـــمة، الريـــاض، ط 2، 1410هـــ ،2ج، ج1، ص105؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان،ج 3، ص70؛ العسقلاني، أحمد بن علي بن حجـــر أبو الفضل العسقلاني : الإصابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجبل، بيـــروت، ط 1، 1412هـــ ، 1992م ، ج1 ، ص326.

فيقول وهو في ذلك البلاء: (أَحدٌ أَحد) [1]، فيمر عليه أبو بكر ﷺ وهو يُعذَّبُ، فيقــول لأميــة بــن خلف: (ألا تتقي الله بهذا المسكين؟ حتى متى؟) قال: (أنت الذي أفسدته! فأنقذه مما ترى)، فقال أبو بكر ﷺ (أفعلُ عندي غلامٌ أسودُ أجلدُ منه وأقوى على دينك، أعطيكه به، قال، قبلت، فقــال: هــو لك) [2].ثم أعتق قبل أن يهاجر إلى المدينة ستة رقاب من رقاب المسلمين بلال سابعهم [3].

ومنهم أيضاً عامر بن فهيرة [4]، وأم عميس [5] وزنيرة [6] التي أصــيب بــصرها. فقالــت قريش: ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى، فقالت: كذبوا ورب البيــت، والله مــا تــضر الــلات والعزى وما تنقصان، فرد الله بصرها [7] وأعتق النهدية [8] وابنتيها: اشتراهما من بني عبد الــدار، بعثتهما سيدتهما تطحنان لها، فسمعها وهي تقول لهما: والله لا أعتقكما أبداً ، فقال أبو بكر ﷺ– حل يا أم فلان – فقالت حل، أنت أفسدتهما فأعتقهما! قال: فبكم هما؟ قالت: بكذا وكذا قال: قد أخــذتهما، وهما حرتان، أرجعا إليها طحينها، قالتا: أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نــرده إليهــا، قــال: ذلــك إن شئتما[9].

واشترى جارية بني مؤمل، قبيلة عدي بن كعب، وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يضربها قبل الإسلام حتى إذا مل منها قال: (إني أعتذر إليك لم أترك تعذيبك إلا ملالة، فتقول: كذلك فعــل الله بك) [10]، فابتاعها أبو بكر فأعتقها[11]

---

(1) الطبري: الرياض النضرة في مناقب العشرة، تحقيق: عيسى بن عبد الله بــن مــانع الحميــري، دار المغــرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2ج، 1996م، ج2، ص23؛ أبي الحسن: معجم الصحابة، ج1، ص78.

(2) الأصفهاني، حلية الأولياء، ج1، ص147؛ ابن كثير، البداية والنهايــة، ج3، ص57؛ الــسيرة النبويــة، ج1، ص495؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج1، ص347.

(3) السهيلي: الروض الأنف، ج2، ص83.

(4) عامر بن فهيرة، شهد بدراً وأحد واستشهد يوم بئر معونة، من الأزد، وهو للطفيل بن عبد الله بن سخيرة اشتراه أبو بكر رضي الله عنه ثم أعتقه، ممن عذب في الإسلام وأحد السابقين الأوائل إليه. ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج3، ص230، 331؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج2، ص290.

(5) أم عميس بنت مسلمة الأنصاري أخت حمد بن سلمة، كانت امرأة رافع بن خديج، ونزلت فيها آية {وَإِنِ امْــرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا } النساء آية (128)، وهي أول المبايعات للرسول ﷺ. العسقلاني: الإصابة، ج4، ص111.

(6) زنيرة: هي واحدة من السبعة الذين عذبوا، وهي من أصول رومية، كانت مولاة لبني عبد الدار. ابــن ســعد: الطبقات الكبرى، ج8، ص256.

(7) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج8، ص256؛ العسقلاني: الإصابة، ج3، ص493.

(8) أم عفيف: هي أم عفيف بنت حبيب كعيب بن الثقفي، أمها أميمة بنت رقيقة بن الحارث: ابن ســعد: الطبقــات الكبرى، ج8، ص256؛ العسقلاني، الإصابة، ج4، ص108.

(9) ابن كثير: السيرة النبوية، ج1، ص493.

(10) م.ن، ج1، ص493.

(11) السهيلي: الروض الآنف، ج2، ص86.

وقد عاتبه والده أبو قحافة[1] في عتقه رقاباً ضعافاً بقوله: (لو أنك أعتقت رجالاً جلداً يمنعونك ويقومون دونك؟ فيرد عليه أبو بكر ﷺ(يا أبت إنما أريد ما أريد لله عز وجل) [2]

فنزلت فيه الآيات الكريمات من سورة الليل ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى* وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى* وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى* وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى* إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى* وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى* فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى* لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى* الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى* وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى* الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى* وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى* إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى* وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ [3]

مما سبق يتضح أن جهود المسلمين في تحرير أسراهم كانت قبل أن يفرض الجهاد، في عتق رقاب المسلمين، لأنهم اعتبروا أسرى في أيدي الأعداء يعذبونهم ويذيقونهم ألوان العذاب، وما يهتم به المسلمون هو سلامة المسلمين جميعاً من أي أذى أو قتل يضرّ بهم ثم أتت مرحلة ما بعد الهجرة إلى المدينة وقيام دولة إسلامية.

2ـ جهود المسلمين السياسية في تحرير الأسرى بعد الهجرة إلى المدينة:

لم يتناول القرآن الكريم شؤون الأسرى في العهد المكي من البعثة، لأن الجهاد لم يكن قد شرع بعد، فيكون للمسلمين أسرى يتعاملون معهم، ولكن عندما شرع الجهاد في المدينة، بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش بن رئاب الأسدي [4] في رجب قبل بدر الأولى، وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد وكتب له كتاباً وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه، فيمضي بما أمر به، ولا يستكره من أصحابه أحدا، وبعد يومين من سير عبد

---

(1) أبو قحافة: عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد تيم بن مرة، أسلم يوم الفتح وعاش مدة خلافة ابنه، وتوفي في خلافة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه سنة (14 هـ= 635م) وعمره 97 سنة، وعاشر آخر أيامه كفيفاً. الطبري: الرياض النضرة، ج1، ص395؛ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، 1371هـ - 1952م ج1، ص86.

(2) ابن كثير: السيرة النبوية، ج1، ص493؛ البداية والنهاية، ج3، ص58؛ ابن قيم الجوزية: زاد المعاد، ج3، ص20؛ السهيلي: الروض الآنف، ج3، ص83.

(3) الليل، آية (5- 21).

(4) عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبره بن مرة بن كبير بن أسد، هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية ثم إلى المدينة، وكان من أمراء السرايا، وهو أخو زينب أم المؤمنين زوج الرسول ﷺ، استشهد يوم أحد، ودفن هو وحمزة في قبر واحد رضي الله عنه، وحمزة يكون خاله، وعمره 40 سنة، وهو رجل ليس طويلا ولا قصيرا كثير الشعر. ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج3، ص89-90؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج1، ص149؛ أبو محمد الرازي، عبد الرحمن بن حاتم حمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي: الجرح والتعديل، 9ج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1271 هـ 1952م ، ط1، ج5، ص22؛ الزركلي: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي: الأعلام، دار العلم للملايين، ط 15، 2002م ، 48، ص76.

الله بن جحش فتح الكتاب فنظر فيه فإذا فيه: " إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف، فترصد بها قريشاً، وتعلم لنا من أخبارها [1]، فلما نظر عبد الله بن جحش قال: سمعاً وطاعة، ثم قال لأصحابه: قد أمرني رسول الله ﷺ أن أمضي إلى نخلة أرصد بها قريشاً حتى آتيه منهم بخبر، وقد نهاني أن أستكره أحداً منكم، فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق، ومن كره ذلك فليرجع، أما أنا فماض لأمر رسول الله ﷺ فمضى ومضى معه أصحابه ولم يتخلف منهم أحد [2].

وسلك الحجاز حتى إذا كان بالقرب من حران أضل سعد بن أبي وقاص[3] وعتبة بن غزوان [4] بعيراً لهما كانا يتعقبانه فتخلفا عنه في طلبه، ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل نخلة، فمرت بهم قافلة لقريش تحمل زبيباً وتجارة من تجارة قريش فيها عمرو بن الحضرمي [5] فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريباً منهم فأشرف لهم عكاشة بن محصن [6] وكان قد حلق رأسه، فلما رأوه آمنوا وقالوا: عُمَّارٌ لا بأس عليكم منهم، وتشاور القوم فيهم وذلك في آخر يوم من رجب، فقال القوم: والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم، فليمتنعن منكم به، ولئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام، فتردد القوم وهابوا الإقدام عليهم ثم شجعوا أنفسهم وأجمعوا على قتل من يقدرون عليه منهم وأخذ ما معهم، فرمى واقد بن عبد الله التميمي [7] عمرو بن

---

(1) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص10؛ الأصفهاني: حلية الأولياء، ج4، ص4316؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج1، ص152.

(2) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص10؛ خليفة: تاريخ خليفة، ج1، ص63 – 64.

(3) سعد بن أبي وقاص بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري يكنى أبي إسحاق كان سابع من أسلم، شهد بدراً والحديبية وكان مستجاب الدعوة، توفي بالبقيع، وصلى عليه مروان بن الحكم سنة (55 هـ = 675م) وعمره 70 سنة. ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص10.

(4) عتبة بن غزوان بن الحارث بن جابر بن وهب بن عوف المازني حليف بني نوفل بن عبد مناف يكنى أبي عبد الله، هاجر إلى الحبشة وشهد المشاهد كلها، توفي بالربذة سنة (17 هـ = 638م) وعمره 57 سنة. العسقلاني: الإصابة، ج2، ص233؛ الذهبي: العبر، ج1، ص287.

(5) عمرو بن الحضرمي أول قتيل من المشركين قتله مسلم وكان ماله أول مال يخمس. ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص10، العسقلاني: الإصابة، ج2، ص287.

(6) عكاشة بن محصن بن حرثان بن قيس بن مرة بن أسد بن خزيمة له صحبة من فضلاء الصحابة شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ توفي في خلافة أبي بكر رضي الله عنهما قتله خويلد الأسدي في بزاخة سنة (12هـ =633م) وعمره 44 سنة، وكان أجمل الرجال ويكنى أبو محصن. ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج3، ص92؛ العسقلاني: الإصابة، ج2، ص261؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج1، ص307.

(7) واقد بن عبد الله التميمي الحنضلي، من ولد يربوع بن مالك بن عبد مناف كان حليفاً للخطاب بن نوفل، أسلم قبل دخول الرسول ﷺ دار الأرقم، أخي بينه وبين بشر بن براء بن معرور، أول قاتل في الإسلام، شهد المشاهد كلها مع الرسول ﷺ توفي أول خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما. ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج3، ص39؛ العسقلاني: الإصابة، ج3، ص239؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج1، ص491.

الحضرمي بسهم فقتله، واستأسر عثمان ابن عبد الله [1] والحكم بن كيسان [2]، وأفلت من القوم نوفل ابن عبد الله [3] فأعجزهم، وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعير والأسيرين، حتى قدموا المدينة على رسول الله ﷺ [4] فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال: "ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام" [5] فأوقف العير والأسيرين، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً، فلما قال ذلك رسول الله ﷺ سقط في أيدي القوم وظنوا أنهم قد هلكوا، وعنفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا [6]. وقالت قريش قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الأموال وأسروا فيه الرجال [7].

وقالت اليهود ساخرة بذلك على رسول الله ﷺ عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله: عمرو عمرت الحرب، والحضرمي حضرت الحرب وواقد بن عبد الله وقدت الحرب. فجعل الله ذلك عليهم لا لهم [8].

فلما نزل القرآن الكريم بهذا الأمر [9] وفرجَّ الله تعالى عن المسلمين ما كانوا فيه من القلق قبض الرسول ﷺ العير والأسيرين، وبعثت إليه قريش في فداء عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان[10] فقال الرسول ﷺ (لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا – يعني سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان– فإنا نخشاكم عليهما فإن تقتلوهما نقتل صاحبيكم) [11]

---

(1) أطلق سراحه الرسول ﷺ ومات كافراً بمكة، ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2 ، ص11.

(2) الحكم بن كيسان مولى بني هشام بن المغيرة المخزومي أسره المقداد في سرية عبد الله بن جحش – رضي الله عنهما – أسلم وحسن إسلامه استشهد يوم بئر معونة مع عامر بن فهيرة رحمهما الله. ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج4، ص137؛ العسقلاني: الإصابة، ج1، ص238؛ ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج1، ص104.

(3) هو نوفل بن عبد الله بن المغيرة قتله الزبير بن العوام فشقه اثنين في معركة الخندق سنة (5هـ = 626م). ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص68.

(4) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص410؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج1، ص105.

(5) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص12.

(6) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص15؛ ابن الجوزي، أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 6، 1412هـ – 1992م، ج3، ص91.

(7) ابن كثير: البداية والنهاية، ج3، ص252؛ ابن الجوزي : المنتظم، ج3، ص92.

(8) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص16.

(9) قال تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ...} (217) سورة البقرة، وبنزولها أزالت عن المسلمين الكثير من الخوف والرهبة من الله تعالى لما فعلوه، ولكن فعلتهم كبيرة والأكبر خروجهم من ديارهم والعذاب الذي لا قوة على أيدي كفار قريش أكبر عند الله من القتل في الشهر الحرام. ابن الجوزي: المنتظم، ج3، ص92.

(10) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص17.

(11) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص11.

وهذا الأمر يعدُّ نقطة تحول في شأن الأسرى، فقد خاف الرسولﷺ من قريش على صاحبيه وهددهم بالأسيرين اللذين عنده، إما بالتبادل أو قتلهما إن قتلوا صاحبيه، وكان هذا أول مثال يقوم فيه الرسول ﷺ بتحرير أسراه ومبادلتهم بأسرى كفار، وفدائهم.

وبعد قدوم سعد وعتبة رضوان الله عليهم، فدى الرسول ﷺ الأسيرين بأربعين أوقية فضة لكل واحد منهم [1].

خاض المسلمون كثيراً من الغزوات والمعارك والحروب بعد تشريع الجهاد [2]، وكان ﷺ إذا بعث بعثاً قال: (تألفوا الناس وتأنوا بهم، ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم، فما على الأرض من أهل بيت مدر ولا وبر إلا تأتوني بهم مسلمين، أحب إلى من أن تأتوني بأبنائهم ونسائهم وتقتلوا رجالهم) [3]

فكانت غايةُ الحروب نشرُ الإسلام في شتى بقاع الأرض وكرِه الرسولُ الأسر للأعداء وأحب أن يأتوه مسلمين على أن يأتوه أسرى حرب.

وكانت أولُ نواةٍ لتكوين الأحكام المتعلقةِ بالأسير في الفقه الإسلامي في أسرى معركة بدر الكبرى لأنهم، أسروا في الحرب بعدد كبير لم يألفه المسلمون، فقد قيل إن عدد من قتل من المشركين أربعمائة وسبعون رجلاً ومثلُهم أسرى أو أقلَّ من ذلك أو أكثر بقليل. [4]

لذا اختلف الصحابة فيما بينهم، وأثيرتْ نقطةُ جدلٍ. فمن قائلٍ بقتلهم [5]، وآخر بالفدية أو المنّ [6] وأمامَ كثرةِ الآراءِ كان الرسول ﷺ يقتلُ بعضَ الأسرى صبْراً لشدةِ أذيَّتهِم، وأكثرهُم افتدى

---

(1) ابن كثير: البداية والنهاية، ج3، ص248، العسقلاني: الإصابة في معرفة الصحابة، ج4، ص36، الواقدي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد: المغازي: تحقيق: مارسدن جونس، بيروت، عالم الكتب، ج1، ص17.

(2) أول آية نزلت في فرض الجهاد: " {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ} الحج (40) ثم فرض الجهاد في السنة الثانية للهجرة، حين أوجبه بقوله تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} (البقرة: 216) السيد سابق: فقه السنة، مكتبة دار التراث، القاهرة، مجلد 3، ص29.

(3) ابن هشام: السيرة النبوية، ج2، ص252

(4) ن.م، ج2، ص372؛ البلاذري: أنساب الإشراف، تحقيق: سهيل زكار الزركلي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط 7، 1417هـ ، 1996م، ج1، ص301؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج3، ص365؛ الأصفهاني: حلية الأولياء، ج1 ، ص43.

(5) أشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الرسول ﷺ بقتل الأسرى فقال له: "يا رسول الله كذبوك وأخرجوك فدمرهم وأضرب أعناقهم) وقد أيده الله تعالى في ذلك. الطبري: الرياض النضرة، ج1، ص314؛ الأصفهاني، حلية الأولياء، ج1، ص43.

(6) أما أبو بكر – رضي الله عنه – فقد أشار على رسول الله أن لايقتلهم ليفيد المسلمون من مالهم، ولأنهم أهل رسول الله ﷺ . الأصفهاني: حلية الأولياء، ج1، ص43.

بالمال من أربعة آلاف درهم إلى ألف درهم، ومنهم من افتدى بإطلاق من أسر عند قريش من المسلمين ومنهم من مُنَّ عليه دون فداء لمصلحة، ومنهم من افتدى بتعليم الصبيان القراءة والكتابة[1] وذكر ابن سعد: " فمن لم يكن له فداء دفع إليه عشرة غلمان من غلمان المدينة فعلمهم، فإذا حذقوا فهو فداؤه، فكان زيد بن ثابت ممن عُلِّمْ"[2].

فنزل القرآن الكريم يحمل للنبي ﷺ وأصحابه قولاً في رأي بعضٍ منهم، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ[3] فِي الأَرْضِ﴾ [4]

وأوصى قوله تعالى حتى يثخن النبي ﷺ في الأرض أي حتى يبالغ في قتل المشركين فيها، ويقهرهم غلبة وقسراً حتى يتمكن منهم. [5]

وتلتها الآية ﴿فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [6]

وبهذا أصبح النبي مخيراً بين الفداء والمن بعد انتهاء الحرب تبعاً للمصلحة، ولم يتهاونْ مع عمه العباس وابني عمه عقيل ونوفل، ورفض تركهما دون فداء، فأخذ منهم أربعين أوقية ذهب في كل واحدٍ منهم[7]، وعد فداءهم أكثر الأسرى فداءً يوم بدر، لكن النبي ﷺ كان رحيماً بعمه العباس فحينما سمع أنينه بات ساهراً أول الليل، فقيل له: (يا رسول الله، مالك لا تنام؟ قال: سمعت أنين عمي العباس في وثاقه).[8] فقام رجل من القوم وأرخى وثاقه شيئاً. فقال له: (فافعل ذلك بالأسرى كلهم).[9] فلم ينس ﷺ الأسرى الباقين، فهو رحيم على أمته عليه الصلاة والسلام، وعندما فرق

(1) الطبري: الرياض النضرة، ج2، ص315؛ أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ج1، ص43؛ الصلابي، علي محمد: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ودروس وعبر، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط1، 1424هـ / 2003م، ص67- 68.

(2) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص25-26.

(3) هو المبالغة في قتل الأعداء حتى يتمكن في الأرض ابن منظور: لسان العرب، ج13، ص77.

(4) الأنفال: آية 67.

(5) الطبري: تفسير الطبري، 30 ج، دار الفكر، بيروت، 1405، ج10، ص42؛ القرطبي، تفسير القرطبي، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، 20 ج، دار الشعب، القاهرة، ط2، 1372هـ - ج16، ص228؛ ابن كثير: تفسير ابن كثير، 4ج، دار الفكر، بيروت، 1401هـ، 28، ص290.

(6) القمر، آية (4).

(7) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص26؛ الطبري: تاريخ الرسل، ج2، ص46؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج3، ص297.

(8) ابن كثير: البداية والنهاية، ج3، ص365.

(9) الواقدي: المغازي، ج1، ص118؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ج2، ص299.

رسول الله ﷺ الأسارى بين أصحابه قال: (استوصوا بالأسرى خيراً) [1] فهو بهذا الأمر وضع أسسَ الرحمة في قلوب الصحابة، خاصةً أنه كان على علمٍ بأن منهم من سيسلمُ ويحسنُ إســلامه، وتقــومُ على أكتافهم دولة الإسلام.

وذُكِر أن الرسول ﷺ فدى رجلين من المسلمين برجلٍ من المشركين[2] وفدى رجالاً من المــسلمين بامرأة من السبي. استوهبها من سلمة بن الأكوع[3]عندما غزا هوازن. وهي قبيلة من بني فزارة[4] .

وقد تم استبدال عمرو بن أبي سفيان من أسرى بدر بسعد بن أكال[5]، وحينما رفــض أبــو سفيان فداءه بالمال، قال: لا يجتمع مالي ودمي، لأن ابناً لأبي سفيان اسمه حنظله قتل في المعركــة لذلك حُبِسَ سعداً الكهل فداءً لابنه وقال:

أَرَهْطَ ابْنِ أَكَّالٍ أجيبُوا دُعَاءَه ... تعاقدتُم لا تُسْلِمُوا السَّيِّد الكُهلا

فإنَّ بَني عَمْروٍ لئامٌ أَذِلَّةٌ ... لئنْ لم يَفُكُّوا عن أسيرِهِم الكَبْلا

فمشوا لرسول الله ﷺ أهلُ سعد فأعطاهم عمرو بن سفيان[6].

ومن الملاحظ أن تبادل الأسرى بين المسلمين والكفار لم يكن مرتبطاً بالعدد، فلــم يــرتهن التبادل بالتساوي بين الفريقين، وهذا ما قصده الرسول ﷺ في ذلك وهو أن سلامة الأسرى أهم مــن المفاخرة بالعدد.

---

(1) الطبراني: المعجم الكبير، ج22، ص393؛ المعجم الصغير، المكتب الإسلامي، بيروت، دار عمار، عمان، تح محمد شكور محمود مريد، 1405هــ - 1985م، ج1، ص250.

(2) السرخسي، محمد بن أحمد: شرح السير الكبير، تحقيق: صلاح الدين المنجد، القاهرة، 1957م، ج2، ص4.

(3) هو سلمة بن عمرو بن الأكوع والأكوع سنان بن عبد الله قشير بن خزاعة بن مالك بن سلامان الأسلمي يكنـــى أبا مسلم وأبا إلياس، بايع تحت الشجرة، سكن بالرَّبَذَة، وتوفى بالمدينة سنة (74هــ=693م) وهو ابن ثمــانين سنة، كان شجاعاً رامياً سخياً خيراً فاضلاً، غزى مع رسول الله ﷺ سبع غزوات. العــسقلاني: الإصـــابة، ج1، ص455؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج3، ص326؛ العبر في خبر من غبر، تح صلاح الدين المنجد، مطبعــة حكومة الكويت، الكويت، ط 2، 1368 هــ - 1948م، ج1، ص15؛ ابن عبد البر: الاســتيعاب فــي معرفــة الأصحاب، ج1، ص192.

(4) الطبري: تاريخ الطبري، ج2، ص127.

(5) سعد بن النعمان بن زيد بن أكال أبو الوزان بن الحارث بن أمية بن عوف الأنصاري الأوسي خــرج معتمــراً فاعتدى عليه أبو سفيان فحبسه فداءً لابنه عمرو، فمشوا أهل سعد للرسول ﷺ فأعطاهم عمرو بن سفيان فافتدوا به سعداً. العسقلاني: الإصابة ، ج4، ص87.

(6) ابن كثير: البداية والنهاية، ج3، ص311؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ج1، ص301.

وقد عَّنيَ الرسول ﷺ بأصحابه، وكان يخاف عليهم من غدر الكفار. وأوضحُ مثال على ذلك ما حدثَ في صلح الحديبية بين المسلمين وكفار قريش، عندما قصد الرسولﷺ وأصحابه زيارة بيت الله الحرام للعمرة. فعندما وصل ﷺ الحديبية بعث إلى قريش خراش بن أمية الكعبي[1] علــى جمــلٍ لرسول الله ﷺ يقال له الثعلبُ، لُيبلِّغَ أشرافَهم عن رسول الله ﷺ ما جــاءَ لــه، ويقــول إنمــا جئنــا معتمرين، معنا الهدْي معكوفاً فنطوفُ بالبيت ونحلُّ وننصرف[2]. فعقروا جمل النبيِّ ﷺ والذي تولى عقْره عكرمةُ بن أبي جهل، وأرادَ قتل خراشٍ فمنعه قومُه حتى خلُّوا سبيله [3].

فرجع إلى النبي ﷺ وأخبره بما لقي وقال له: ابعثْ رجلاً أمنع مني[4] فــدعا رســول الله ﷺ عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ليبعثَه إلى قريش، فقال له يا رسول الله : إني أخاف قريشاً علــى نفسي، قد عرفت قريش عداوتي لها، وليس من بني عدي من يمنعني، وإن أحببت دخلــت علــيهم، ولكن أدلك على رجلٍ أعزُّ بمكة مني، وأكثر عشيرةً وأمنَعَ، عثمان بن عفان رضي الله عنه. فدعا ﷺعثمان بن عفان رضي الله عنه.[5] فخرج عثمان حتى أتى بلدح[6]موضع في ديار بنــي فــزارة. وبعد أن أدى عثمان رضي الله عنه رسالة المصطفى ولم يجد أُذناً مصغيةً له، قالــت لــه قــريش تسترضيه: "لئن شئت أن تطوف بالبيت فطف"، فردَّ رضي الله عنه بالقول:(ما كنت لأفعــلَ حتــى يطوف به رسولُ الله ﷺ)، [7] فاحتبست قريش عثمان عندها، وتداول الناس في مكة مقولة تقول بأن

---

(1) خراش بن أمية الكعبي الخزاعي شهد بيعة الرضوان، حلق رأس النبي ﷺ توفى سنة (60هــ =680 م) .ابن سعد : الطبقات الكبرى، ج2، ص96؛ الرازي: الجرح والتعديل ، ج3، ص392.

(2) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص121.

(3) ابن كثير: البداية والنهاية، ج4، ص167.

(4) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص97؛ الطبري: تاريخ الرسل، ج2، ص122.

(5) م،ن، ج2، ص97؛ م،ن، ج2، ص121؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج4، ص167؛ ابن الجــوزي: المنــتظم، ج3، ص269.

(2) بلدح: بفتح أوله والدال والحاء المهملتين موضع في ديار بني فزازة، وهو وادي عند الجراحية في طريق التنعيم إلى مكة، ويقال بلدح الرجل أي ضرب بنفسه الأرض وهو وادي قبل مكة من جهة الغرب. يــاقوت الحمــوي: ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله: معجم البلدان ، دار الفكر، بيروت، د.ن، ج1، ص480؛ البكــري:أبــو عبيد، عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ط 3، 1403 هــ / 1982م ، ج1 ، ص273.

(6) الطبري: تاريخ الرسل، ج2، ص121.

(7) خليفة: تاريخ خليفة، ج1، ص184؛ المقدسي: المطهر بن طاهر المقدسي : البدء والتــاريخ، مكتبــة الثقافــة الدينية، د.ط، ج4، ص224؛ اليعقوبي:أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن العباس: تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، د. ط، ج2، ص63؛ ابن العماد الحنبلي: عبد الحي بن أحمد بن أحمد العكري الدمشقي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، 4 ج، د.ط، ج1 ، ص.11

قريشاً قتلت عثمان بن عفان رضي الله عنه[1]. وهنا نلاحظ مدى خوفِ الرسول ﷺ على صاحبهِ حين أراد إشعالَ الحرب، فقال: (لا نَبرحُ حتى نناجزَ القوم) [2]، ودعا الناس إلى البيعة، وقيل على الموت، وعلى أن لا يفروا. ولم يتخلفْ أحدٌ من المسلمين إلا حضرها. فكانتْ بيعةُ الرضوان تحتَ الشجرة سنة (6 هـ = 627م) فبايع الرسول ﷺ عن عثمان رضي الله عنه فضرب إحدى يديه فوق الأخرى،[3] وهذا يدل على مدى حبِّ الرسول ﷺ لعثمان رضوان الله عليه، وعلى مكانةِ الأسيرِ المسلم في نظر النبي ﷺ وأصحابه الكرام. ثم أن الذي ذُكر لرسول الله ﷺ من أمر عثمان رضي الله عنه باطل.

لكن قريشاً أرادت إظهارَ قوَّتها فبعثتْ أربعين رجلاً أو خمسين، وأمروهم أن يطوفوا حول عسكرِ رسول الله ﷺ ليصيبوا لهم من أصحابه أحداً، وقد تراموْا بالنبل والحجارةِ مع المسلمينَ، فقامَ الرسول ﷺ وأخذَ أسرى منهم رهائنَ مقابلِ عثمان – رضي الله عنه– ـ[4].

أحستْ قريش بالخوفِ، وبعثتْ سهيل بن عمرو للصلح، فأنكرَ ما فعلَه رجالاتُ قريش، وقال:(إنهم من سفهاءِ القوم، فابعثْ إلينا بأصحابِنا الذين أَسَرْتَ أول مرةٍ وآخرَ مرةٍ)، فقال رسول الله ﷺ: (إني غيرُ مرسلهِم حتى ترسلَ أصحابي) قال سهيل:(أنْصفْتنا)،[5] فبعثَ إلى قريش إنكم حبسْتم رجالاً من أصحابِ محمد بينكم وبينهم أرحام لم تقتلوهم، وقد أبى محمد ﷺ أن يرسلَ من أَسَرَ من أصحابِكم حتى ترسلوا أصحابَه وقد أنْصَفنا، فبعثوا إليه من كان عندهم وكانوا أحد عشر رجلاً، وبعث الرسول ﷺ أصحابهم لهم، فكانت الهدنة بينهم لمدة ثلاث سنوات لا يتقاتلون فيها[6]. فأخذ الرسول ﷺ الأسرى منهم حفاظاً على سلامة أصحابه، وحتى يتسنى له الحفاظ على أرواح أصحابه والمبادلة بهم عند الاتفاق، وإن لم يفعل ذلك فلن تتركَ قريشٌ أصحابَه أحياء، فقد داواها بالتي هي الداء.

إن كلُ فعلٍ قام به رسولُ الله ﷺ كان لمصلحةٍ شرعيةٍ وهو أعلمُ بها؛ فوجدناه عندما حملَ على بني المصطلق سنة (6 هـ = 627م) وقتل عشرةَ رجالٍ منهم و أسر سائرِهم، وكان السبْيُ مائتي نفس[7]، ومن ضمن السبْيِ أم المؤمنين جويريةُ بنت الحارث[8]رضي الله عنها. وجاء أبوها

---

(1) ابن كثير: البداية والنهاية، ج4، ص28؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج3، ص269.

(2) الطبري : تاريخ الرسل، ج2، ص121؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج4، ص28؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج3، ص269.

(3) المقدسي: البدء والتاريخ ، ج4، ص224.

(4) الطبري: تاريخ الرسل، ج2، ص224؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص63.

(5) ابن كثير: البداية والنهاية، ج4، ص28؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص54؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج3، ص269.

(6) المقدسي: البدء والتاريخ، ج4، ص224؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص63؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج3، ص269.

(7) خليفة: تاريخ خليفة، ج1، ص80؛ الطبري: تاريخ الرسل، ج2، ص109.

(8) أم المؤمنين جويرية بنت الحارث بن ضرار الخزاعي المصطف، زوج النبي ﷺ كانت من سبايا بني المصطلق، قالت عائشة رضي الله عنها: " فما رأيت امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها، أعتق بسببها مائة أهل بيت من بني المصطلق". ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص64؛ العسقلاني: الإصابة، ج2، ص262.

إلى النبي ﷺ في أمرها فقال: إن ابنتي لا يُسْبى مثلُها، فأنا أكرمُ من ذلك فخل سبيلها. فقال له النبي ﷺ: أرأيتَ إن خيرْناها قد أحسنّا؟ قال: بلى وأَدّيْتَ ما عليك. فأتاها أبوها فقال: إن هذا الرجلَ قد خَيَّركِ فلا تفضحينا. فقالت: فإني قد اخترْته فقال: قد والله فضحْتنا.[1] فأعتقها رسول الله ﷺ. وتزوجها بعد أن أسلمتْ، وجعل صداقَها عتقَ كلّ مملوكٍ من بني المصطلق،[2] وهذا الأمرُ لحكمةٍ أراد منها النبيﷺ إسلام أهلها فيما بعد، فقد أصبحت أم المؤمنين رضي الله عنها.

وفي حصار الرسول ﷺ[3] لأهل الطائف، كان يقول: (من خرجَ إلينا من العبيد فهو حرٌّ) وبالفعلِ خرجَ العبيدُ قبل أسيادهم فأعتقَهم رسولُ الله ﷺ وعندما أسلمتْ ثقيفٌ، تكلم أشرافها برجوعِ عبيدهِم لهم، فقال: ﷺ (أولئِكَ عتقاءُ الله) [4].

وهذا الفعل الذي قام به نبي الله ﷺ إنما قصد به تحرير العبيد من ذلِّ العبودية، ونشْرِ الإسلامِ بينهم، وشراء حريتِّهم بمجردِ خروجِهم من الطائفِ، وسمّاهم عتقاء الله، حتى لا يتسنّى لأصحابهم بعدَ إسلامهم أن يَرجعوهم إليهم.

وأثناء حصار ثقيف قام ثقفيون بحبس أهل لمروان بن قيس[5] فقال له رسول الله: (خذْ يا مروانُ بأهلك أولَ رجلٍ من قيسٍ تلقاه)،[6] فلقيّ أُبيّ بن مالك القشيري، فأخذه حتى يؤدّوا إليه أهله، فقامَ في ذلك الضحاك بن سفيان الكلابيّ، فكلّمَ ثقيفاً حتى أرسلوا أهل مروان، وأطلق لهم أبي بن مالك. وكان نفر من الصحابة رضوان الله عليهم – قد أخذوا رجلاً من بني عقيل، فأوثقوه حتى يبادلوا أسرى مسلمين كانوا عند ثقيف، فمرَّ الرسول ﷺ على هذا الأسير وسأله:(فيما أُخِذْت؟ فقال: أُخذتُ بجريرةِ حُلفائِك ثقيفٍ. فقال: الأسير لرسول الله ﷺ أنا مسلم، فقال له: لو قلتَ وأنت تملكُ أمْركَ لأفْلحْتَ كل الفلاح)[7]. ففاداه رسول الله ﷺ باللذين أسرتْهما ثقيف. [8]

---

(1) ابن كثير: البداية والنهاية، ج4، ص159؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج3، ص218.

(2) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص65؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج4، ص159؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج3، ص218.

(3) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص115؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج4، ص347.

(4) ابن الجوزية: زاد المعاد، ج3، ص436؛ ابن كثير: السيرة النبوية، ج3، ص657؛ السهيلي الروض الآنف، ج4، ص259.

(5) مروان بن قيس الأسدي ويقال السلمي له صحبة روى عنه عمران بن يحيى وابنه خثيم بن مروان. العسقلاني: الإصابة، ج1، ص435؛ ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج1، ص435.

(6) العسقلاني: الإصابة، ج1، ص6؛ السهيلي: الروض الآنف، ج4، ص260.

(7) مسلم: صحيح مسلم، ج3، ص1262.

(8) ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو حمد : المحلي في دار الآفاق الجديدة، بيروت، 11 ج، لجنة أحياء التراث العربي، د. ط، ج11، ص60؛ ابن قدامة، عبد الله بن أحمد بن قدامة أبو حمد المغني، 10ج، دار الفكر، بيروت، ط 1، 1405هـ – ج9، ص180.

وهذا يُدّلل على جوازِ خطف بعض الكفار كأسرى مقابلَ إطلاق سراح أسرى مسلمين عنـدَّ الكفار أو المبادلة بهم، لأن في ذلك مصلحةً للمسلمين عامةً وللأسيرِ خاصة.

ثانياً: جهود المسلمين السياسية في تحرير أسراهم في العهد الراشدي:

إن طبيعةَ المرحلة والظروفِ التي تحياها الأمةُ الإسلامية، تُملي على المسلمينَ مـا يروْنَـه مناسباً فيتصرفون بمقياس المرحلةِ التي يعيشونها.

فبعد وفاةِ الرسول ﷺ سنة (11هـ = 632م)، تولّى الخُلفاءُ الراشدين من بعده، فظهـرتْ مرحلةٌ جديدةٌ في تاريخ الدولة الإسلامية، وهي نشرُ الإسلام خارجَ الجزيرةِ العربيةِ عـن طريـق الفتوحات الإسلامية، التي بدأت في أواخر عهد الصديق رضي الله عنه، حينما وجه أربعة جيـوش إسلامية إلى بلاد الشام لتحريرها من الاحتلال الروميِّ ومن شايعه من العـرب سـنة (13 هـ =634م)، [1] ولكن المَنِيّة عاجلت بالصديق فأستأنفها من بعده الخليفة عمرُ بن الخطاب رضـي اللهُ عنه. وبعد جهاد استمر سبع سنوات، نجح صحابة رسول الله ﷺ والمسلمون في تطهير بلاد الـشام من رجس الاحتلال الروماني لها بعد احتلالٍ دام سبعة قرون، وضم أيضاً بلاد الرافـدين وقـضى على نفوذِ الدولةِ الفارسيةِ فيها. واتجه إلى مصر وحررها من الاحتلال الروماني لها[2].

وبهذا وحَّد أرجاءَ الدولةِ الإسلامية، وقد عَمَد في ذلك إلى إرهاب العـدوِّ بـشّتى الوسـائل الممكنة، فكان يقتلُ الأسرى الذين يُؤْسَرون في الحرب أو يوزّعَهم على الصحابة بالتساوي، لأنه لم يكن هناك أسرى مسلمون عند العدو، فكانت له حريةُ التصرف بهم، لذلك لم تُسجّل جهودٌ سياسـيةٌ لتبادل الأسرى أو تحريرهم في العهد الراشدي رغمَ الحروب والفتوحـات حينهـا، دليـلُ ذلـك أن الخليفة عُمرَ بن الخطاب رضي الله عنه رفضَ أن يملِكَ العرب بعضَهم بعضاً، وقد وسـع الله عـز وجل على المسلمين وفتحَ بلادَ الأعاجم. واستشار عمر بن الخطاب في فـداء سـبايا العـربِ فـي الجاهليةِ والإسلام إلا امرأةً وُلدت لسيدِها. وجُعلَ فداءً لكلِ إنسانٍ ستةً من البعير أو سبعةً إلا حنيفـةَ وكندةَ فإنه خفّف عليهم لقتلِ رجالهم فتَتَبَع النساء بكلِّ مكانٍ ففدوهنَّ من الأسـرِ[3]. ومـن كـره أن يكونِ هناك سبايا من المسلمينَ في يد العربِ، فكيف بأسرى مسلمين عندَ الأعداء، لا بل أكثر مـن

---

(1) الواقدي: فتوح الشام،دار الجيل، بيروت، لبنان،2ج، د. ط، ج1،ص5؛ ابن كثير:البداية والنهاية، ج7، ص3.

(2) حول الحروب التي خاضها المسلمون زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه. ينظر: الطبـري: تاريخ الرسل، ج2، ص413؛ الذهبي: العبر في خبر من غبر ج1، ص17؛ ابن كثير: البدايـة والنهايـة؛ ج7، ص62؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج1، ص26-27.

(3) الطبري: تاريخ الرسل، ج2، ص181؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج1، ص382؛ عواد، محمود أحمد حمد سليمان: الجيش والقتال في صدر الإسلام، مكتبة المنـار، الأردن، الزرقـاء، ط 6، 1987م ، 1407 هـ ، رسالة ماجستير، ص466.

ذلك: من كرهَ إِذْلال العربِ بالأسر مثل المشركين، فكيف بمن مضى وسكتَّ عن أسر المسلمين في سجون الأعداء.

ويعلل المؤرخ محمد الوكيل ذلك (بأنَّ عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه رأىَ إِخلاص هـذه القبائلَ بعد عودتها للإسلام، ورأى في زعمائِهِم تفانياً يدلُّ على إيمانٍ بالحق الذي فاءوا إليه، وخشيَّ أن يُحْدِث استمرارُ السبي في العربِ انكساراً في نخوتِهم وحطاً من كرامتهم، ثم يكون ذلك عادةً لهم فلا يغضَبون لذلٍّ، ولا يأنفون من إهانةٍ، ثم لا يُستفاد بعد ذلك في شأن من الشؤون) [1].

ولم يقتصر اهتمام المسلمين بالأسير المسلم فقط، فقد اهتموا بأسرى أهلِ الذمة، وقـد سُـئل الحسين بن عليٌ ﷺ عن الأسير من أهل الذمة يأسره العدو. فقال: (فكاكُهُ علىَ المُسْلمين).[2]

(1) جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين دراسة وصفية تحليلية لأحداث تلـك الفتـرة، دار المجتمـع للنـشر، مؤسسة الاعتصام، ط 6، 1406هـ /1986م. السعودية ، جدة، ص86-87.

(2) ابن زنجوية: الأموال، ج1، ص425.

المبحث الثاني

جهود المسلمين السياسية في تحرير الأسرى في العهدين الأموي والعباسي الأول

أولاً: جهود المسلمين السياسية في تحرير أسراهم في العهد الأموي:

كانت الحربُ بين المسلمين والروم سجالاً، ينالُ المسلمون من العدوُ وينــالُ العــدو مــنهم، ويأسِر بعضُهم بعضاً لكثرةِ هُجوم أساطيل الإسلام على بلاد العدو، فكانت تُسَيَّرُ من مــصر ومــن الشام ومن إفريقية، وغزوا أكثر من دولةٍ وابتعدوا عن بلاد الإسلام كثيراً، لذلك وُجِّد أسرى حــرب من كلا الجانبين، فاحتاج خلفاءُ الدولةِ الإسلامية إلى الفداء، حتى يُحرروا أسراهم من بلادِ الأعداء.

ففي العهد الأموي اعتمدت الدولةُ الأموية أسلوبَ الخلفاء الراشدين في فتوحاتهم، فكانــت عنــدما تفتحُ حصوناً أو قلاعاً أو دولاً فإنها تعطي أهلها الأمان على أن يؤدوا الجزية لهم[1] التزاماً بــدينهم الذي يأمُرهم بهذا وحتى يعطوا صورةً لأخلاق الفاتحين، ولأنه لا إكراه في الدين، ومن الطبيعي أن يفرض القوي ما يريد على سكان البلاد، فإنهم كانوا صحابةً أو تابعين ناشرين لدين الإسلام مُتحلين بمكارم الأخلاق، سيسارعُ أهلُ البلاد بالدخول في دينهم، وقد لاحظنا بعد مــرور ســنوات قلائــل أصحاب هذه البلاد يُسْلمون ويحسنُ إسلامهم ويخوضون حروباً ضد أبناء جنسهم، ويُــسهِمون فــي عمليات الفتح للحصون وقلاع بلادهم [2].

إن الدولةَ الأمويةَ عنيت كثيراً بالجهادِ وإعلاء رايةِ الإسلام في مشارقِ الأرضِ ومغاربهــا لذلك اهتمَّ خلفاؤها بالجيش وبالجندي المسلم الذي هو يحمي ثغور البلاد وتخومهــا ويــدافع عنهــا، فكيف لو وقع أسيراً في يد الأعداء؟ ولذا اهتمَّ الأمويون بإطلاقِ سراحِ أسراهم من يدِ الأعداءِ بكــلِّ الوسائل الممكنة، فحدث فداء في أواخر عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك[3] فداء أَرسل فيهم القيم بن

---

(1) ينظر: ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص283؛ ابن الأثير: الكامل، ج4، ص237؛ ابن كثير: البدايــة والنهايــة، ج9، ص74؛ ابن تغري بردي: جمال الدين أبو المحاسن يوسف ين تفري بردي الأتابكي: النجوم الزاهرة فــي ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتــأليف والنشر، مصر، د.ط، ج1، ص212 .

(2) ينظر: دور أهل البلاد المفتوحة في فتح بلاد الأندلس: الطبري: تاريخ الرسل، ج4، ص38؛ ابــن الجــوزي: المنتظم، ج2، ص63؛ ابن الأثير: الكامل، ج2، ص339؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون: مقدمــة ابــن خلدون، دار القلم، بيروت، ط 5، 1405 هــ / 1984م) ج4، ص188.

(3) أبو العباس الوليد بن عبد الملك، كان دميماً، سائل الأنف، يتبختر في مشيته، كثير قراءة القرآن الكريم، وكــان يختمه في ثلاث أيام، ويقرأ في رمضان 13 ختمة، فتحت في عهده الهنــد والتــرك، والأنــدلس كــان كثيــر الصدقات، أنشأ جامع دمشق. العسقلاني: الإصابة في معرفة الصحابة؛ ج3، ص474؛ الذهبي: العبر في خبــر من غبر، ج1، ص20.

ثابت بن نصر بن مالك الخزاعي، لفداء أسرى مسلمين من يد الروم سنة (95هـ / 714م) وكان عدد الأسرى من المسلمين ألفين وخمسمائة أسير[1].

كذلك أهدى ملكُ الروم أمير البحر خالد بن كيسان الأسير عندهم، إلى الوليد بن عبد الملك قبل وفاته[2]، وذلك مهادنة للمسلمين لأنهم الأقوى.

وقد اعتنى بالأسرى الخليفةُ سليمان بن عبد الملك[3] الذي تولى بعد الوليد وقد أحسن السيرة، ورد المظالم وفك الأسرى، وأطلق سراح أهل السجون، ثم عهد لعمر بن عبد العزيز[4] خليفة بعده[5] ، وقد حدث في عهده فكاك للأسرى، ولكن لم تبين المصادر أية تفاصيل عن هذا الفكاك فلم نعرف عدد أسرى المسلمين ولا كيفية افتدائهم[6].

وجاء للخليفة سليمان خبرٌ أن جماعةً مِن الروم قد خرجت على ساحل حمص، فَسَبَتْ امرأةً وجماعة، فغضبَ سليمان وقال: "والله لأغزونَّهم غزوةً أفتحُ بها القسطنطينية أو أموتُ دون ذلك"، فأغزى من أهل الشام والجزيرة والموصل في البرِّ نحو مائةٍ وعشرين ألفا، وأغزى أهلُ مصر وإفريقية في البحر ألفَ مركبٍ، وعلى الجميع مسلمةُ بن عبد الملك[7]، القائد عليها وتم حصار القسطنطينية لكن الخليفة سليمان مات والحملة حول أسوارها فأمر بإرجاعها الخليفة عمر بن عبد العزيز ﷺ[8].

---

(1) ابن الأثير: الكامل، ج3، ص114.

(2) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص226؛ خفاجي، عبد المنعم، شرف، عبد العزيز: معارك فاصلة في التاريخ الإسلامي، الدار المصرية اللبنانية، ط6، 1409هـ، 1989م، ط2، 1412هـ، 1992م، ص63.

(3) أبو أيوب سليمان بن عبد الملك الأموي، خلافته أقل من ثلاث سنوات، كان فصيحاً، محباً للعدل والغزو، عالي الهمة، هو أبيض مليح الوجع، معروق الحاجبين، توفي سنة (99 هـ = 718م) وعمره 45 سنة. الذهبي: العبر في خبر من غبر ، ج1، ص21.

(4) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم أبو حفص الأموي أمير المؤمنين، ولد سنة (61 هـ = 718م) توفي سنة (101 هـ =719م) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج1، ص129؛ ابن منقذ: الوفيات، ج1، ص13؛الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج4، ص409.

(5) ابن الجوزي: المنتظم، ج1، ص333.

(6) الذهبي: العبر، ج6، ص21؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص333.

(7) مسلمة بن عبد الملك الأمير الأموي، ويلقب بالجرادة الصفراء، كان موصوفاً بالشجاعة والإقدام، والرأي السديد والدهاء، غزا القسطنطينية في خلافة أخيه سليمان. ولي أرمينيا وأذربيجان غير مرة، وإمرة العراق، وروى عن عمر بن عبد العزيز ﷺ ، توفي سنة (120 هـ =738م). الذهبي: العبر في خبر من غير، ج1، ص28.

(8) الكتبي، محمد بن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر ، بيروت، 1394 هـ-1974م، ج2، ص70.

ما أحوج أمتنا اليوم إلى قيادة تملكُ هذه الإرادةَ القويةَ، والعزمَ الذي يقود لتحريــرِ أرضِــها ومقدساتها المغتصبةِ، والانتصارِ لحرائرِ المسلمينَ اللاتي تغتصب حريتهن وكرامتهن على مــرأى من العالم اليوم.

وظل أمراء الجيش مثل مسلمة بن عبد الملك يهتمون بالأسرى في حروبهم ويعملون على تحريرهم بكل ثمنٍ. ففي إحدى المعارك التي خاضها مسلمةُ ضدَّ الروم سبَى سبياً فكان يقتلُهم كعادة خلفاءِ بني أميةَ لإرهابِ الأعداءِ، حتى عُرِضَ عليه من السبْيُ شيخٌ كبيرُ السنِّ ضعيفٌ، فأمر بقتله، فقــال لــه الأسير: " ما حاجتُك بشيخٍ مثلي؟ إن تركتني حياً، جئتك بأسيريْنِ من المسلمين شابَيِّن، فقال: ومــن لي بذلك؟ قال: إني إذا وعدْتُ وفيت. قال: لست أثق بك، فقال له: دعني أطوف في عسكرك لعلــي أعرفُ من يكفُلُني إلى أن أمضي وأعود بالأسيرين، فوكل من يطوف به، وأمره بالاحتفاظِ به، حتى مر بفتىً من بني كلاب، قائماً يحسُّ فرسه، قال: يا فتى اضمني للأميرِ فــضمنه، فــأطلق ســراحه مسلمة، فلما كان من الغدِ، عاد الشيخ ومعه أسيرانِ شابانِ من المسلمين إلى مسلمة فــسلَّمهُمَا إليــه وأطلق سراحه.(1)

إن هذا الموقف يبين أن قضية الأسرى قضية الدولة بأكملها، فهي المسئولة عن فدائهم بكل السُبل، وقد ظهرت إنسانيةُ القائد مسلمة في السماحِ للأسيرِ المُسِّن بالمغادرةِ من أجلِّ أســيرين مــن المسلمينَ وتحريرهم من الأعداء أنفعُ من قتل الأسير المُسِن.

والخليفة عمر بن عبد العزيز _ رضي الله عنه_ الذي قام بالدخول فــي مفاوضـــات مــع البيزنطيين لفداء الأسرى المسلمين الذين وقعوا أسرى عندهم زمن الخلفاء السابقين، ومن ذلك أنــه بعث عبد الرحمن بن أبي عمرة يفدي أسارى المسلمين من القسطنطينية قال: قلت: يا أمير المؤمنين إن أبوا أن يفدوا الرجل بالرجل فكيف أصنع؟ قال: زدهم، قال: فإذا أبوا إلا أربعاً؟ قال: فأعط كــل مسلم ما سألوك، والله لرجل من المسلمين أحب إلي من كل مشرك عندي، وإنك ما فديت به المــسلم فقد ظفرْتُ، وإنك إنما تشتري الإسلام، قال: "فصالحت عظيم الروم على كل رجل مــن المــسلمين برجلين من الروم"(2).

إن معاملةَ الأسرى المسلمين لدى الروم كانت تتأثر إما إيجاباً أو سلباً بحسب أحوال الدولــة الإسلامية، فعندما كانت الدولةُ عزيزةَ الجانب عزَّ الأسرى، وعندما كانت ضــعيفةً ذلــوا وســاءت

---

(1) ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص271؛ ابن العديم، الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن أبــي جــرادة: بغيــة الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر العربي، بيروت ، لبنان، د.ط، ج5، ص2035.

(2) ابن منذر: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري :الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف، تحقيــق: أبو حماد صغيرا أحمد بن محمد حنف، دار طيبة، الرياض، ط 6، 1405هــ – 1985م، ج10، ص150.

أوضاعُهم، وهذا يتضح مما شرط به مسلمة بن عبد الملك على ملك الروم ببناء دار إزاء قصره في الميدان ينزله الوجوه من أشراف المسلمين إذا أسروا ليكونوا تحت إشراف ملك الروم مباشرة، فقبل ما طلب منه مسلمة، وبني دار البلاط[1].

وذكر الحميري أن ملك الروم كان يتفقد الأسرى المسلمين جميعاً، ويطلب منهم الدعاء للملك، ثم يذهبون لسجنهم[2].

وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه رسالة إلى الأسرى المسلمين في القسطنطينية جاء فيها "أما بعد: فإنكم تعدون أنفسكم أسارى ولستم أسارى، معاذ الله أنتم الحبساء في سبيل الله واعلموا أني لست أقسم شيئاً بين رعيتي إلا خصصت أهلكم بأوفر ذلك وأطيبه، وقد بعثت لكم خمسة دنانير، ولولا أني خشيت إن زدتكم أن يحبسه عنكم طاغية الروم لزدتكم، وقد بعثت إليكم فلان يفادي صغيركم وكبيركم، ذكركم وأنثاكم، حركم ومملوككم، فأبشروا ثم أبشروا"[3].

إن السياسة التي وضعها عمر بن عبد العزيز بشأن الأسرى ومعاملتهم والاهتمام بهم وبذويهم نموذجٌ يحتذى لكل دولةٍ أوجماعةٍ عاملةٍ مجاهدةٍ، لتبقى راية الجهاد مصانة، وأُسرَ المجاهدين غير مهانة.

ولم يقتصر اهتمام عمر بن عبد العزيز بأسرى المسلمين الذين عند الروم فقط بل بعث مع ربيعة بن عطاء مالاً ليفدي به الرجل والمرأة والعبد والذمي من ساحل عدن[4].

وشمل هنا الاهتمام بالأسرى من أهل الذمة وتحريرهم من أيدي الأعداءِ، حيث قال:" لأننا التزمنا حفظهم بمعاهدتهم وأخذ جزيتهم، فلزمنا القتال دونهم، وإن عجزنا عن ذلك وأمكننا تخليصهم لزمنا ذلك"[5]. وهذا يطابق قول الحسين بن علي _ رضي الله عنهما_ عندما سُئِل عن الأسرى من أهل الذمة فقال: "فكاكه على المسلمين"[6].

---

(1) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ج1، ص138.

(2) الروض المعطار، ص482.

(3) ابن الأزرق، محمد بن علي الأزرق: بدائع السلك فهي طبائع الملك، تحقيق: علي سامي النشار، منشورات وزارة الإعلام، بغداد، ط1، 1977م، ج6، ص159؛ أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني: تحقيق: سمير جابر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1412هـ –1991م، ج9، ص304؛ البيهقي، أبو بكر أحمد بن حسين البيهقي: شعب الإيمان،8 ج، تحقيق: حمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، 1410هـ، ط1،ج 4،ص 37.

(4) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج5، ص353.

(5) الأنصاري، عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان أبو محمد: طبقات المحدثين بأصفهان تحقيق: عبد الغفور عبد الحق البلوشي، 9 ج، ط 2، مؤسسة الرسالة ، بيروت، 1412 هـ – 1992م، ج2، ص186؛ ابن قدامة: المغني: ج17، ص97.

(6) ابن زنجوية: الأموال، ج1، ص425.

وهذا يدل على مدى سماحة المسلمين، وحفاظهم على سكان البلاد المفتوحة، كـذلك حتـى يرى أهل الذمة هذا الاهتمام من الدولة بأبنائها فيتركوا دينهم وينضموا إلى الدين الإسـلامي حـافظ كرامة البشرية.

ولم يهتم الخليفة عمر بن عبد العزيز بالتساوي العددي بأن يكون أسير مقابـل أسـير، بـل حدث عنه ربيعة بن عطاء بأنه أعطى برجل من المسلمين عشرة من الروم وأخذ الأسير المسلم[1]. وكان يرسل المال في فداء الأسرى، وعَدَّ قضيَتَهم قضيةَ الدولة والحاكمِ، وكان يقـول: "إذا خـرجَ الأسيرُ المسلمُ يفادي نفسَه، فقد وجب فداؤُه على المسلمين، ولـيسَ لهـم ردَّه إلـى المـشركين"[2] والوجوبُ هنا على المسلمين جميعاً سواءٌ إذا كان الأسيرُ قادراً أو غيرَ قادرٍ على فداء نفـسهِ مـن الأعداءِ، فذُكِر أن أهل أسيرٍ أتوا الخليفةَ عمر بن عبد العزيز في فداءِ ابـنهِم مـن الأعـداءِ، وأن الأعداءَ طلبوا مقابل إطلاق سراحه مائة مثقال من الفضة، ففداه عمر بن عبد العزيز بمائـة مثقـال ورده إليهم، ولم يأخذ من أهله مثقالاً واحداً[3]، وعدَّها مسئوليَتَه ومسئولية بيتِ مال المـسلمينَ، وأن بيت مال المسلمين ما عُدَّ إلا للمسلمينَ وسلامتِهم وحريتهم.

وذكر ابن عساكر في تاريخ دمشق أن الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنـه أرسـل عبد الأعلى بن أبي عمرة الشيباني مولاهم في مفاداة أسرى مسلمين من الروم[4]، وهـذا يؤكـد أن هناك عدةَ مفاوضاتٍ جرت مع الروم في سبيل إخلاء أسرى المسلمين من الأسر، حتى وإن لم يذكر عدد الأسرى لكنه كان شديد الحرص على سلامة المسلمين حتى لو علم أنه يوجد أسير واحد في يد الأعداء.

وذكر ابنُ منذر أن عمر بن عبد العزيز أعطى رجلاً مالاً يفادي به أسرى مسلمين من عندِ الروم، فقال له الرجل، يا أمير المؤمنين إنا سَنَجدُ أناساً فرواً إلى العدو طوعاً، أفنفديهم؟ قال: نعـم، قال: وعبيداً فروا طوعاً وإماء، قال: أفدوهم[5].

---

(1) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج5، ص353.

(2) ابن زنجوية: الأموال: ج1، ص411.

(3) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج5، ص353

(4) ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي: تاريخ مدينة دمشق،تحقيق: محب الدين أبي سـعيد عمر بن غرامة العموري، دار الفكر، ط6، 1418هـ/1997م، ج5 ص122 .

(5) الأوسط، ابن منذر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري أبو بكر: الأوسط: تحقيق: صغير أحمد بـن محمـد حنيف، جزءان، ط 1، دار طيبة، الرياض 1405 هـ – ج10، ص150؛شاهين، ريـاض مـصطفي أحمـد: السياسة الداخلية لعمر بن عبد العزيز، رسالة ماجستير، إشراف د. حمد عبد القادر خريسان، الجامعة الأردنية، 1410هـ ، 1995م، ص205.

وهذا يدلُّ على شدة حرص الخليفة على كل من يقول لا إله إلا الله من المسلمين، حتى لو تركوا البلاد فارين بإرادتهم للعدو، وذلك حتى لا يُفتنوا في دينهم ولعلهم يصلحون إذا عادوا إلى بلدانهم.

وذُكر أن رسولاً لعمرَ بن عبد العزيز رضي الله عنه كان يتجولُ في القسطنطينية فمرَّ على رجل أعمى يقرأ القرآن ويطحَنُ الحنطة، فأتاه فسلّم عليه، فلم يردَّ السلام، وكرّرها ثلاثاً، ثم قال الرجل الأعمى أينَ السلام بهذه البلاد؟ فقال له الرسول ما قصتُك، فقال الرجل أُسرتُ يوماً وعرَضوني على ملك الروم، وطلب مني أن أتنصر فأبيت، فكان جزائي أنْ أفقدوني بصري، وكلَّ يومٍ يجلبون لي حنطةً أطحنُها وبخبزٍ آكلهُ. فسار الرسول إلى عمر بن عبد العزيز وأخبره قصة الأسير، فلما انتهى من القصة بكى الخليفة، وذرفتْ دموعُه غزيرةً على وجهه، وأمر بكاتبهِ فكتبَ إلى ملكِ الروم: (أما بعدُ فقد بلغني خبر فلان وفلان –فوصف له صفته– وأنا أقسم بالله لئن لم ترسله إليَّ لأبعثن إليك جنوداً يكون أولهم عندك وآخرهم عندي)، وسار رسول الخليفة إلى ملك الروم واستعجب رجوعه إلى البلاد بسرعة فناوله الكتاب فقرأه وقال(ما نحملُ الرجلَ الصالح على هذا بل نبعثُه إليه)، فأُرسِل الرجلُ مع الرسول[1].

وفي عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك وأخيه هشام بن عبد الملك[2] قامت العديد من الحروب مع الأعداء أدت إلى أسر عدد كبير من المسلمين، لكن التحرير الذي حدث في عهْدِهم قد تمَّ بجهدٍ عسكريٍ وليس سياسياً، لذلك سنذكره إن شاء اللهُ في موضعه من الفصل الثاني.

رغم اتساع دائرة الحروب في العصر الأموي مع البيزنطيين، إلا أنه لم تجري مفاداة أو تبادلٌ للأسرى بالشكل الواضحِ المعروفِ مثل ما حفل به العصرُ العباسيُّ فيما بعد. وقد علل ذلك إبراهيم العدوي بأن المراجعَ لم تُشرْ إلى هذه الفداءات إلا إشاراتٍ عابرةٍ عن طريق اتصالاتٍ دبلوماسيةٍ لإطلاق سراح بعض الشخصياتِ أو فداء حالات فرديةٍ، وذلك لإعطاء حسنُ النيةِ من جانب البيزنطيين للأمويين أو للتمهيدِ لعقْدِ هدنةٍ أو معاهدة[3].

وتولّى بعد هؤلاء الخلفاء الأقوياء خلفاءٌ ضعافٌ شغلتهم الحروبُ الداخليةُ، وكان أخطرهَا الانقسام الذي ظهر بين اليمانيةِ والقيسية، حتى وصلت صراعاتهم إلى الأندلسِ، وأحدثتْ حروباً

---

(1) ابن عبد الحكم: سيرة عمر بن عبد العزيز، ص144.

(2) هشام بن عبد الملك تولى الخلافة بعد وفاة يزيد (105 هـ = 723م) كان عمره عند توليته 34 سنة، ولد سنة (72 هـ = 691م) كان يسكن بالرصافة وأمه من بني مخزوم. الطبري: تاريخ الرسل، ج4، ص111؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص233.

(3) الأمويون والبيزنطيون، البحر الأبيض المتوسط بحيرة إسلامية، دار رياض الصالحين، ط1، 1414هـ/1994م، ص218.

دامتْ سنواتٍ طويلةً شغلتِ الحكام فيها[1]، كان أشهر هذه الصراعات مع الـشيعة[2] والخـوارج[3] وغيرهم من الطوائف التي نازعت الأمويين الحكم والسلطة وكان لذلك الأثر السلبي علـى مـسيرة الفتح الإسلامي.

ثانياً: جهود المسلمين السياسية في تحرير أسراهم في العهد العباسي:

وصلَ العباسيون إلى الحكم بعدَ أن انتصروا على الأمويين في معركةِ الزاب سـنة (132 هـ – 749م) وتولى خلفاءُ أقوياءُ قادوا البلاد إلى أزهي عصور الدولة الإسـلامية، ولعبـوا دوراً هاما في تحرير الأسرى من الأعداء خصوصاً في العهدِ الأولِ للدولةِ العباسية (132 هـ – 232 هـ / 750م – 847م). [4]

اتخذت الحروبُ بين المسلمين والروم البيزنطيين زمن العصر العباسيِ الأول شكل غـاراتٍ ومناوراتٍ توالتْ في عهْدِ الخلفاء العباسيّين وحكام بيزنطةَ. وكان كـل طـرفٍ ينتهـزُ الظـروفَ المناسبةَ، فيجتازُ حدودَ خصْمهِ ويهاجمُه ويدّمرهُ، ويغنمْ ويأسِرُ، ثم يعودُ لقواعدهِ ثانية[5].

وقد أدى ذلك إلى وجود أعدادٍ هائلةٍ من الأسرى لدى الطرفين، وكلاهما مهتمٌّ بأسراه، ولكن المسلمين كانوا أشدَّ اهتماماً وحباً لأسراهم من الكفار، فهمْ جنودُ الله علـى الأرضِ يـدافعون عـن بلادهم وعقيدتهم لرفْعِ راية التوحيد بين دول العالم، والأسْرُ قد يقع على أفرادِ الجيشِ المنتصر، كما يقع على أفراد الجيش المهزوم، فلا غرابةَ أن يقع أهل البلاد الإسلامية من مسلمين وذميين في أسر الأعداء وهذه نتيجةٌ حتميةٌ للقتال. وقد اعتنى الخلفاء العباسيون في إطلاق سراح أسراهم ومفـاداتهم بالمالِ والرجالِ، فخاضوا حروباً من أجلهِم، وبادروا إلى معاهدات تبادلٍ بينهم وبين الروم لإطـلاقِ سراح كل أسيرٍ مسلمٍ من ذكر أو أنثى. فقد عملوا على طول ساحل البحر المتوسط نقـاط للمراقبـة

---

(1) ابن الأثير: الكامل، ج2، ص351.

(2) ظهرت كدعوة بعد مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما، في كربلاء سنة (61 هـ= 681م) يوم عاشوراء. الشهرستاني، أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد: الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ط 1، مكتبة ومطبعة مصطفى، القاهرة، 1396 هـ – 1976م، ص146 – 147 ، ج1.

(3) بعد معركة صفين بين علي ﷺ ومعاوية لم يرض الخوارج بالحكم وخرجوا على علي ﷺ ، فحاربهم علـي ﷺ في معركة النهروان (38 هـ = 658م) ويعدها قتلوه غدراً. الشهرستاني: الملل والنحل، ج1، ص114.

(4) فوزي، فاروق عمر: الثورة العباسية دراسة تاريخية لواجهاتها الدينية والسياسية ولـدور العرب في نجاحهـا (98 – 132 هـ / 716 – 749م) دار الشروق، 2001م، عمان، الأردن، ص143؛ الخضري، محمـد بـك: الدولة الأموية محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية، تدقيق نحوي عباس، مؤسسة المختـار، 2003، ص432؛ الحسن ، عيسى: الدولة الأموية عوامل البناء وأسباب الانهيار، مكتب بيروت، ط 9، 2001م، ص440.

(5) لمعرفة الغارات بين العباسيين والبيزنطيين انظر:اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج1 ، ص286؛ الطبري: تاريخ الرسل، ج5، ص37؛ المسعودي: مروج الذهب، ج1، ص147؛ ابن الجوزي:المنتظم، ج3، ص180؛ ابـن الأثيـر: الكامـل، ج3، ص107؛ ابن العديم: بغية الطلب، ج2، ص229؛ ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة، ج1،ص 186.

تدعى الرَّبْط، حيث يتم فيها افتداء الأسرى المسلمين، ومن نقاط المراقبة والتي يجري فيهـا افتـداء الأسرى المسلمين غزة، ميماس [1]، قلعة أسدود[2]، قلعة يبنا[3]، يافا[4]، وأرسوف[5][6].

وابتدأ الفداء بعهد الخليفة العباسي الثاني أبو جعفر المنصور[7] مؤسس الدولة العباسـية والـذي تولى الخلافة وبنى مدينة بغداد [8] سنة (149 هـ =766 م) حتى يحفظ للخلافة مكانتهـا[9]. وقـد عُرِف أبو جعفر المنصور بحبه للناس، وخوفه على مصالحهم، وعنايتـه بـشؤونِ دولتـهِ، وكـرهَ الترف، وعدَّه المؤرخون من النُساكِ في ملكه، بخيلاً إلا عند النوائب[10].

وبعد تمكينِ ملكه واستتباب أمور دولته، نظر في شؤون رعيته فهاله وجود أسرى مـسلمين قاطنين في قاليقلا بأرمينيا [11]، منذ العهد الأموي، فقام بتحريرهم سنة (139 هـــ = 756م) [12]، وإعادتهم لبلادهم[13].

---

(1) ميماس أو ميوما مدينة غرب غزة على ساحل البحر وهي ميناء غزة. الأصطخري: المسالك والممالك، ص44.

(2) قلعة أسدود تقع في مدينة أسدود شمال مدينة عسقلان وجنوب يافا. المقدسي: أحسن التقاسيم، ص147 .

(3) يبنا مدينة قديمة لها قلعة بالقرب من الرملة . المقدسي: أحسن التقاسيم، ص174.

(4) يافا مدينة على ساحل البحر شمال عسقلان. المقدسي: م،ن، ص174.

(5) أرسوف مدينة على ساحل البحر المتوسط بين قيسارية ويافا. ياقوت: معجم، ج1، ص207.

(6) المسحال، حسن إبراهيم: غزة والداروم ودورهما فـي الـصراع الـصليبي الإسـلامي (492-690/1099-1291م)، إشراف أ.د علية عبد السميع الجنزوري، د. عصام ناجي سيسالم، رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس بالقاهرة، 2003م، ص30-13.

(7) أبو جعفر المنصور، ولد سنة (95 هـ = 713م) وهو مهاب سفاك ذو دهاء وحزم في تدبير الأمور ويغلب عليه الصمت وعلى ظاهر أحواله الصلاح، أمه سلامة بربرية وصف بالخيل لقب بالدوانيقي مدة خلافته 22 سنة، طويل، أسمر، رحب الصدر، خفيف اللحية، توفي محرماً بالحج سنة (258 هـ =871م) وعمره 64 سنة، ودفن ببئر ميمون. ابـن سـعد: الطبقات، ج7، ص326؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج3، ص153؛ الذهبي: سير، ج8، ص112.

(8) مدينة بغداد دار السلام، وهو اسم فارسي معرب بغ أي صنم وداد أي أعطى الصنم أعطاني، ولكن سماها أبـو جعفر مدينة السلام، لأن السلام هو الله وهي مدينة الله، ومدينة المنـصور. البكـري: معجـم اسـتعجم، ج1، ص261؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص456-457.

(9) الطبري: تاريخ الرسل، ج4، ص457؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج6، ص251.

(10) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج7، ص326؛ ابن خلكان وفيات الأعيان، ج3، ص153، الذهبي: سـير أعـلام النبلاء، ج8، ص112.

(11) قاليقلا: بارمينيه العظمى من نواحي خلاط، ثم من نواحي منازجرد من نواحي أرمينية الصغرى، وهي علـى اسم ملكة قالي التي بنت المدينة وسمتها قالي قاله إي إحسان قالي، وصورت نفسها على أبواب المدينة، وعربها العرب فقالوا قاليقلا. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4، ص299 – 200.

(12) الطبري: تاريخ الرسل، ج4، ص352؛ ابن شداد: عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم بـن شـداد: الأعـلاق الخطيرة في ذاكرة أمراء الشام والجزيـرة، تحقيـق: زكريـا عبـارة، منـشورات وزارة الثقافـة، دمـشق، 1412هـ/1991م ج2، ص227.

(13) ابن الأثير: الكامل، ج5، ص119.

ولذلك ذكر المؤرخون أنه كان بخيلاً إلا عند النوائب، فقد أنقذ هؤلاءِ الأسـرى المسلمين بالمال دونَ النظر لكمية المال المدفوع، فالمهمُّ عنده كان حريةَ الأسرى وتحريرهم من سجون العدوِّ بأي ثمنٍ كان، إذ عدَّ نفسه المسئولَ الأول والأخيرَ عن كلِّ مسلمٍ يقطنُ في بلاده أو أسيرٍ مسجونٍ في بلاد العدو.

ويُعدُ الخليفة هارون الرشيد " من الخلفاء الأقوياء العظام الذين يشهد لهم التاريخ بالسياسة والحنكةِ والقوةِ، بالإضافةِ لقوة الدينِ والعقيدةِ، لذلك كانت سيرته عطرةً في بلاد الإسلام، وقد هابته الروم وأعطته الجزية وهي صاغرة ذليلة[1]، كيف لا وقد كان قائماً بالحق والعدلِ، يخافَ الله في نفسه وماله، كثير البكاء من خشيته يتعبده دون انقطاع. [2]

إن الرشيد خافَ الله في الرعيةِ، وسعى لتحرير الأسرى بكلِّ الوسائل المتاحة له، وهو الخليفةُ الذي حدثَ في عهدهِ فداءٌ للأسرى، واشتهر بعدد من فودي، وكان الفداءُ في عام (189 هـ = 805م) [3] وقد ذكره ابن الأثير [4]في حوادث هذه السنة؛ لكن الطبري ذكر أنه حدثَ فداء قبل ذلك مع الرشيد في عام (181 هـ = 797م)، وقال إنه الفداء الأول لبني العباس[5]؛ لكنني أخالفه في ذلك، لأن الفداء الأول كان في عهد أبي جعفر المنصور سنة (138 هـ = 755م) [6]، وقد أكد ذلك الطبري وابن شداد في تاريخه. والفداء الثاني ذكره الطبري مع الرشيد سنة (189 هـ = 805م) في حوادث هذه السنة ولم يذكرْ فداءً حدث في سنة (181 هـ = 797م) كما ذكر ابن الأثير[7].

والأرجحُ ما دونه الطبري في تاريخه؛ لأن المصدرَ الأساسي لكتابات ابن الأثير هو الطبري، وهو أقدم منه وأقرب زمناً للحادثة منه، ولعل ابن الأثير قد فاته الفداء الذي قام به الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، كذلك ما أكده ابن الجوزي عندما ذكر حوادث سنة (189 هـ =

---

(1) الطبري: تاريخ الرسل، ج5، ص37، ابن الجوزي: المنتظم، ج3، ص180. ابن العديم: بغية الطلب، ج2، ص145؛ ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ج2، ص229.

(5)ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج4، ص277.

(2) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص685.

(3) ابن الأثير: الكامل، ج5، ص339.

(4) م.ن، ج5، ص339.

(5) الطبري: تاريخ الرسل، ج4، ص352؛ ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ج1، ص227.

(6) م.ن، ج4، ص352؛ ابن الأثير: الكامل، ج5، ص312.

(7) ابن الأثير: الكامل، ج5، ص312.

805م) حيث تحدث عن الفداء بين المسلمين والروم في عهد الخليفة هارون الرشيد[1] ولـــم يـــذكر فداء حدث قبل ذلك مع الرشيد، وأيضاً ابن شداد تحدث عن الحدث نفسه في تلك السنة فـــي كتابـــه، ولم يذكر سنة حدث فيها فداء قبلها[2].

تم هذا الفداءَ في سواحل البحر المتوسط باللامس[3] قريباً من طرسوس[4]، فـــي ســـنة (189 هـــ = 805م)، وكان ملك الروم يومئذ نِقْفور بن آليون[5] وقد طلبَ أميرُ المؤمنين هارون الرشيد مـــن ابنه القاسمِ الملقّب بالمؤتَمَن أن يتولّى مهمةَ الفداءِ مع الرومِ وكان القاسم معسكِراً بمرْجِ دابِق[6][7].

وحضر هذا الفداءَ من الثغور وأهل الأمصار نحوُ خمسمائةِ ألف إنسانٍ بأحسنِ ما يكونـــون من العدةِ والخيلِ والسلاحِ والقوةِ، قد أخذوا السهل والجبل فضاق بهم المكان. وحـــضرت مراكـــبُ الروم الحربيةُ بأعظمِ هيبةٍ ومعهم أسارى المسلمين، فكانَ عددُ من فوديَ به من المسلمين على مدار اثني عشر يوماً ثلاثةَ آلافٍ وسبعمائة أسيرٍ من ذكرٍ وأنثى. [8] ولم يبق أسيرٌ مسلمٌ في بلاد الـــروم إلا فوديَ به[9].

وبعد أن تم الفداء أخذ القاسم بن الرشيد الأسرى المسلمين، ومكث بعد الفداء أربعين يومـــاً في طرسوس، لترتيب أمور الأسرى وإرجاعهم إلى أهليهم سالمين، مهيئين أنفسهم للعودة للبلاد[10].

---

(1) المنتظم ،ج 3، ص173.

(2) الأعلاق الخطيرة، ج1، ص248.

(3) لامس بالسين المهملة وكسر الميم، هي قرية على شاطئ البحر المتوسط من ناحية ثغر طرسوس. ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج5، ص8.

(4) طرسوس بضم أوله وسكون ثانية معروف من الثغور الجزرية، وهي كلمة أعجمية رومية، تقع بـــين أنطاكيـــا وحلب ولها ستة أبواب، ويشقها نهر البردون، ويوجد قبر المأمون بها. البكـــري: معجـــم مـــا اســـتعجم، ج3، ص890؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4، ص28.

(5) نقفور الأول بن قسطنطين السادس، تولى بعد الإمبراطورة أيرين من (802-811م)، عرف بالمهارة والكفايـــة، قتل نفسه سنة (195 هـــ= 811م) عندما هاجمه البلغار ليلاً وهزموه، وأخذوا جمجمته واحتسوا بها الشراب . عاشور، عبد الفتاح: أوروبا العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، ج1، ط6، 1991م، ص409-410.

(6) مرج دابق: بالفتح ثم بالسكون وهي أرض واسعة من بلاد قنسرين من أعمال حلب. ياقوت الحمـــوي: معجـــم البلدان، ج5، ص100.

(7) الطبري: تاريخ الرسل، ج4، ص352.

(8) المقريزي، تقي الدين أحمد المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار،المعروف بـــالخطط المقريزيـــة، تحقيق: مصطفى زيادة، بيروت، دار صادر،ط1970،1م ، ج2، ص378.

(9) الطبري: تاريخ الرسل، ج4، ص352؛ ابن شداد: الأعلاق، ج1، ص248.

(10) المقريزي،ج 2، ص378.

وقد تغنى الشعراء بهذا الحدث فمدحوا الخليفة أمير المؤمنين هارون الرشيد بأبيات منها:

وفُكَّتْ بِكَ الأسَرى التي شُيِّدَتْ لها   محابِسُ ما فيها حَمِيمٌ يَزورُها.

على حِين أعَيا المسلمينَ فِكاكُها   وقالوا: سُجُونُ المُشرِكينَ قبورُها[1]

ويلاحظُ كثرةُ عدد أسرى المسلمين الذين تمَّ فداؤهم من الروم، إذ بلغَ ثلاثةَ آلافٍ وسبعمائةِ أسيرٍ، ولم تحّددُ المصادرُ أكان الفداءُ بالمالِ أو بالنفرِ، أو معاهَدةٍ بينهما، لكن الأرجح أنـه بـالنفر، وذلكَ لطول مدة الفداء بين الطرفيْن، الذي وصل إلى اثني عشر يوماً، المهمُّ أنه كان فداء عظيمـاً، أشرف عليه ابنُ الخليفةِ بنفسه. ومما يدلُّ على اهتمام الخليفة بالأسرى وسلامتهم وصول القاسم إلى المكان قبل الفداء بأربعين يوماً، وكذلك بعد أن تم الفداء مكث أربعين يوماً[2] حتـى يطمـئن علـى سلامتهم وعودتهم إلى ذويهم، وهذا يؤكد العدد الكبير الذي تطلب الحيطة والحذر، كما يؤكد سياسة الدولة العباسية المُكرِّمة للأسرى والمهتمة بإطلاق سراحهم.

إن هذا الفداء للأسرى المسلمين وما ذكرته المصادر الإسلامية عنه، ومدحه من الـشعراء، ما هو إلا تعظيمٌ لما قام به أميرُ المؤمنين هارون الرشيد، وتشجيعٌ له للمثابرة فـي الفكـاكِ الـدائمِ للأسرى. كذلك يدلُّ على مدى اهتمامِ مثقفي الرعية بموضوعِ الأسرى، لذلك عاودَ أمير المـؤمنين هارون الرشيد فكاك الأسرى من أيدي الأعداء، بعد أن وقعت أعداد منهم بأيدي الروم علـى إثـر المعارك العديدة التي خاضها الخليفة وأبناؤه ضدهم[3]، إذ قام عام (192هـ = 808م) بإرسال ثابتٍ بن نصر بن مالكٍ الخزاعي أميرِ الثغورِ الشامية[4] لفداء الأسرى المسلمين الذين قُدِّر عددُهم بـألفين وخمسمائةِ أسيرٍ مسلمٍ من ذكر وأنثى[5]، وتوجه ثابت بن نصر بجانب نهر البدندون[6] وتـم الفـداءُ على مدار سبعة أيامٍ متوالياتٍ حتى تم استنقاذ جميع الأسرى من يد الروم[7].

---

(1) الطبري: تاريخ الرسل، ج4، ص675؛ ابن الأثير: الكامل، ج5، ص339؛ ابن شداد: الأعلاق الخطيـرة، ج1، ص248. .

(2) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج2، ص387.

(3) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج1، ص286؛ الطبري: تاريخ الرسل، ج5، ص37؛ ابن الجـوزي: المنـتظم، ج3، ص180؛ ابن العديم: بغية الطلب، ج2، ص145؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج3، ص351؛ ابـن خلـدون، ج2، ص229، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج1، ص186.

(4) كان الرشيد قد استعمل على الثغور ثابت بن نصر بن مالك هذا، وقام الأمير بفتح مطمورة سنة (192 هـ = 808م) لذلك بعد تجربة عسكرية معه قام بإرساله إلى هذه المهمة العظيمة. الطبـري: تـاريخ الرسـل: ج5، ص11؛ ابن الأثير: الكامل، ج5، ص351.

(5) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج2، ص378.

(6) نهر في ثغر طرسوس، مجيئه من بلاد الروم، يصب في البحر المتوسط على بعد ستة أميالٍ مـن طرسـوس. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج1، ص376.

(7) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج2، ص378.

إن ما يقوم به الخلفاء من مفاداة الأسرى القاطنين في سجون الأعداء، نابع من منطلق أن المسلمين إخوة، وأنهم كالجسد الواحد، وبخاصة الجندي المسلم الذي وقع أسيراً في أيدي الكفار وهو يدافع عن أرضه وعرضه ودينه.

توفي الخليفة أمير المؤمنين هارون الرشيد في عام (193 هـ = 809م) وهو يجاهد في طوس[1]، ودفن هناك، وخلافته كانت ثلاثًا وعشرين سنة، وقضى حياته بين الجهاد والحج فكان يغزو عاماً ويحجُّ عاماً وإذا لم يحجَّ عامه يحجّجُ العلماءَ والفقهاءَ في هذا العام[2].

وعن خلافَتهِ وسيرَته قال أبو المعالي الكلابي يمدحه:

فمنْ يَطلُبْ لقاءَكَ أو يُرِدْهُ	فَبالحَرَميْن أو أقصى الثغورِ
فَفَي أَرْضِ العَدُوِّ على طُمُرٍ	وفي أرضِ التَّرفّهِ فَوْقَ كُورِ
وما حازَ الثغورَ سِواكَ خَلْقٌ	مِنَ المُتخلِّفينَ على الأُمورِ[3]

وهذه الأبيات تؤكد حياته –رحمه الله– طيلة ثلاثٍ وعشرين سنة من خلافته.

لقد بلغ الذين فاداهم هارون الرشيد من الأسرى سبعةَ آلافٍ ومائتي أسير من ذكر وأنثى حتى لم يبقَ في حياتهِ أسيرٌ مسلمٌ واحدٌ في يد الروم يفتدى به، إنه من الرجال الذين أعزوا الإسلام فأعزهم الله.

تولى الخلافة محمد الأمين[4] بعد وفاة والده هارون الرشيد سنة (193 هـ = 809م) وعندما أراد تنحية أخيه المأمون[5]عن ولاية العهد وأخذ البيعة لابنه موسى ولقبه الناطق بالحق،

---

(1) طوس: فتحت في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه وفيها آثار إسلامية جليلة والإمام أبو حامد الغزالي من طوس. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص49.

(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج5، ص277.

(3) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص677.

(4) أبو عبد الله محمد بن الرشيد بن هارون المهدي، أمه زبيدة بنت الأمير جعفر المنصور، كان مليحاً بديع الحسن وسيماً ذا قوة وشجاعة، أدبه الكسائي، كان فيه سوء إدارة وقيل عنه ما ولي الخلافة هاشم إلا علي كرم الله وجهه والأمين، بويع الخلافة وعمره 5 سنين وتوفي سنة (198 هـ = 810م). ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج4، ص410؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج98، ص334 – 335.

(5) المأمون بن عبد الله بن هارون الرشيد بن المهدي محمد بن المنصور ولد سنة (170 هـ = 786م) بدع في الفقه والعربية وأيام الناس، اعتنى بالفلسفة، كان حازماً وحليماً وذو دهاء، وحكمة وشجاعة، توفي سنة (218 هـ = 833م) ودفن بطرسوس. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج4، ص39؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج10، ص272؛ العصامي، عبد الملك بن حسين عبد الملك الشافعي العصامي: سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد عبد الوجود، علي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت 1419 هـ – 1998م، د.ط، ص216.

دارتْ حروبٌ بينهما أدت إلى مقتل الأمين وتولي المأمون الخلافة (سنة 198 هـ – 815م) ورغم أن خلافة الأمين لم تتعَّد الخمسَ سنواتٍ [1]، ورغم الصراعات والأحداث التي دارت في عهْده مع أخيهِ المأمون؛ إلا أنه قام بفداء أسرى مسلمين من يد الروم قبل وفاتِهِ بشهْر، أيْ في ذي القعدةِ سنة (198 هـ = 810م) وتمَّ ذلك على يد ثابت بن نصر أميرِ الثغورِ الشامية منذُ زمنِ والده[2].

كما اهتَّم المأمون بتحريرِ الأسرى، فقد خلَفَ والدهُ بالغزْوِ والجهادِ وتحصين الثغور الشامية والمناطق الواقعة شمال الجزيرة الفراتية من الأعداء[3]، وقد وقع في هذه الفترةِ من حروبهِ وهي حوالي سبع سنين أسرى مسلمون في الأسر، فراسل المأمون الروم وطلب فداء الأسرى من أيديهم[4] فتمَّ الفداءُ سنة (201 هـ = 816م) على يدِ ثابت بن نصر أميرِ الثغور الشامية والجزُرِية، واستنْقَذ الأسرى المسلمين من الأعداء الروم.

كما قام الخليفة المأمون بدور مهم في خلافته بإطلاق سراح أسرى المسلمين، كان ذلك سلْماً بمعاهدات و اتفاقات مع الروم، و بأخْذِ الأسرى بالقوةِ العسكريةِ، وذلك ما سوف نذكره في الفصل الثاني.

وبعدَ وفاةِ المأمونِ سنة (218 هـ – 833م) تولى الخلافة الخليفة المعتصم [5]الذي تم في عهده فتح عمورية[6] وهي أعظم فتوح الإسلام [7]. وتم فيها استنقاذ الأسرى المسلمين بالقوة العسكرية، وسوف نذكر ذلك في الفصل الثاني من هذه الدراسة. ولكن لم يحدث في عهده فداء للأسرى بالمال أو بالنفر.

---

(1) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج4، ص39.

(2) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج2، ص397.

(3) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج7، ص345؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4، ص28؛ العصامي: سمط النجوم، ج2، ص210؛ الزبيدي، فخري: الموجز المنتخب. في حوادث وأخبار هارون الرشيد ودولة وجند العرب في خلافة بني العباس، دار اليوسف، بيروت ، ط 1، 2003، 2004 ص62 ، 72.

(4) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج2، ص397.

(5) أبو إسحاق المعتصم محمد بن هارون الرشيد بن المهدي العباسي، كان أبيض أصهب اللحية طويلاً، مشرق اللون قوياً للغاية، شجاعاً شهماً مهاباً' كان مسرفاً على نفسه، ولد سنة (180 هـ = 796م) في شعبان، فتح ثمان فتوح، عمورية، بابك، الزط، وقلعة الأحزان وأذربيجان، وديار ربيعة وأرمينية، توفي سنة (227 هـ = 842م) وعمره سبع وأربعون سنة رحمه الله. الذهبي: العبر في خبر من غبر ، ج1 ، ص75.

(6) بلده على شاطئ العاصي بين فامية وشيزر لها دخل وافر ولها رحي تغل مالاً. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4، ص158.

(7) الطبري: تاريخ الرسل، ج5، ص235، ابن كثير: البداية والنهاية، ج1، ص286.

توفيَّ المعتصمُ سنة (227 هـ = 842م)، وتولى بعده ابنُه الواثقُ بالله[1]، وفي عهده تم فداءٌ شهيِّر بين الروم والمسلمين، فقد طلب ملك الروم ميخائيل الثالث بن ثيوفيل[2]، من الواثق بالله الخليفة العباسي المفاداة بالأسرى الذين عنده من أسرى المسلمين، وقام بذلك الخادم خاقان التركي، وعددُ من فوديَّ من المسلمين أربعةُ آلافٍ واثنان وستونَ من ذكر وأنثى[3] وقيلَ فدى أربعةَ آلافٍ وستمائة نفسٍ من ذكر وأنثى[4].

وكان ذلك في محرم سنة (231 هـ = 846م)، وكان الواثقُ قد أمرَ بفداءِ الأسرى بعد الامتحان بفتنة خلق القرآن[5].

وقد أرسل قاضي القضاةِ أحمد بن أبي دؤاد [6] ليمتحنَ الأسرى وقت المفاداةِ فمن قال إن القرآنَ مخلوقٌ فودي وأحسنَ إليه ومن قال غيرَ ذلك تُرِكَ ولم يُفْدَ[7].

إن من أعظم الأخطاء التي وقع بها بعض الحكام في الدولة الإسلامية هو التمييز بين الأسرى المسلمين، فعندما تذكر المصادرُ ما قام به الخليفة الواثق بالله بامتحان الأسرى، ومن لم يقلْ إن القرآن مخلوقٌ يرجعُ إلى الرومِ يُعَّدُ استخفافاً بحقِّ الأسيرِ المسلمِ الذي يخالف بالاجتهاد والرأي على دولتهِ وحكامهِ وإهداراً لكرامته وحريته مما يؤدي إلى إضعاف الجبهة الداخليةِ وخلقِ الضغينةِ بين أبناء الأمةِ الإسلاميةِ الواحدة.

---

(1) الواثق بالله أبو جعفر وأبو القاسم هارون بن المعتصم بالله وأمه رومية اسمها قراطيس أدركت خلافته ولد سنة (196 هـ = 812م) وقبل موته تاب عن قوله بخلق القرآن مات بسامرا سنة (232 هـ = 847م). الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج1، ص314.

(2) تولى الحكم سنة (842–867م) وعمره 4 سنوات تولت الوصاية عنه أمه الإمبراطورة ثيودورا لقب السكير، قتله باسيل الأول الصقلبي واستولى على حكم البلاد، والده استولى على زبطرة زمن المعتصم. عاشور: أوروبا، ج1، ص415، 417.

(3) الطبري: تاريخ الرسل: ج7، ص324؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج2، ص378.

(4) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج10، ص312.

(5) سنة (212 هـ = 827م) شجع المأمون بن هارون الرشيد قضية أن القرآن مخلوق وهذا الأمر دسه إليه ابن أبي دؤاد وكان الأمر جدلياً في البداية، ثم عظم حتى امتحن فيه العلماء سنة (218 هـ= 833م) وكان يقول: ما به قول الدواب والجمال والحمير فهو مخلوق، وغير ذلك فهو غير مخلوق، وقد عذب أحمد بن حنبل على هذه القضية. العصامي: سمط النجوم، ص216.

(6) أحمد بن أبي داود نشأ بعلم الكلام، أحد رؤوس المعتزلة، كان فصيحاً كريماً كان معظماً عند المأمون يقبل شفاعته، وهو الذي دس له بخلق القرآن، وحسنه عنده، حتى صير يعتقده حقاً مبيناً، وهو الذي أشار بامتحان العلماء عليه. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج4، ص308.

(7) الطبري: تاريخ الرسل، ج7، ص324؛ الذهبي: سير، ج10، ص312؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج2، ص378.

ولما اجتمعَ الرومُ والمسلمونَ للفداءِ على نهرِ اللامسِ، وقف المسلموُن من الجانب الـشرقيِّ والروم من الجانبِ الغربي، فكان الروم يرسلون من عندهم الأسير المسلم، وكذلك المسلمون يرسلون الأسيرَ الروميَّ، وإذا وصلَ الأسيرُ المسلمُ إلى المسلمين كبّر المسلمونَ وعلا تكبيرُهم، وإذا وصل الأسير الرومي إلى الروم تكلموا شبيهاً بالتكبير[1]. واستمرَّ ذلك على مدارِ عشرةِ أيامٍ، وكان ملك الروم قد طلب الفداء من الواثق أن يكون نفسُ بنفس[2].

وكانت هناك مراسلاتٌ بين ابن الزيّاتِ رسول الخليفة الواثق بالله وبين ملك الروم، بأن لا يأخذوا في الفداء امرأة عجوزاً أو شيخاً كبيراً ولا صبياً، وعندما رفض المسلمون ذلك قرروا كل نفس بنفس[3].

فتوجه الواثق إلى بغدادَ والرقةِ في شراءِ من يُباعُ من الرقيقِ من المماليك فاشترى ما قَدِرَ عليه لكي تتمَّ العهدةُ، وكذلك أخرجَ من قصرهِ الرومياتِ العجائزَ وغيرهن حتى تمتِ العِدَّة[4]، وتمَّ الفداءُ على يد أميرِ الثغورِ الشامية أحمد بن سعد بن مسلم الباهلي[5].

وحدث في الفداء رجل برجُلٍ وامرأةٌ بامرأةٍ، والواضح أن عدد الأسرى الروم عند المسلمين كان أقلَّ من عددِ أسرى المسلمينَ عند الروم؛ لذلك قامَ الواثق باللهِ بإحضارِ مائةِ نفسٍ روميةٍ إضافةً للعددِ فدى بها ثلاثين مسلماً تنصروا ببلاد الروم كرهاً [6].

إن من قال بأن القرآن مخلوقٌ أعطيَّ ديناران وثوبان، وبلغ عددهم خمسمائة رجل وسبعمائة امرأة[7]، ومن جملة عدد الأسرى البالغ أربعة آلاف وأربعمائة وستين أسيراً[8]، أي بقي ثلاثة آلاف وثمانمائة وتسعين أسيراً؛ لكن لم يُرَدُّوا إلى دار النصرانية كما قيل، بل لم يأخذوا الدينارين والثوبين[9]، وهذا الأرجح لأنه لا يعقل أن يرد أربعة آلاف أسير وهو فداء النفس بالنفس،

---

(1) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج2، ص 378.
(2) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج1، ص308.
(3) م.ن، ج1، ص308؛ الطبري: تاريخ الرسل، ج7، ص332.
(4) الطبري: تاريخ الرسل، ج7، ص332
(5) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج2، ص378؛ ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج1، ص266؛ الخضري: الدولة العباسية، ص236.
(6) الطبري: تاريخ الرسل، ج7، ص334
(7) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي: ج1، ص308.
(8) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج10، ص312 .
(9) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي: ج1، ص308.

كذلك ما قام الخليفة الواثق بالله من شراء للرقيق بالأموال لاكتمال العدد، فكيــف يُرجِــعُ أســرى مسلمين إلى النصارى، وقد فدى المسلمين الذين تنصروا[1].

وهذا ينافي طبيعة الدولة الإسلامية والخلفاء وأخلاقهم في تحريرِ أسراهم، رغم أنّ محنــة خلــقِ القرآنِ عانى منها العلماءُ والأئمةُ من المسلمين[2]؛ لكن لا يعني أن تصل مخالفتهم للواثق درجــة أن يقعَ الأسيرَ المسلمُ في يد المسلمينَ ثم يُرّدُ إلى المشركين بعد فكاكهِ من يد الأعداء الروم.

وقد خافَ الرومُ من قلةِ عددهِم وكثرةِ عدد المسلمينَ، فأمّنهم خاقان الخادم مدةَ أربعينَ يومــاً حتى يصل كلا الطرفيْن لبلادهم[3]، وهذا يذكّرنا بما قامّ به القاسم بن الرشيد عندما مكثَ أربعينَ يوماً لمغادرةِ الرومِ وتأمينِ سلامةِ الأسرى؛ والمدةُ كافيةٌ لذلك، وهذه سياسةٌ حكيمةٌ للخلفاءِ العباسيين.

توفيَّ الواثق بالله سنة (232 هــ = 847م) [4] وعمره ستةٌ وثلاثون سنة، وكانتْ خلافتــهُ خمسَ سنينَ وتسعةَ أشهرٍ، وقيل إنه رجعَ قبلَ موتهِ عن القولِ بخلقِ القــرآنِ، وكــان يُــرَددُ عنــد احتضارهِ "يا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكُه"[5].

وهكذا كانت خلافة الواثق بالله من أهم المنعطفاتِ في التاريخ العباسيّ لأنهــا تمثــلُ نهايــة للعصر العباسي الأول الذي يعد أهم عصور الدولة الإسلامية وأكثرها ازدهاراً وحضارة عمرانيــة وفكرية وثقافية.

تولى المتوكل بالله[6] أخو الواثق بالله الخلافةُ بعد وفاة أخيه، وبهذا انتهى العــصر العباســي الأولِ، وبدأ العصرُ العباسيُّ الثاني بما فيه من تغيراتٍ سياسيةٍ في العلاقــاتِ مــع الــرومِ داخليــاً وخارجياً.

---

(1) الطبري: تاريخ الرسل، ج7، ص334.

(2) عذب الإمام أحمد بن حنبل على هذه المحنة لأنه رفض أن يذكر أن القرآن مخلوق، وكبل بالأغلال حتى يسجن، وفي الطريق جاءه خبر وفاة المأمون. العصامي: سمط النجوم، ص216.

(3) الطبري: تاريخ الرسل، ج7، ص332.

(4) العصامي: سمط النجوم، ج2، ص222 .

(5) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1، ص84؛ الصفدي،صلاح الدين خليل بن أيبك: الوافي بالوفيات، تحقيــق: وداد القاضي، ط24،2ج، 1991م ،ج 7، ص368 – 369.

(6) جعفر بن محمد أبو الفضل المعتصم بن الرشيد المتوكل بالله، ولد سنة (207 هــ =822 م) كان أسمر مليحــاً للعين نحيف الجسم قريباً للقصر. أمه أم ولد اسمها شجاع. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج4، ص29.

المبحث الثالث

جهود المسلمين السياسية في تحرير الأسرى منذ بداية العهد العباسي الثاني وحتى بداية الاحتلال الصليبي لبلاد الشام (232 – 491 هـ / 847 – 1098م)

ضعفتِ الخلافة في أواخر العهد العباسي الأول وأصبحت سلطة الخليفةِ مقتصرةً على الأمور الدينية، وسعى أمراءُ الولايات إلى الاستقلال، وأقاموا دويلاتٍ مستقلةً، وحَرِصَتْ هذه الدويلاتُ على إعلانِ تبعيَّتها للدولةِ العباسيةِ عن طريقِ الدعاءِ للخليفة، ونقش اسمه على السِّكَّةِ وإرسَالِ الأموالِ إلى بغداد سنوياً. [1]

لقد قامتِ الدولةُ العباسيةُ في هذه الحقبة بعمليات تبادلٍ للأسرى المسلمين مع الأعداء، وفي كلِّ مرةٍ تطلقُ ما عندهم من الأسرى على فتراتٍ وسنواتٍ متفرقةٍ، وكذلك الدول المستقلة خاضتْ حروباً ومعاركَ ضد الروم، وقامتْ بعمليات شتى، وطرق متعددة، حتى تحررهم من أيدي الأعداء، ولهم مواقف يذكرها التاريخ يتعين على الدارس سردها بالتفصيلِ حتى يعلمَ القارئُ مدى ما قامت به هذه الدولُ من جهودٍ لتحريرِ الأسرى المسلمينَ من يدِ الأعداء.

لقد عانى الأسرى المسلمونَ من الظلمِ الواقعِ عليهم من قبلِ الأعداءِ، فرأوا شتى أنواع التعذيبِ؛ من ترهيبٍ وضربٍ حتى وصلَ الأمرُ بالأعداءِ إلى قتلهم صبْراً إذا لم ينتصروا، وهذا ما قامت به الإمبراطورةُ ثيودورا زوجة ثيوفيل إذ قتلت بدم بارد أسرى المسلمين حينما كَثُرَ الأسرى المسلمون في سجونها، فأرسلت رسولها جورجس بن قريافش إلى الخليفة العباس المتوكل بالله لفداء من ببلاد الروم من أسرى مسلمين[2].

فوجه الخليفة العباسي رسوله الشيعي نصر بن الأزهر بن فرح، وهو من شيعة بني العباس، ليعرفَ صحةَ عددِ من بيدِ الروم من أُسارى مسلمين، ليأمرَ بمفاداتهم فبلغَ عددُهم اثني عشر ألفَ أسير مسلم[3].

---

(1) حول أحوال الدولة العباسية ينظر: الخضري بك: الدولة العباسية، ص452 ، 470؛ الشكعة: مصطفى: سيف الدولة الحمداني أو مملكة السيف ودولة الأقلام، عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبي، القاهرة، ط 2، 1397 هـ / 1977م ، ص9، 24.

(2) الطبري: تاريخ الرسل، ج5، ص321.

(3) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج2، ص378

وقد جرت مفاوضات بين قورش وشنيفاً الخادم يطلب هدنة لمدة ثلاثة شهور فقط ابتداءً من (5 رجب 241 هـ = 855م إلى 7 شوال من العام نفسه) حتى يتم جمع الأسرى للروم من بلاد الإسلام لمفاداتهم بالمثل[1]، وانصرف كلا الطرفين لبلادهم.

بعثَ الخليفةُ المتوكلُ باللهِ كتاباً لأمير الثغورِ الشاميةِ، علي بن يحي الأرمني، [2]يعلمه بأمر المهادنة، لكي يتجَّهزَ ويعد العدة لهذا اللقاء، لكن الإمبراطورةَ قامتْ بعدَ مغادرةِ رسولِ الخليفةِ العباسيِّ بلادَ الروم، باستدعاءِ من بأيديها من الأسرى المسلمينَ، لتعرِضَ عليهم النصرانيةُ فَمَنْ تنصّر يكنْ أسوةً بسكان البلاد الأصليين، فرفض الأسرى التنصُّر وتمسكوا بدينهم العظيمِ، وثَبَّت الله قلوبهم عليه، فقامتْ بقتلِ اثنيْ عشرَ ألف أسيرٍ صبراً، دونَ رحمةٍ ولا شفقة[3].

إن قتل مثل هذا العدد الكبير من الأسرى المسلمين لعدم تنصُّرهم، عملٌ إجراميٌّ منافٍ لكل الشرائع الدينية والإنسانية، وإن تمسك الأسرى بدينهم عمل بطوليٌ وثباتٌ على الحق والقوة، واستخدامُ الإمبراطورةِ للقوة لإجبارِ المسلمينَ على التنصر، أمرٌ فيه تعدٍّ على الدين الإسلامي والمسلمين. وما إن جاءَ موعُد الفداءِ حتى كانَ عددُ من فوديَ من المسلمين الأسرى تسعَ مائةٍ وعشرة أسرى من ذكرٍ وأنثى[4]؛ من الرجال سبعُ مئةٍ وخمسةٌ وثمانون رجلاً ومن النساء مئة وخمسٌ وعشرون امرأة [5].

التقى الفريقان بالأسرى من كلا الطرفين سنة (241 هـ = 855م) على نهر اللامس بإشراف أمير الثغور الشامية علي بن يحيى الأرمني على مدار سبعة أيام متواصلات، وعاد الأسرى المفادون إلى ديارهم وأهليهم[6].

---

(1) الطبري: تاريخ الرسل، ج5، ص321؛ الخضري: الدولة العباسية، ص297 – 248 .

(2) علي بن يحيى الأرمني صاحب الغزو والجهاد ضد الروم، كان شجاعاً له نكاية بالأعداء، ولي ولاية اثناس لسنتين، كان عائداً من أرمينية إلى ميافارقين، فبلغه استشهاد عمر بن عبد الله الأقطع والي أرمينية من قبل الروم، فخرج يطلب الروم، فالتقوه، فقاتل قتالاً شديداً واستشهد هو ومن معه. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج12، ص388؛ الزركلي: الأعلام، ج5، ص31.

(3) الطبري: تاريخ الرسل، ج5، ص321.

(4) م.ن، ج5، ص321.

(5) الخضري بك: الدولة العباسية، ص248 .

(6) الطبري: تاريخ الرسل، ج5، ص321؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج2، ص378؛ ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج1، ص268.

وذكر ابن شداد أن الأسرى قتلوا أولاً ثم بعثوا لفداء من بقى منهم عندما يئسوا منهم[1] أما الطبري فيذكر أنه بعد مغادرة رسول الخليفة العباسي أرض الروم، قاموا بجمعهم وتخييرهم بين القتل أو التنصر، فرفضوا التنصر فقاموا بقتلهم[2] وقد رجحت قول الطبري على ما قالته المصادر الأخرى والدليل هو:

أولاً: أن عدد الأسرى عندما وصل رسول الخليفة أرض الروم، كان يقدّر بعشرين ألف أسير مسلم[3]، وعدد من فودي تسع مائة ألف وعشرة أسير[4]، وعدد من قتل أحد عشر ألف أسير، وهذا يؤكد صحة كلام الطبري بعد مغادرة رسول الخليفة أرض الروم.

ثانياً: إن الطبري ذكر أن بعد مغادرة رسول الخليفة بلاد الروم، قام قنفلة الخصي وزير الإمبراطورة بقَتْل الأسرى غدراً دون علمها[5]، وهذا يدلّ على أنه علمَ بالفداءِ الذي سيتمُّ بين المسلمين والروم فقام بقتلهم غدراً، وهذا يؤكد أن القتل تم بعد مغادرة رسول الخليفة وليس قبل ذلك.

ثالثاً: إن مدة الهدنة بين الطرفين ثلاثة شهور[6]، وهي كافية لأن تقوم الإمبراطورة بجمع الأسرى المسلمين وامتحانهم وقتلهم صبراً، إذا لم يتنصروا .

إن ما شجع الإمبراطورة على القيام بقتل الأسرى المسلمين دون رحمة ، أن الدولة الإسلامية حينما لم تكن ذات قوة كافية تردع من يستبيح هيبتها وعدم الخوف من الدولة الإسلامية، فإن حال الأسرى يقوى بقوة الدولة الإسلامية، ويضعف ويهون بضعفها، وقد رأينا كيف قام مسلمة بن عبد الملك، عندما هادن ملك الرومِ وهو محاصَرٌ بالقسطنطينية ، فقد فَرَضَ عليه بناءَ دارٍ خصيصاً للأسرى المسلمين بجانب قصره لتفقُّدهِم والاهتمامِ بهم، وبالفعلِ بنى ملكُ الرومِ دار البلاط[7]. لقد كان على الخليفة العباسي المتوكل بالله أن يتخذ إجراء صارماً ضد حاكم الروم لارتكابه مثل هذه المجزرة البشعة في حق الأسرى المسلمين، وهذا يدل على مدى ضعف الخليفة

---

(1) الأعلاق الخطيرة، ج1، ص268.

(2) تاريخ الرسل، ج5، ص321.

(3) م،ن، ج5، ص321؛ ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج1، ص268.

(4) م.ن، ج2، ص329؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار ،ج2، ص278؛ ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج1، ص268؛ الخضري، الدولة العباسية، ص248.

5) الطبري : تاريخ الرسل ، ج5، ص321

(6) م.ن، ج5 ، ص321؛ ابن شداد : الأعلاق الخطيرة، 12، ص268.

(7) المقدسي، محمد بن أحمد: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: غازي طليمات، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق، 1410هـ/ 1980م، ج1 ، ص138.

وعدم المقدرة على الانتقام لأرواح هؤلاء الشهداء واستغلال البيزنطيين ضعف الحكام بإظهار حبهم لإراقة هذه الدماء الطاهرة.

غزا علي بن يحي الأرميني مدينة كركرة بعد أن انتفض أهلها على بطريقهم وقاموا بتسليمه إلى بعض موالي المتوكل بالله، فأطلق ملك الروم في فدائه خمسة آلاف أسير من المسلمين.(1)

لقد أيقظ ما قامت به الإمبراطورة ثيودورا –أم ميخائيل– الخليفة العباسي المتوكل بالله ونبههُ إلى قضية الأسرى المسلمين عند الروم، فوجدناه يبادرُ بعملية فداء للأسرى المسلمين من يد الروم عام (246هـ=860م) وأوكل بهذه المهمة إلى أمير الثغور الشامية على بن يحيي ألأرمني ومعه نصر بن الأزهر وملك الروم ميخائيل وحدث التبادل على نهر اللامس، وقد فدى من المسلمين على مدار سبعة أيام ألفين وثلاثمائة وسبعة وستين أسيراً من ذكر وأنثي.(2)

ويعد عدد الأسرى المسلمين في بلاد الروم وقد قارب ألفين وخمسمائة أسير كبيراً بالنظر إلى المدة الزمنية القصيرة التي مضت على آخر عمليةِ فداءٍ، أي من عام (241هـ- 855م إلى 246هـ/860م)

وقد حدث فداء لأسرى المسلمين وأسرى الروم عام (253هـ=867م) على يد شفيع الخادم من قبل الخليفة العباسي المعتز بالله(3)، وملك الروم يؤمئذٍ باسيل الصقلبي، ولكن لم نعلم عدد من فودي من الأسرى المسلمين وأسرى الروم.(4)

إن المدة الزمنية من (232-334هـ إلى 847-947م) تولى فيها خلفاء عباسيون ضعاف هيمن عليهم الأتراك في الحكم، فكانوا يقتلون من يريدون، وينّحُون عن المناصب من لا يخضع لهم ويخالفهم في آرائهم، فكانت أوضاع البلاد غير مستقرة(5)، فقد ذكر المسعودي ذلك فقال: (أصبحت البلاد في أيدي المتغلبين، وكل من حصل في يده ملكه وسيطر عليه، فالبصرة وواسط والأهواز في

---

(1) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون المسمي ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة خليل شحادة، وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت ، 1421هـ / 1984م، ج3 ، ص278.

(2) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج2، ص378؛ ابن شداد : الأعلاق الخطيرة، ج1، ص268؛ الخضري: الدولة العباسية، ص248.

(3) المعتز بالله محمد بن جعفر أحمد أمير المؤمنين ابن جعفر المتوكل بن المعتصم ولد سنة (232هـ= 847م)، بويع عند عزل المستعين بالله وهو ابن تسع عشرة سنة، خلافته ثلاث سنوات وستة أشهر، مات سنة (255هـ=869م) وعمره أربعة وعشرون عاما، وأمه رومية. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج12، ص532، 535

(4) المقريزي : المواعظ والاعتبار، ج2 ، ص379.

(5) الخضري : الدولة العباسية، ص455.

يد عبد الله اليزيدي وأخوته، وفارس في يد عماد الدولة بن بويه الديلمي، والموصل وديـــار ربيعـــة وحلب في أيدي بني حمدان الحسن بن حمدان وناصر الدولة وسيف الدولة، ومصر والشام في يـــد أبي بكر محمد بن طغج الإخشيدي، واليمامة وهجر والبحرين في يد أولاد أبي طـــاهر الجنـــابي (القرمطي) ولم يبق في يد الخليفة العباسي سوى بغداد وما والاهـــا، وتقطعـــت دواويـــن المملكـــة وضعف ملكها) [1].

إن هذه الدول المستقلة كانت تحارب الروم باستمرار، فقام أمراؤها بغارات متكررة علـــى مدن الروم وقلاعهم، ووقع أسرى من الطرفين، وتمتْ عملياتُ الفداء بينهم، حينهـــا قامـــت الدولـــة الطولونية في مصر على يد أحمد بن طولون[2]عام (868/254م) ، دارت صراعاتٌ بينـــه وبـــين الدولة العباسية لم تهدأ إلا عندما توفيَّ أحمد بن طولون وتولى ابنه أبو الجيش خمارويه[3] وأعلـــن التبعيةَ للدولة العباسية، وأرسل الخراج للخليفة العباسي المعتضد بالله[4]. فندبه والـيـــاً علـــى مـــصر وبلاد الشام.

وقد راسلته الروم لافتداء الأسرى المسلمين القاطنين في ســـجونهم، فنـــدب أميـــر الثغـــور الشامية وأنطاكية أحمد بن طغان[5] لهذا العمل العظيم ، وتم عقد هدنة مع الروم على هذا الأســـاس سنة (282هــ/895م)،لإتمام عملية الفداء[6]؛ ولكن المنية عاجلت خمارويه فلم يتمكن من حـــضور الفداء بنفسه حيث قتله غلمانه في ذي الحجة من نفس السنة[7] فتولى ابنه أبو العساكر[8] الولاية بعده

---

(1) أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط1، 140هــ /1996م ، ج2، ص205.

(2) أبو العباس أحمد بن طولون التركي ولاه المعتز بالله مصر ثم استولي على دمشق وأنطاكية، كان عادلاً جـــواداً شجاعاً متواضعاً حسن السيرة، يباشر أمور الخلافة بنفسه، بنى جامعاً بالقاهرة سنة (264هــــ=878م) ، ملـــك مصر سنة (254هــ=868م) ، وتوفي بها سنة (270هــ=883م)، حكم مصر 16 سنة. ابن خلكـــان وفيـــات الأعيان، ج1، ص404؛ الذهبي: العبر، ج1، ص95.

(3) خمارويه بن أحمد طولون، ولي أمرة دمشق ومصر والثغور بعد أبيه، ولد سنة (250هــــ=864م) ، وكـــان مسرفاً بالإنفاق، قتله الخدم ودفن بحوران سنة (282هــ/895م). ابن خلكان وفيـــات الأعيـــان، 28، ص249؛ الذهبي: سير علام النبلاء، ج13، ص446

(4) أبو العباس أحمد بن الموفق، ولي عهد المسلمين خلافته أقل من عشر سنين ، عاش 46 سنة، مهيبـــاً حازمـــاً، أسمر نحيفاً، فيه تشيع، توفي سنة (289هــ=902م). الذهبي: العبر في خبر من غبر، ج1، ص102.

(5) أحمد بن طفان خان ، أبو النصر ولقبه قراخان . الذهبي: سير، ج17، ص278.

(6) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج2، ص379.

(7) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1، ص404؛ الذهبي، الصبر، ج1، ص95.

(8) أبو العساكر جيش بن خمارويه بويع بدمشق سنة (282هــ=896م) ولايته كانت سنة وشهر 12 يـــوم، ســـجن ومات في السجن. الذهبي: مسير أعلام، ج13، ص96.

وأتم مهمة والده في الفداء، واتجه نحو اللامس وفدى الأسرى من الروم على مدار عشرة أيام، وقد قدر عدد من فودي ألفين وخمسمائة وأربعة من الرجال،[1] وقيل ألفين وأربعُمائةٍ وخمسةٍ وتـسعينَ أسيراً من الرجال والنساء[2].

كذلك تم الفداء بين المسلمين والروم عام (292هـ=902م) على من بيد الطرفين من أسرى وذلك ما هو متعارفٌ عليه، لكن الروم قاموا بإرجاع بقية أسرى المسلمين معهم دون فداءٍ وقد فادوا ما يقارب ألفاً ومائتي أسيرٍ من ذكرٍ وأنثى[3]، ولهذا سمي الفداءُ بفداءِ الغدر بسبب غدر الروم مع المسلمين بعد مفاداتهم ، وتم الفداءُ على مدار أربعة أيامٍ متتاليات في عهد الخليفة العباس المكتفي بالله[4]، على نهر اللامس، على يد أمير الثغور رستم بن نزدري ، ومتولي الفداء من قبل الروم رجل يدعى أستانة[5]. لقد غدر الروم بالمسلمين وأوقفوا عملية التبادل من طرفهم ، وهذا يطرح سؤالاً لماذا غدر الروم بعد مفاداتهم هذا العدد الكبير والرجوع بالأسرى؟
من الواضح أنه أثناء عملية التبادل تبين للروم أن معظم أسراهم من كبار السن والنساء والأطفال، وغالبية أسرى المسلمين من المقاتلين الرجال، وهؤلاء الرجال سيكونون دعامة للدولة الإسلامية في حربها ضد الروم. كذلك كان الفداء بالعدد وليس النفس بالنفس، فقد رفض المسلمون أن يشترط الروم عليهم أن لا يشمل الفداءُ عجوزاً أو شيخاً كبيراً ، ولا صبياً[6]، ومن المؤكد أن أسراهم من هذا النوع، وأثناء التبادل اتضح لهم ذلك.

وما يؤكد ذلك أن المسلمين قبل عملية الفداء بسنة واحدة أي عام (291هـ=904م) افتتحوا أنطاكية عنوة بحد السيف، وقتل فيها أربعةُ ألاف مقاتل، وأسر شبيهاً بعددتهم،[7] والأرجح أن الأسرى الأربعة آلاف من سكانِ المدينةِ أي نسائها وشيوخها وأطفالها، وهؤلاء من فادى بهم المسلمون أسراهم عام (292هـ=905م).

---

(1) ابن شداد : الأعلاق الخطيرة، ج1، ص281.
(2) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج2، ص379.
(3) م،ن، ج2، ص379 .
(4) المكتفي بالله أبو الحسن على بن المعتضد أحمد بن أبي أحمد المتوكل، وليَ وله إحدى وثلاثون سنة، كان جميلاً وسيماً بديع الجمال معتدل القامة ، دولته ست سنين، توفي سنة (295هـ=908م). ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج6، ص429؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، خ13، ص479.
(5) ابن شداد ، الأعلاق الخطيرة، ج1 ، ص288.
(6) الطبري: تاريخ الطبري، ج5، ص321، المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج2، ص379؛ ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، 18، ص265-266.
(7) ابن كثير: البداية والنهاية، ج11، ص96.

ذكرنا في التمهيد أن الفقهاء أجازوا للأسرى المسلمين أن يحاربوا مع الأعداء في سبيل إطلاق سراحهم؛ بشرط أن يحاربوا أعداءهم وليس المسلمين.[1] وهذا ما حدث في عام (294هـ=907م) عندما كاتب أندرونقس البطريق صاحب مدينة قونيه[2]، الخليفة العباسي المكتفي بالله يطلب منه الأمان؛ لأنه كان على حرب مع صاحب الروم على الثغور، وكان ملكُ الروم قد أرسل من يقبض عليه، فأعطى الأسرى المسلمين الذين كانوا في حصنه سلاحاً حتى يحاربوا معه ويكون هذا ثمناً لحريتهم وعدوا مائتي أسير، وبالفعل أنضم الأسرى المسلمون إلى جيش البطريق اندرونقس وقاتلوا معه قتالاً عنيفا وغنموا ما في معسكر عدوهم، وانتصرَ البطريقُ اندرونقس وحمل أسرى المسلمين إلى بغداد سالمين[3] .

وهكذا فدى الأسرى أنفسهم، فحاربوا في عسكر الروم روماً مثلهم؛ وانتصروا عليهم، ولم يُقْتَل أحدٌ منهم، وعادوا سالمين إلى أهليهم.

راسل ملك الروم آليون[4] بن باسيل الخليفة العباسي المكتفي بالله في شوال سنة (295هـ=908م)، وأرسل إليه باسيل الخادم ومعه جماعةٌ من الروم على بغداد يحملون معهم هديةً من صاحب الروم وعشرةً من أسارى المسلمين، فعندما وصلوا إلى الخليفة قَبِلَ منهم الهديةَ وأجابهم إلى ما سألوه[5]. وربما إرسالهم للأسرى العشرة من المسلمين ليثبتوا حسن النية في التبادل، وأنه لن يتكرر فداءُ الغدرِ الذي حدث سابقاً.

وجه الخليفة رسولاً من عنده إلى بلاد الرومِ ليجمع أسرى المسلمين ويعلَمَ عددهم[6] فقدر عددُهم بألفين وثمانمائةٍ واثنين وأربعين أسيراً من كلا الجنسين[7]، وحُملُوا إلى طرسوس، واجتمع أسرى الطرفين هناك بعد اكتمال العدد[8]، وتمتْ عملية الفداءِ على نهر اللامس.

إن عمليات الفداء والمعاهدات التي أُبرمت من أجل الأسرى عديدةٌ، وقد تمت تلك الفداءات النفس بالنفس أو أموالٌ تبذل لفكهم، مثلُ ما قامَ به المقتدر بالله لفداء أسرى المسلمين من الروم بمبلغٍ

---

(1) السرخسي : شرح السير الكبير، ج4، ص234.

(2)قونيه: بالضم ثم السكون ونون مكسورة من أعظم مدن الإسلام بآسيا الصغرى ، وسكن ملوكها ، وبها مكث أفلاطون الحكيم. ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج4، ص415.

(3) الطبري : تاريخ الرسل ، ج5 ، ص667؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج11، ص102

(4) هو ليو السادس بن باسيل الصقلبي، حكم بلاده سنة (886–912م) كان مولعا بالتنجيم ومعرفة الغيب وتصنيف الكتب له كتاب في التكتيك الحربي ، توفي سنة (299هـ=912م). عاشور: أوروبا، ج1، ص420.

(5) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج1، ص302.

(6) الطبري: تاريخ الرسل ، ج5 ، ص668.

(7) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج2، ص280.

(8) الطبري: تاريخ الرسل ، ج5، ص668.

من المال قدر بمائةٍ وعشرينَ ألف دينار[1]، وذلك في ربيع الآخر من عام (305هـ=917م) ، إذ تمَّ فداء ما يقاربُ الثلاثةِ آلافٍ وستةٍ وثلاثين أسيراً من كلا الجنسين. على مدار ثمانية أيام، وتوكَّل بهذا الفداءِ مؤنسُ الخادم[2]وبشر الخادمُ الإفشينيُّ أميرُ أنطاكيَّة والثغورِ الشامية، وتم الفداءُ في اللامس.[3]

لقد سيَّر الخليفةُ المقتدر بالله مع مؤنس الخادم جمعاً في الأجناد، وأطلق لهم أرزاقاً واسعة، وذلك لحماية الأسرى من أي غدر يمكن أن يقوم به الأعداء[4]. وعندما حضر رسول ملك الروم قسطنطين السابع بن ليو السادس [5]، يطلبان المهادنة من المقتدر بالله ، أكرمهما إكراماً، وصفّ الأجناد بالسلاح حتى يرهب رسولي الروم، فينقلا إلى ملكهم ما شاهداه من قوة المسلمين[6].

طلبَ الرومُ هدنةً وتقريرَ مفاداة مع الخليفةِ العباس المقتدر بالله وأرسلوا له الهدايا العظيمة، فأقر الفداء والهدنة سنة (312هـ=924م) وتمَّ الفداءُ على نهر اللامس، وكان القائمُ به مفلحٌ الخادمُ الأسود المقتدري، وبشرٌ الخادم المتولي إمرةَ الثغور الشامية؛ وبلغَ عدد من تمَّ فكاكُه من المسلمين على مدار تسعة عشر يوماً ثلاثة آلاف وتسعمائةٍ وثلاثين أسيراً من ذكر وأنثى[7].

وفي أوائلِ ذي الحجة من عام (326هـ=938م)، بعث الخليفة العباس الراضي بالله[8] إلى ملك الروم قسطنطين السابع يطلبُ تحريرَ الأسرى المسلمين من بلاد الروم، وكَّلَ بهذه المهمةِ الوزير أبا الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات، وابنَ ورقاءٍ الشيباني، وبشير الشملي أمير الثغور الشامية، وحدث الفداء في اللامس على مدارِ ستة عشر يوماً، وبلغ عدد الأسرى ستة آلاف

(1) ابن الأثير: الكامل ، ج6، ص497؛ ابن شداد : الأعلاق الخطيرة، ج1، ص296.

(2) مؤنس الخادم الملقب المظفر كان أميراً عظيماً شجاعاً منصوراً، لم يبلغ من الخدام منزلته إلا كافور صاحب مصر، وهو أحد خدام المعتضد العباسي، كان أبيض فارساً شجاعاً من السادة الدهاة، بقي ستين سنة أميراً، توفي عن نحو تسعين سنة، مات سنة (321هـ=933م). الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج15، ص56، 58 .

(3) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج2، ص380 .

(4) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6 ، ص497.

(5) تولى الحكم سنة (912-959م) انصرف إلى الأدب وتخطيط الكنائس، فضلا عن تصنيفه للكتب مثل العلوم الأدب والفنون والزراعة والتاريخ والجغرافية والسياسة لذلك عني بإرجاع المنديل مقابل كل الأسرى المسلمين في بلاده. عاشور: أوروبا، ج1، ص421.

(6) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص498؛ ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج1، ق2، ص295.

(7) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج1، ق1، ص295.

(8) الراضي بالله محمد بن أحمد، أمير المؤمنين كان سمحاً واسع النفس، أديباً وشاعراً ، حسن البيان كريم الأخلاق، محباً للعلم، والعلماء ومجالساً لهم، وهو آخر خليفة برع في الشعر، وجلس بنفسه لتدبير الأمور، توفي سنة (329هـ=941م) وعمره 31 سنة، خلافته ست سنوات. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج14، ص103.

وثلاثمائةِ أسيرٍ من ذكر وأنثى[1]. وقد بقي ثمانمائة أسير مسلم في يد الروم لم يفاد بهم؛ وذلك لعدم كمال العدد مع أسرى الروم عند المسلمين، وبعد ستة أشهر تمَّ فداؤهُم بعد أن جمع المسلمون عـــدداً من أسرى الروم ليتم فداؤهم [2].

والواضح أن الروم أرادوه فداءَ نفس بنفس، لذلك بقي أسرى مسلمون عند الروم لعدمِ تمـــامِ العدّة، ولو أن الرومَ قبلوا المال فداءً لهم، لتمتْ مفاداتُهم بالمال، وتحريرُهم جميعاً، ولكنهم احتاجوا وقتاً حتى يتمَّ جمعُ مثل عددهم.

وفي خلافة المتقي بالله العباس[3]، حدث أمرٌ عجيبٌ، فقد تم فكاك الأسرى المـــسلمين مـــن أيدي الروم بطريقةٍ عجيبة، حيث راسلَ ملكُ الروم قسطنطين السابع الخليفة المتقـــي بـــالله، يطلـــب منديلاً زعم أن المسيح عيسى ابن مريمعليه السلام مسح وجْهه به، فطبعتْ صورة وجهه عليه، والمنـــديلُ في كنيسة الرُّها[4]، وإن أُرْسلَ المنديل أُطلقَ سراح جميع الأسرى من المسلمين[5] فجمعَ المتقي بالله الفقهاء والقضاة لاستفتائهم في الأمر، فاختلفوا فيه فمنهم من رأى تسليمه إلى الملك وإطلاق ســـراح الأسرى، ومنهم من قال : إن هذا المنديل لم يزل منذ قديم الدهر في بلاد الإسلام، ولم يطلبه ملـــك من ملوك الروم، ودفعه إليه فيه غضاضة.[6]

---

(1) ابن الأثير: الكامل ، ج7، ص42؛ ابن شداد: الأعلاق الخطيـــرة، ج1، ج2، ص300؛ المقريـــزي: المـــواعظ والاعتبار، ج2، ص380.

(2) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج2 ، ص380

(3) المتقي بالله إبراهيم بن المقتدر بن المعتضد العباس أبو استحق، عمره 34 سنة، عندما بايعوه الحكم، وأمه اسمها خلوب، حسن الوجه، معتدل الخلق، كث اللحية، وهو ذو صوم معبد، ولم يشرب نبيذاً قط، ونديمه المـــصحف، خلع سنة (333هـــ=945م) وأخذ البيعة لكن الله بن المستكفي، وتوفي في السجن سنة (357هـــ=968م)، وكان له ولد واحد. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج15، ص111

(4) كنيسة الرها هي أحدي عجائب الدنيا بمعالمها،بناها الملك يسطانياس، وهي أظهر مذهب الملكة، منهـــا منـــديل يعظمهُ أهل النصارى، يذكر أن المسيح جفف به بعد التعميد. الحميري،محمد بن عبد المنعم: الروض المعطـــار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة ، مطبعة دار الـــسراج، بيـــروت، ط2 ، 1980، ج1، ص274.

(5) ابوالفداء، إسماعيل أبو الفداء الأيوبي: المختصر في أخبـــار البـــشر، مـــصر، القـــاهرة، ج1، ص209–210؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الفكر العربـــي، ط2، 1412هـــ/1993م، ج6، ص3؛ القلقشندى، أحمد بن على: مآثر الأناقة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الـــستار أحمد فراج ، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1384هـــ/1964م، ج1، ص297؛ السيوطي: تـــاريخ الخلفـــاء، ج1، ص163.

(6) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ج1، ص270.

فقدم القاضي على بن عيسى الوزير[1]، وقال: (إن خلاصَ المسلمين من الأسْرِ ومن الـضُرّ والضَنَك الذي هم فيه أولى من حفظِ هذا المنديل)[2]

فأعجب الخليفة بكلام القاضي، ورجَحَ قوله، فقام بإرسال رسوله إلى ملك الروم ليقوم بتسليم المنديل، واستلام الأسرى المسلمين من عندهم، وتم ذلك سنة (331هـ=943م)[3]. أما الحميري فذكر أنه حدث سنة (332هـ=944م)[4] ولم يحدد عدد من فودي من الأسرى مقابل هذا المنديل، لكن عددهم كان كبيراً فيما يبدو، لاهتمام مصادرنا بتدوينه، ولأن عدد الأسرى المحررين في المرات السابقة كان كبيراً، وبما أن المنديل مكثّ دهراً في بلاد الإسلام، فلا بد أن يكون ذا قيمة غالية عند ملك الروم قسطنطين بن آليون، وقد فرح الروم به فرحاً عظيماً عندما أحضر إليهم[5]، لهذا يُرَجّحُ أن يكون عددُ أسرى المسلمينَ المحَّررين أكبرَ منه في الفداءاتِ التي تمتْ سابقاً.

لقد قامتِ الدولة الحمدانية بدور مهمٍّ في محاربة الروم ، وتصدت لهجماتهم على حدود بلاد الشام، وقد وقع خلال معاركهم المتكرِرة مع الروم أسرى من كلا الجانبين[6] ، ويلاحظ مدى اهتمام الحمدانيين الكبير بتحرير أسراهم، وخاصة في عهد أميرها سيف الدولة الحمداني[7]

---

(1) القاضي على بن عيسى الوزير البغدادي بن داود بن الجراح أبو الحسن الكاتب وزير المقتدر بالله والقاهر بالله، كان على الحقيقة، غنياً، شاكراً، صدوقاً، خيراً صالحاً، عالماً من خيار الوزراء لا يعلم وزيرٌ لبني العباس يشبهه بالزهد والفقه له كتاب جامع الدعاء ومعاني القرآن وتفسيره، كثير البر والصلاة والصيام توفي سنة (344هـ=946م) ابن عساكر(أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله: تاريخ مدينة دمشق، دراسة وتحقيق: محب الدين أبي سعد عمر بن غرامة العمروري، دار الفكر، ط1، 1418هـ ، 1997م، ج24، ص334؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء ، ج15، ص300.

(2) ابن الأثير: الكامل ، ج3، ص488.

(3) الطبري: تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص135؛ ابن الأثير: الكامل ، ج3 ص488؛ أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج1، ص210؛ الذهبي تاريخ الإسلام، ج6، ص3؛ القلقشندى: مآثر الأناقة، ج1، ص297؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ج1، ص163.

(4) الروض المعطار، ج1، ص274

(5) الطبري: تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص135؛ القلقشندى : مآثر الأناقة ، ج1، ص297؛ الروض المعطار، ج1، ص274.

(6) لمعرفة معارك الحمدانيين مع الروم ، ينظر: الشكعة، مصطفي : سيف الدولة الحمداني، ص132، 138؛ عدوان، أحمد: الدولة الحمدانية، دار المنشأة، ط1، 1981م، ص262، 266

(7) هو علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي، أبو الحسن ، الأمير، كثير الغزوات، كان تقياً صالحاً، له ديوان خطب، لم يجتمع بيان أحد الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع لسيف الدولة من شيوخ العلم ونجوم الدهر، كثير العطايا مهذباً، توفي في حلب. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج3، ص401؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج13، ص482.

وأولُ فداء حدث في عهد سيف الدولة كان سنة (335هـ=947م) على يد نصر الثملي أمير الثغور الشامية من قبله، وفدى من أسرى المسلمين ألفين وأربعمائة واثنين وثمانين أسيراً من ذكر وأنثى، وزاد عدد أسرى المسلمين في الفداء مع الروم زيادة تقدر بمائتين وثلاثين أسيراً، ولم يكن لسيف الدولة علم بعدد الأسرى المسلمين؛ ففادى بقية الأسرى بالمال الذي وافاه سيف الدولة إلى الروم[1].

ولسيف الدولة الحمداني محاسنُ كثيرةٌ في إطلاق الأسرى من يد الروم، إذ قام عام (355هـ=966م) بمفاداة أسرى المسلمين من يد الروم بنفسه[2]، فقد سار معه بطارقة الروم وأسراهم ليفادي بهم أسرى المسلمين، ففدى ابن عمه الشاعر أبا فراس الحمداني و كبارا من دولته وشيوخ الحمصيين والحلبيين[3]، واشترى بقية أسرى المسلمين بالمال الذي بحوزته فدفع في كل أسيرين 72 دينارا، ولكن عدد الأسرى المسلمين كان كبيراُ فأضطر لرهن بدنته[4] التي عليه وهي من اللؤلؤ والجواهر، ليس لها مثيل[5] واستخلص من بقي في الأسر، وقررت هدنة بين الطرفين على عدم تعدي أحدهما على الآخر، وربما علم سيف الدولة أن صحته لا تتحمله إلى حروب عدة، فبعد هذه الهدنة بأشهر قلائل توفي رحمه الله تعالي[6]. وعدَّ المؤرخون هذا العمل من محاسن سيف الدولة الحمداني، ويُضرب به المثل في فكاك الأسرى المسلمين من يد الروم[7].

وقد أنفق سيف الدولة على هذا الفداء المعلن ثلاثمائة ألف دينار، وخلَّص من الأسر ما بين أميرٍ وراجلٍ ثلاثةَ آلافٍ ومائتين وسبعين أسيراً، حتى لم يبقَ بأيدي الكفرة أسيراً واحداً يُفْتَدى به عند الروم[8]

وقيل إن فداء الأسرى من الروم كلّفَ ستَّمائة ألف دينار، وكان ذلك من خاتمة أعماله، بل إن أخته عندما توفيت خلفت وراءها خمسمائة ألف دينار، صرفها على فكاك الأسرى[9] .

---

(1) ابن الأثير: الكامل، ج4، ص12

(2) في سنة (347هـ=958م) التقى سيف الدولة بالروم ، بنواحي حلب، ودارت معركة أسر فيها أبو فراس الحمداني وجماعة من أصحاب سيف الدولة وأقاربه وخواصه، وكاد أن يقتل، وأفلت بنفسه مع عدد يسير. الطبري: تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص191.

(3) ابن الأثير: والكامل، ج4، ص39.

(4) البدنة: الدرع القصير، وهي مأخوذة من البدن. ابن منظور: لسان العرب، ج13، ص49.

(5) ابن الأثير : الكامل، ج4، ص40.

(6) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج3، ص401؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج13، ص482؛ الأعلام للزر كلي ، ج3، ص348.

(7) الطبري: تكملة تاريخ الطبري وج1، ص192؛ ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج1، ق2، ص307؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج2، ص380.

(8) الطبري: تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص193.

(9) ابن العديم: زبده الطلب في تاريخ حلب، ج1، ص146؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ج16، ص187.

ومدحه الشعراء بنحو عشرة آلاف بيت[1]. وقال عنه المتنبي :

لكل امرئٍ منْ دَهْرِهِ ما تَعَودًا وعادَةُ سيفِ الدّوْلةِ الطَعْنُ في العِدى[2]

وقال الببغاء[3] يمدحه:

مَا المالُ إلاَّ ما أفادَ ثَناء ما العزُّ إلاّما ثَنِى الأعْداء

َشحَّتْ على الدُّنيا المُلوكُ وعافها مَنْ لمْ يطأْ في حفْظِهاَ الأَهْواء

وَفَديْتَ مِنْ أَسْرِ العدو مَعاشِراً لَوْلاك ما عَرَفَ الزّمانُ فِداء

َوالأسْرُ أَحَدُ المَيْتَتَينِ وطَالَماَ خَلَّدوُا بهِ فأَعدْتّهمُ أَحيَاء

وَضَمِنْتَ نَفْسَ أَبِي فِراَسٍ للعُلا إذْ مِنْهُ أَضْحَتْ النُّفوسُ بَرَاء[4]

ومن الجدير بالذكر أن هذا الفداء كان لابد أن يقوم به أمير مصر أبو بكر محمد بن طغج الإخشيدي[5]، حيث إن الروم راسلوه بذلك أولاً، لكن شدة العلة التي أصابته لم تمهله، فتوفيَ على أثرها يوم الجمعة الثامن من ذي الحجة سنة (334هـ=945م) وكان الروم قد راسلوه في العام نفسه وفي الشهر نفسه. [6]وبعد وفاته تولى أبو المسك كافور الإخشيدي[7]، حيث دفعَ إلى رسولِ الرومِ مالاً قدر بثلاثين ألف دينار لفداء الأسرى وسار إلى طُرسوس، وعندما وصل المال للفداء كان قد تمَّ على يد سيف الدولة الحمداني فنسب إليه، والمنية هي التي أخرت تمام الفداء بين الروم والإخشيديين، فتمت مع الحمدانيين[8].

---

(1) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج3، ص401.

(2) المتنبي: ديوان أبي الطيب المتنبي، شرح العلامة اللغوي عبد الرحمن البرقوقي، قافية الدال، ج1، ص301.

(3) الببغاء: شاعر وقته، الأديب أبو الفرج، عبد الواحد بن نصر بن محمد المخزومي النصيبي له ديوان ومدائح في سيف الدولة الحمداني، وتنقل في البلاد ومدح الكبار ولقب بالببغاء لفصاحته وقيل للثغة في لسانه، توفي سنة (398هـ=1007م). ابن الجوزي: المنتظم، ج4، ص306؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج27، ص358ـ 359.

(4) الطبري: تكملة تاريخ الطبري ، ج1، ص191.

(5) الإخشيدي الحسن بن طفج بن جف،أبو المظفر الفر غاني الإخشيدي، ولي إمرة دمشق نيابة عن أخيه، ثم ولي الرملة، وأصله من أولاد ملوك فرغانه لقبه الراضي بالله، الإخشيد معناه ملك الملوك ، ولد سنة (268هـ=881م)ببغداد، ومات سنة (334هـ= 946م) وحمل بتابوت إلى بيت المقدس ودفن فيه، حسن التدبير مكرماً للجنود. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5، ص56، 59.

(6) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج2، ص380.

(7) أبو المسك كافور بن عبد الله الإخشيدي وهو عبداً لأهل مصر شراه الإخشيدي ثم صار أستاذا لولديه (312هـ=924م)، استقل بالمملكة بعد وفاة ولدي الإخشيدي سنة (326هـ= 938م) توفي سنة (356هـ= 967م) ودفن بالقاهرة وبني على قبره قبة . ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج4، ص99، 105.

(8) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج40، ص56.

أما الدولة الفاطمية فلم تحفل بتحرير أسرى المسلمين، إذ يذكر المقريزي أنه " لــم يُعْــرف عن الدولة الفاطمية أنها فادتْ أسيراً قطّ من الفرنجةِ لا بمال ولا بأسير مثله"[1] .

والواضح أنها خاضت حروباً مع الروم لكنها لم تفاد بالأسرى، وإنما كانــت تقتــلُ أســرى الأعداء، حيث إنها كانت ترميهم وهم أحياءُ في بئرٍ أُعدَّ لهم[2]، لذلك لم يكن لهم أسرى من الــروم لتفادي بهم أسرى من المسلمين.

وفي الوقت نفسه وجدنا أن الملكَ الروميِّ باسيل الثــاني بــن رومــانوس الثــاني (906-1025م) يهادن الحاكم الفاطمي المستنصر بالله [3]، لكي يعمِرَ كنيسة القيامة[4] المهدمة مقابل إطلاق خمسة آلاف أسير مسلم عنده، وقد وافق الحاكم الفاطمي على ذلك عام (402هــــ=1012م) وتــم إرسال أموال طائلة لعمارتها، يقال إنه مال جلَّ وصفه، وتم إطلاق سراح الخمسة آلاف أسير مــن عند الروم [5]. ومن الواضح أن المستنصر بالله وضع في مأزق جعله يوافق على مفــاداة الأســرى المسلمين من عند الروم؛ لأن إعمار كنيسة القيامة سيتمُّ عاجلاً أم آجلاً سواءٌ كان هو الحاكم أو جاء حاكمٌ آخر بدلاً منه، فأحبّ أن يأْخذ هو شرفَ هذه المفاداة، وكذلك ستعودُ بإعمارها أمــوالاً طائلــةً تدخل في خزينة الدولة الفاطميةِ، فلذلك تم الفداء.

---

(1)المواعظ والاعتبار، ج2، ص380.

(2) م.ن، ج2، ص380.

(3) المستنصر بالله صاحب مصر أبو تميم معد بن الظاهر لإعزاز دين الله على بن الحاكم أبي على منصور بــن العزيز بن المعز ألعبيدي المصري، عمره 7 سنين عندما تولى الحكم توفي سنة (487هــ= 1094م) وعمــره 70 سنة. الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج15، ص186، 196.

(4) هي أعظم كنيسة لدى النصارى تقع في بيت المقدس ، روعة البناء، محاطة بسور على دائرها، كانــت تــسمى القمامة ؛ لأنها كانت مزبلة البلدة ودار للصوص والمفسدين، وبدل اسمها بالقيامة، لاعتقاد النصارى أن المسيح سيقوم فيها. ياقوت الحموي: معجم البلدان، 48، ص396.

(5) أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج1، ص259؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا فــي أخبــار الأئمــة الفــاطميين الخلفاء، تحقيق: جمال الدين الشيال، دار الفكر العربي، بيروت، 1367هــ/ 1948م، ج1، ص156.

المبحث الرابع

جهود المسلمين السياسية لتحرير الأسرى في العهدين الزنكي والأيوبي

أولاً : جهود المسلمين السياسية لتحرير الأسرى في العهد الزنكي:

ظهرت قوة هذه الدولة بظهور عماد الدين زنكي[1]الذي جمع بين الكفاءة والشدة في حروبه ضد الأعداء، ومضى في بناء دولته الجديدة ومجابهة التحديات التي من أهمها خطرُ الإمارات الصليبية[2]. خاضَ عماد الدين زنكي حروباً ضارية ضد الصليبيين ، حتى تم له السيطرةُ على إمارةِ الرُّها الصليبيةِ وهي أولُ إمارةٍ صليبيةٍ تم فتحُها وتحريرُها على يدهِ عام (539هـ=1144م) وكانت في يد جوسلين الأرميني[3].

وقد فتح بهذا آفاقاً جديدة في الجهاد ضد الصليبيين، وأنارَ للمسلمين سبلَ تحريرِ البلاد من أيدي الفرنجة، ولذلك استحق أن تحمل الدولة الجديدة الزنكية اسمه، فلما قضى شهيداً على أيدي بعض المتآمرين سنة (541هـ=1146)[4]، خلفه ابنه نور الدين [5]، الذي أعطى للدولة طابعها الإسلاميَّ، وهيأها لحمل رسالتها كاملةً، وعلى هذا الأساس سارتِ الدولة الزنكية مسيرة الجهاد ضد أعداء الدين، وخاضتْ معارك كان حصيلتُها وقوعَ أسرى من كلا الجانبين بين أيديهم، مما دفع الملك العادل نور الدين؛ لأن يدفع الأموال ويخوض الحروب من أجل تحريرهم وعودتهم إلى بلادهم، فقد عاصر عهد الدولة النورية اثنان من أقوى ملوك بيت المقدس، بلدوين الثالث (539-557هـ/1144-1162م) ؛ وعموري الأول (557هـ-568/ 1162-1174م)[6]، وعمد للتصدي لمشاريع مملكة بيت المقدس التوسعية ، ودافعُه الوحيد الجهاد في سبيلِ اللهِ وتحرير المقدساتِ من

---

(1) هو عماد الدين بن آق سنقر بن عبد الله الملقب بالملك المنصور، فوض إليه تربية ولد السلطان محمود لذلك سمي أتابك وهو من يربي أولاد الملوك، وقتل وهو محاصر قلعة جعبر سنة (541هـ= 1146م) ، ودفن بصفين رحمه الله . ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج2، ص327؛القلقشندى: مآثر الأناقة ، ج2، ص26؛ أبو شامة: الروضتين، ج1، ص31.

(2) الكيلاني: هكذا ظهر جيل صلاح الدين، ص253؛ الصلابي: عصر الدولة الزنكية، ص30، 2

(3) القلقشندى: مآثر الأناقة، ج2، ص26؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20، ص190.

(4) ابن خلكان: وفيات الأعيان ، ج2، ص327؛ أبو شامة: الروضتين، ج1، ص31.

(5) الملك العادل نور الدين أبو القاسم محمود بن عماد الدين أق سنقر، ملك مدينة حلب ثم دمشق، كان ملكاً عادلاً زاهداً كثير الصدقات مجاهداً في سبيل الله ولد سنة (511هـ= 1117م)، وتوفي في قلعة دمشق سنة (569هـ= 1174م). ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج5، ص184؛ أبو شامة: الروضتين، ج1، ص31؛ ابن الأثير: الباهر، ص61.

(6) الصلابي : عصر الدولة الزنكية ، ص405.

الصليبيين، حيث قامَ نور الدين محمود بحملات ضد ممالكهم بهدف تحقيق انتصارات في المجالات الاقتصادية والسياسية والعسكرية، وبالقتال أحياناً وبالمفاوضات أحياناً أخرى[1].

ففي عام (546هـ=1151م) أسر جوسلين صاحب تل باشر[2]، وعين تـاب[3] وعـزاز[4]، وعُدَّ أسرهُ من أعظمِ الفتوح على المسلمين، لأنه كان شيطاناً عاتياً من شياطين الفرنجة، شديد العداوةِ للمسلمين، وأصيبت النصرانيةُ كافةً بأسره، وعظُمتِ المصيبةُ لفقده وتيَسّر بعد أسره فتح العديد من بلادهم وقلاعهم بلغت نحو عشرين حصناً منيعاً من حصونهم [5]. وقد بذل جوسلين في نفسه أموالا لا تحصى لإطلاق سراحه، فاستشار الملك العادل نور الدين أمراءه في ذلك فلم يوافقوا على إطلاقه ، فخالفهم الرأْي وأطلقه، وأخذ الفداء منه، ومن عجيب صُنْع الله أن جوسلين مات قبل أن يصل إلى بلده، وقد استفاد المسلمون من المال في بناء المارستانات[6] بدمشق، وعد ذلك من كرامات نور الدين[7]

ومن أجلِّ أَعمالِ نور الدين انتصارهُ في معركة حارم[8]. التي عدَّها المؤرخون بمستوى معركةِ حطين، وقد حدثت عام (559هـ=1163م) فانتصر فيها على الفرنجة ، وانتقم منهم شرَّ انتقام ، وأسر قومص طرابلس[9] وابن جوسلين ودوك الروم والبرنس بوهمند صاحبُ أنطاكية[10]، وقتل منهم عشرة ألاف مقاتل ، فملك حارِم في الحادي والعشرينَ من رمضان[11]

---

(1) الصلابي: عصر الدولة الزنكية، ص405.

(2) تل باشر: الشين معجمه. قلعة حصينة وكوره واسعة في شمالي حلب بينها وبين حلب يومان وأهلها نصارى أرمن ولها ربض. ياقوت: معجم البلدان، ج2، ص40.

(3) عين تاب: قلعة حصينة ورستاق بين حلب وأنطاكية وكانت تعرف بدلوك ودلوك رستا قها. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4، ص176.

(4) عزاز بفتح أوله تكرار الزاي، وربما قيل إعزاز، بلدية فيها قلعة ولها ورستاق شمالي جانب ، وبينهما يوم. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4، ص518.

(5) ابن الأثير: الباهر، ص102،؛ ابن شامة: الروضتين، ج1، ص72.

(6) المارستان: بفتح الراء دار للمرضي ومداواتهم وهو اسم معرب. ابن منظور: لسان العرب، ج7، ص303.

(7) ابن كثير: البداية والنهاية، ج12، ص280.

(8) حارم: بكسر الراء حصن حسين وكوره جليلة تجاه أنطاكية وهي من أعمال حلب وسميت بحارم من الحريم لحصانتها وحرماً لمن فيها. ياقوت: معجم البلدان، ج2، ص205.

(9) طرابلس: بفتح أوله وبعد الألف باء موحدة مضمومة، وسماها اليونانيين طرابليطة، وإشباروس قيصر أول من بناها، وتسمي أيضا مدينة إياس، فتحها عمرو بن العاص سنة (32هـ=653م). ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4، ص25.

(10) أنطاكية بالفتح ثم بالسكون والياء المخففة بناء الملك أنطيخس وهو الملك الثالث بعد لإسكندر، وأتمها سلوقوس، بينها وبين حلب يوم وليلة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج1، ص267.

(11) أبو شامة: الروضتين، ج1، ص419؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج15، ص210.

وقد راسله أهل أنطاكية في فداء صاحبهم البرنس بوهمند مقابل مالٍ جزيلٍ، وأسرى مسلمين عندهم ، فأفتى الفقهاء في ذلك فقال قوم: يقتل ، وقال آخرون: يفادى. فمال نورُ الدين إلى الفدية[1]؛ وذلك لسلامة أسرى المسلمين وتحريرهم من أيدي الفرنجة ؛ فأخذ منهم ستمائة ألف دينار معجلاً ، وخيلاً وسلاحاً[2] وأسرى كثيرون لم يعرف عددهم[3]. وقام بمفاداة قومص طرابلس بثلاثمائة ألف دينار ومائة وخمسين حصاناً، وخمسمائة زردية[4]، ومثلها تراس[5] إفرنجية، ومثلها قنطوريات[6]، وخمسمائة أسير من المسلمين، وشرط عليه ألا يعبر بلاد الإسلام سبع سنين ، وأخذ منه مائةً من أولادِ كبارِ الفرنجة وبطارقتهم فإن نكث العهدَ أراقَ دماءَهم[7].

وكان الملكُ العادلُ نورُ الدين يحلفُ بالله أن جميع ما بناه من المدارس والربط[8] والمارستانات[9] وغيرها من هذه المفاداة وجميع ما وقفه منها ، وليس من بيتِ المال درهمٌ واحد[10].

وقد ذكر ابن جبيْر في رحلته عن الأسرى المغاربة وفكاكهم فقال: " إن نور الدين نذر في مرض أصابه تفريق اثني عشر ألف دينار في فداء أسرى مغاربة، فلما شفي من مرضه أرسل في فدائهم، فسيق فيهم نفر ليسوا من المغاربة، وكانوا من أهل حماة ، فأمر بفدائهم، وأخرج عِوضاً عنهم من المغاربة، وقال: هؤلاء بفتكهم أهليهم وجيرانهم، والمغاربةُ غرباءُ لا أهلَ لهم في الشام[11].

(1) ابن الأثير : الكامل ، ج5، ص92؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج15، ص2100؛ ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ، ج1، ص419.

(2) الصلابي: عصر الدولة الزنكية، ص231.

(3) ابن كثير : البداية والنهاية، ج12، ص280.

(4) زرد: حلق المغفر والدرع المزردة حلقة الدرع وهي ما يلبس بالعنق. ابن منظور : لسان العرب، ج3، ص194.

(5) ترس: الترس من السلاح، المتوقي بها وجمعه تراس، ابن منظور: لسان العرب، ج1، ص32.

(6) قنطرة: الجسر، وهو أرزيج يبني بالآجر أو بالحجارة على الماء ليعبر عليه. ابن منظور: لسان العرب، ج5، ص118.

(7) ابن الجوزي: المنتظم: ج10، ص249.

(8) الربط، الرباط: ملازم ثغر العدو، وهو أن يربط كل واحد من الفريقين خيله، ثم صار لزوم الثغر رباطاً، والخيل نفسها رباطاً. ابن منظور: لسان العرب، ج3، ص173.

(9) المارستان: بفتح الراء، درا المرضي وهو معرب . ابن منظور ، لسان العرب، ج7، ص217.

(10) الصلابي: عصر الدولة الزنكية ، ص231.

(11) ابن جبير: حمد بن أحمد بن جبير الأندلسي، أبو الحسين : رحلة ابن جبير، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دار الكتاب المصري، مصر، د.ط، ج1، ص214–215.

وقال ابن الأثير فيه: " قد طالعتُ تواريخ الملوك المتقدمين قبل الإسلام وفيه إلى يومنا هذا، فلم أرَ فيها بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز، ملكاً أحسن سيرةً من الملكِ العادلِ نور الدين، ... كان لا يأكل ولا يتصرف فيما يخصه، إلا منْ مُلكٍ كان له قد أشتراه من سهمه في الغنيمةِ ومن الأموال المرصدة لمصالح المسلمين، وأحضرَ الفقهاء واستفتاهم في أخذ ما يحلُّ له من ذلك فأخذ ما أفتوه بحله...."[1]

وهذا يدل على أن الأموالَ التي كانت تجمع من الغنائم في الحرب تصرفُ على وجوهِ الخير ولا يأخذ لنفسه منها شيئاً، إلا ما حلله له الفقهاء. وتوفي بالذبحة الصدرية سنة (569هـ= 1174م) رحمه الله[2]. بعد وفاة الملك العادل نور الدين رحمه الله، تولى ابنه الصالح إسماعيل وعمره إحدى عشرة سنة، وحلف له الأمراءُ والمقدَّمون بدمشق وأقام بها[3].

ومن المآخذ على الملك نور الدين أنه عند وفاته لم يتخذْ وليَّ عهدٍ قوياً بعده، وخاصة أنه يعلم أن البلاد تحتاجُ لخليفةٍ قويٍّ في ظلِّ الظروف الصعبةِ من احتلال الفرنجة لبلاد الإسلام، ولا تزال القدس في يد الصليبيين وتحتاج إلى رجلٍ ذي كفاءةٍ عاليةٍ ليقوم بمهمةِ تحريرها من أيدي الطغاة.

دَبّت الصراعاتُ في البيت الزنكيِّ بعد وفاةِ الملك الصالح إسماعيلَ سنة (577هـ=1181م) ولم يبلغُ العشرين سنة[4]، وبهذا انهارتِ الدولةُ الزنكيةُ وظهرت الدولةُ الأيوبيةُ محررةُ القدسِ من أيدي الفرنجة.

ثانياً: جهود المسلمين السياسية في تحرير الأسرى في العهد الأيوبي:

إن ظهورَ الدولةِ الأيوبيةِ بزعامةِ الناصر صلاح الدين الذي ظهرَ نجمُه عندما خرجَ مع عمه أسد الدين شيركوه في فتح مصر، وبعد إتمامِ فتحها تولى الوزارةَ بعد وفاةِ عمه، وعملَ على ترسيخِ قواعدِ دولتهِ الجديدة، من خلالِ القضاءِ على المذهب الشيعيِّ أولاً، ثم إسقاط الدولة العبيديةِ ثانياً، وعمل بخطواتٍ ثابتةٍ موزونةٍ، حتى عندما أعلن الخطبةَ للخليفةِ العباسيِّ المستضيءِ بالله لم ينكرْ عليه أحد ذلك[5]. وبعد وفاةِ نورِ الدين محمود رحمه الله ، أعلنَّ قيام الدولةِ الأيوبيةِ في مصر (569هـ=1173م)[6].

---

(1) الباهر ، ص163-164.

(2) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج5، ص184.

(3) ابن الأثير : الباهر ، ص162.

(4) ابن الأثير: الباهر، ص181؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ج21، ص238.

(5) ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفيه، تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط6، 1994م، ص45؛ أبو شامة: الروضتين، ج2، ص189

(6) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5، ص184؛ ابن الأثير: الكامل ، ج9، ص37؛ الباهر، ص191.

وعلى مدارِ الصراعِ مع الصليبيين حررَ السلطان صلاح الدين الكثيرَ من الأسرى المسلمين بالقوة العسكرية ، واجتاحَ قلاعهُم، وخاض حروباً معهم حتى أستنزفَ قواهم، وهذا ما سنذكره مـــن المبحث الرابع في الفصل الثاني. أما عن جهودِ صلاحِ الدين السياسية في تحرير الأسرى فلم يجـــد الباحث في مصادرنا إلا ما قام به بوهمند صاحب أنطاكية، عندما أحسَّ الخوف علـــى بلـــده مـــن صلاح الدين فقام بمراسلته لطلب الهدنة، وقام بإطلاق سراح كلّ الأسرى الذين عنده من المسلمين ، فاستشار صلاح الدين من عنده من أصحابه فأشاروا عليه بالإجابة إلى ذلك ليستريح الجيش. فأجابه إلى ذلك، وعقد الصلح ثمانيةَ أشهرٍ، وقد حدث ذلك سنة (584هـــ =1188م) وبعث رســـوله إلـــى صاحب أنطاكية يستخلفه ويطلق من عنده من الأسرى[1] .

وعدَّ صاحب أنطاكية، أعظم الفرنج شأناً ، وأكثرهم ملكاً، فكان قد جمع مع ملكه طـــرابُلْس، وجعل ولده الأكبر نائباً عنه فيها[2] ، وهذا ما سنلاحظ عندما نتحدث عن حصار عكا وما قـــام بـــه ببذْلِ كلِّ السبلِ لإطلاقِ سراحِ المحاصَرينَ بالمالِ والقتالِ الشديد.

اهتمَّ صلاحُ الدينِ بالفقهاء، وأحسنَ إليهم، وقدّمهم وحظُوا بمكانةٍ عاليةٍ عنده، وقد وافقَهم في كثيرٍ من الأمور، حتى إنه عندما علم أن الفقيهَ عيسي الهكاري[3] وأخاه الظهير قد وقعا فـــي أســـر الصليبيين، ففداهما بستين ألف دينار.[4]

---

(1) ابن الأثير : الكامل ، ج5، ص178؛ العماد الكاتب: الأصفهاني، أبو عبد الله حمد بن جعفر الدين: الفتح القـــسي في الفتح القدسي، تحقيق: محمد محمود صبح، د.ط ، ص260.

(2) العماد: الفتح القسي ، ص261.

(3) الشيخ العلم الزاهد أبو الحسن على ين يوسف بن جعفر بن حرب بن أمية الأموي السفياني الهكاري، بني أربطة يأوي إليه الفقراء والمنقطعون وكان كثير العبادة، من كبار الصوفية مات سنة (586هـــــ= 1190م).الـــذهبي: سير ، ج19، ص68.

(4) ابن الأثير: الكامل ،، ج5، ص140؛ ابن شداد، الروضتين ، ج2، ص414.

المبحث الخامس

جهود المسلمين السياسية في تحرير الأسرى في العهد المملوكي

اعتمدت الدولة المملوكية سياسةَ العداءِ تجاه القوى الصليبية في بــلاد الإســلام، غيــر أن مصالح الجبهة الإسلامية قد تتطلب من سلاطين المماليك رفع العداء مــع بعــض القــوى وذلــك للضرورة من أجل الوصول للهدف، وهو تحرير الأرض الإســلامية مــنهم ومــن عــدوانهم. إن تضاربَ المصالحِ السياسية مع اختلاف الأصول والاتجاهات المذهبية، قد أوجد فجوةً كبيــرةً بــين الوحدات الصليبية وخاصة الثانوية مثل يافا وبيروت وصور، إذ أن العلاقات السياسية التي اتبعهــا السلطان بيبرس ضد إمارة يافا الصليبية، هدف من ورائها استخدام مينائها للتجارة ، وبالمقابــل تــمَّ إرسال هدايا من حاكم يافا إلى السلطان بيبرس، وقد لاقت هذه العلاقة القبول والترحاب مــن قبــل السلطتين خاصة في عهد يوحنا آيلين حاكم يافا[1]، ولكن بعد وفاته تولى ابنه جاي، الــذي خــالفَ المعاهدات بين الطرفين عن طريق مساندته لإمارة عكا بالآلات القتاليةِ بالمنجنيق، وهــذا يخــالفُ شروطَ الهدنةِ بين الطرفين،[2] والأخطرُ من ذلك أنهم أقاموا حانة للخمر في مدينة يافا، وأوقفوا فيها أسيراتٍ مسلماتٍ يقمن بخدمة الصليبيين، وذلك عام (665هـ= 1267م)[3]، ممــا أثــار غــضب بيبرس، واشتد غضبهُ من إهانة الأسيرات المسلمات، مما أخاف الصليبيين فقاموا بإرسال أكابر يافــا لالتماس الهدنة ، لكن السلطان رفضَ وهدّدَ بأخذ المدينة بالقوة العسكرية، وما كان مــن الــصليبيين في يافا إلا أن سلموه مفتاحَ المدينةِ دون مقاومةٍ على أن يخرجوا منها بأموالهم وأولادهــم فأجــابهم إلى ما طلبوا[4].

أما سياسته مع مدينة بيروت، فقد كانت وديةً، وذلك أن يوحنا تــوفي عــام (622 هــــ= 1264م) وخلفه في حكم بيروت ابنته الأرملةُ العذراء إيزابيلا[5]، التي حرصت أن تستمرَّ علاقــاتُ بيروت مع بيبرس على نفس التواصل زمنَ والدها، ولكن قراصنةَ الصليبيين قــد هــاجموا مركبــاً للتجار المسلمين وسلبوا أموالهُم والمركب وأسروا التجارَ الذين بداخله، فراسلتْه الأميرةُ إيزابيلا في

---

(1) رنسيمان، ستيفن: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: د. السيد البازالعريني، ط2،بيــروت،1413هــــ، 1993م، ج3، ص245.

(2) م.ن، ج3 ، ص446.

(3) العسقلاني شافع بن على الكاتب: كتاب الفضل المأثور في سيرة السلطان الملك المنصور، تحقيق: عمــر عبــد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ص162؛ أبو سعيد، حامد: الجبهة الإسلامية، ص415.

(4) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج11، ص398؛ العيني، بدر الدين العيني: عقد الجمــان، ج1، ص114؛ المقريــزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، ط2، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1378هــــ/ 1957م، ج2، ص564، 565؛ رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص506.

(5) رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص565.

عدم إلغاءِ الهدنةِ، فأنكر عليها ذلك وقرّرَ الهجوم على المدينةِ وضمِّها لحظيرةِ الدولة الإسـلامية[1]، وخاصة أنه كان قد ضم صفد إلى الجبهة الإسلامية[2]، فكررت طلبَ الهدنةِ مع إرسالِ ثمنِ المركب وأموالِ التجار، كما التزمت أيضاً بإطلاق سراح الأسرى على المركب، وحينئذ وافقَ السلطانُ على الهدنة واستقرتْ قاعدةُ الصلح معهم[3].

كذلك اعتمد السلطان بيبرس على توقيعِ معاهدةٍ مع حـاكم مدينـةِ صـور وهـو فيليـب مونتفورت، [4] ونلاحظ أن بيبرس كان قد عقد معهم معاهدات وجميعها أثناء حصاره لمدينة صـفد أي سنة (446 هـ =1054م) وذلك حتى يحفظ موازين القوة في المنطقـة، ويـصفي الوحـدات الصليبية كلاً على حدة، أي سياسةُ فرِقْ تَسُد، [5] ولكن حاكمَ مدينة صور وأثنـاء حـصارِ بيبـرس لمدينة صفد قدم مساعداتٍ لها، كذلك أغار على مدينة بانياس فتصدتْ له حاميةُ المدينـة المـسلمة وقُتِلَ يومئذ الأتابكُ السابقُ شاهين وهو من كبار رجال بيبرس، أمام أولاده وإخوته وهو مـن كبـار رجال السلطان بيبرس مما أدى إلى نقض الهدنة معهم، وقرر الهجـوم العـسكري ضـدهم، إلا أن رُسُل الصليبيين أتت عام (665هـ = 1267م) طالبةً استمرار الهدنة مع السلطان، واستعدتْ مدينةُ صور على أن يحضروا أولاد الأتابق السابق شاهين وأخوته ويقرروا مقدار الدية التي يدفعونها عن مقتل والدهم، فقررت ديته خمسة عشر ألف دينار، فأرسل الرسل نصف ذلك مقدماً لعقـدِ الهدنـةِ، بالإضافةِ إلى إحضارِ أسرى مسلمين مغاربةٍ للسلطان، ويجدد عقد الهدنة بين الطرفين[6].

إن نقض هدنةٍ مع مدينةٍ من أجل مقتل شخص واحد من عامةِ الناس، وإعادة العلاقات بعدَ دفع ديـةٍ بمبلغٍ كبيرٍ قدرَ بخمسةَ عشرَ ألفَ دينارٍ ليوضح مدى الاهتمامِ بكرامةِ الإنسانِ المسلمِ زمنَ المماليكِ، تأديباً للصليبيين على عدم التعدي على أي فردٍ من أفراد المماليك خاصة والمسلمين عامة.

كذلك رأينا بيبرس حينما هادنَ حاكم طرابلس بوهمند السابع على أن يجلب لـه كـلَّ سـنةٍ عشرين أسيراً[7]، وذلك لتحريرهم على فترات، لعدم مقدرته على خوضِ حربٍ ضد مدينة أنطاكيـة وإسقاطها، و وهذا الاتفاق يبرهنُ خوف بيبرس على الأسرى المسلمين عند بوهمند السابع، وخاصةً أنه تولى حكم أنطاكية وهو صغير لا يؤمَن مكرهُ على الأسرى، فحين يدفع للمـسلمين كـلَّ سـنةٍ عشرين أسيراً، يطمئن بيبرس على عدم تعديه على الأسرى وقتله لهم، لئلا يخـل بالاتفاقيـة بـين الطرفين، وتكون العاقبة عليه وخيمة.وأيضاً إن وجود عشرين أسيراً كلَّ سنة ليبرهن علـى نـدرةِ

---

(1) أبو سعيد: الجبهة الإسلامية، ص515.

(2) المقريزي: السلوك، ج2، ص545.

(3) م.ن، ج2، ص559.

(4) رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص665.

(5) طقوش، محمد سهيل: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، دار النقاش، القاهرة، ط 1، 1418هـ / 1997م، ط 2، 1420 هـ / 1999م، ص182.

(6) المقريزي: السلوك، ج2، ص559؛ رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص570.

(7) م.ن، ج2، ص619.

الأسرى عند الصليبيين وقلة عددهم، بالمقارنة بأعداد الأسرى المسلمين المبادل بهم في العهد العباسي الثاني.

إن المعاهدات المبرمةَ بين المسلمين والصليبيين تدلُّ على مدى توازن القوة، ومعظمها لصالح المماليك، لأن الصليبين في معظم الوقت قد ذاقوا الضربات الموجعة من المسلمين، وخوفاً على أرواحهم وتهديداً لهم، لأنهم يعلمون أن المماليك ينظرون إليهم نظرة المحتل المغتصب لبلادهم، وفي أي فرصة تحين للمماليك يطردونهم شر طردة من البلاد الإسلامية.

وفي عهد الملك السعيد بن الظاهر بيبرس[1] طلب الفرنجة هدنة عام (679 هـ = 1279م) فشرط عليهم المماليك إطلاق سراح الأسرى المسلمين من أيديهم وتم ذلك لهم[2].

لم يعتمدِ المماليكُ في تحرير الأسرى على الجهود السياسيةِ في ذلك، بل كان كلُّ اعتمادهم الكبير في تحريرهم على جهودهم العسكرية، وذلك لأنهم دولة عسكرية من الطراز الأول، وثانياً لم يكونوا يحتفظون بالأسرى الصليبيين في معظم الأحيان وخاصة فرق الداوية والاسبتارية والفرسان وذلك لعدائهم الشديد للإسلام والمسلمين، إن المماليك والأيوبيين على حد سواء كانوا يقتلون كل من يقع في أيديهم[3]، وذلك إتباعا لسنة الرسول ﷺ حينما أمره الله عز وجل بعدم إبقاء الأسرى المشركين وقتلهم حتى يتمكنوا في الأرض وتصبح كلمة الإسلام هي العليا والمشركون يسارعون إلى طلب رضاهم ومهادنتهم[4].

وبالنظر للمعاهدات التي أبرمت بحق تخليص الأسرى لم يذكر عددهم وذلك يبرهنُ أن أعداد الأسرى المسلمين عند الصليبيين قليلة[5]، وعادة يتم معاهدة من أجل أسير واحد، فيطلب الصليبيين رضا السلطان فيرسلون أسرى مغاربة جلبوهم عن طريق القرصنة في البحر[6]، ولو أن هناك أسرى من الشام أو مصر لحضروا عوضاً عن أسرى المغاربة، وذلك يؤكد عدم وجود أسرى أولاً، ولأن المماليك دائماً هم المنتصرون في حروبهم ضد الصليبيين وهم المسيطرون على مجرى العلاقات معهم، ومع بعضهم البعض.

---

(1) هو الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة خان الظاهر بيبرس ولد سنة (658 هـ = 1260م) وأمه بنت الأمير حسان الدين بركة خان الخوارزمي، كان شاباً مليحاً كريماً حسن الطباع وصف بالعدل واللين. توفي سنة (680هـ = 1281م). الذهبي: العبر، ج5، ص321؛ أبي الفضل، الدرر الكامنة، ج2، ص366.

(2) ابن إياس الحنفي: جواهر السلوك في أمر الخلفاء والملوك، تحقيق: محمد زينهم، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ص124.

(3) ابن الأثير: الكامل، ج10، ص176؛ القلقشندى: مآثر الأناقة، ج3، ص306؛ ابن ثغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص223؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج12، ص321

(4) ينظر: الطبري: تفسير الطبري، 108، ص42؛ القرطبي: تفسير القرطبي، ج16، ص228؛ ابن كثير: تفسير ابن كثير، ج2، ص290.

(5) العيني، بدر الدين العيني: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج6، ص114

(6) المقريزي: السلوك، ج1، ص559.

الفصل الثاني

جهود المسلمين العسكرية لتحرير أسراهم

المبحث الأول: جهود المسلمين العسكرية في تحرير أسراهم فـــي العهـــدين النبـــوي والراشدي

المبحث الثاني: جهود المسلمين العسكرية في تحرير أسراهم في العهد الأموي

المبحث الثالث: جهود المسلمين العسكرية في تحرير أسراهم في العهدين العباســـي الأول والثاني حتى بداية الاحتلال الصليبي لبلاد الشام

المبحث الرابع: جهود المسلمين العسكرية في تحرير أسراهم في العهد الزنكي

المبحث الخامس: جهود المسلمين العسكرية في تحرير أسراهم في العهد الأيوبي

المبحث السادس: جهود المسلمين العسكرية في تحرير أسراهم في العهد المملوكي

المبحث الأول

جهود المسلمين العسكرية في تحرير أسراهم في العهدين النبوي والراشدي

أولاً: جهود المسلمين العسكرية في تحرير أسراهم في العهد النبوي:

اهتم النبي ﷺ بتحرير الأسرى، حتى ولو كانوا شهداء محتجـزين لـدى عـدوهم وذلـك بإحضارهم لدفنهم عند ذويهم كرامة لهم، مثل ما حدث مع جثمان الأسير خبيب بن عدي[1]، الـذي أسرته قريش بجريرة قتلاها يوم بدر، فهو قاتل الحارث بن عامر بن نوفل يوم بدر، وأتت به مكـة لتطفئ نيران حقدها على رسول الله ﷺ فقاموا بوثقه بالأغلال، وحبس في بيت امرأة يقال لها مـاوي بنت الحارث،وذات يوم قالت له: (يا خبيب، هل لك من حاجة؟ قال: لا، إلا أن تسقيني العـذب، ولا تطعميني ما ذبح على النصب، وتخبريني إذا أرادوا قتلي، قالت: فلمـا انـسلخت الأشـهر الحـرم وأجمعوا على قتله أتته فأخبرته، فو الله ما رأيته اكترث لذلك).[2]

خرجت قريش به موثوقاً بالحديد، وخرج خلفه الصبيان والنساء والعبيد وجماعة مـن أهـل مكة، لم يتخلف أحد، إما موتور أو مخالف للإسلام وأهله، وفي صحن الكعبة، أمروا بخشبة طويلـة فحفر لها، فلما وصلوا بخبيب إلى خشبته قال: (هل أنتم تاركي فأصليَ ركعتـين[3]؟ قـالوا: نعـم، فركع ركعتين أولاهما من غير أن يطول فيهما) [4].ثم قال: (أما والله لولا أن تروا أني جزِعتُ من الموت لاستكثْرتُ من الصلاة) [5].

---

(1) خبيب بن عدي بن مالك بن عامر بن مجدعة بن جحجي بن عوف بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عـوف بـن مالك بن الأوسي الأنصاري، شهد بدراً مع رسول الله ﷺ قالت عنه امرأة من قريش إن أفضل أسير قط رأيتـه هو خبيب، كان في مكة ولا يوجد في مكة حبة عنب، فكانت تراه يأكل العنب، وعلمت أن الله الذي رزقه لـه، وعد من المتهجدين في قراءة القرآن قتل سنة(4هـ= 625م). ابن الأثير: أسد الغابة، ج1، ص318؛ الـذهبي: تاريخ الإسلام، ج1، ص222.

(2) الطبري: تاريخ الرسل، ج1، ص484؛ الواقدي: المغـازي، ج1، ص138؛ الـذهبي: تـاريخ الإسـلام، ج1، ص222.

(3) ابن خبيب سن لكل مسلم قتل صبراً، الصلاة قبل إعدامه . الطبري: تاريخ الرسـل، ج1، ص484؛ الواقـدي: المغازي، ج1، ص137؛ خليفة: تاريخ خليفة، ج1، ص44؛ ابن الأثير: الكامل، ج1، ص300؛ المقدسي: البدء والتاريخ ، ج1، ص248؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج1، ص222.

(4) الطبري: تاريخ الرسل، ج2،ص78؛ الواقدي: المغازي، ج1، ص137؛ خليفة: تاريخ خليفة، ج1، ص44؛ ابـن الأثير:الكامل، ج1، ص300؛ المقدسي: البدء والتاريخ، ج1، ص248؛ الذهبي: تاريخ الرسل، ج1، ص222.

(5) الطبري: تاريخ الرسل، ج2، ص78؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج1، ص318؛ الواقدي: المغازي، ج1، ص137؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ، ج1، ص222.

وقال:

فلست أبالي حين أُقْتل مسلماً　　عَلَى أَيِّ شِقٍّ كان في الله مَصْرَعي.

وذلِك في ذاتِ الإِله، وإن يَشَأْ　　يُبَارِكْ على أَوصالِ شِلْو مُمَزَّع[1]

ثم دعا فقال: (اللهم أحصهم عدداً، وخذهم بدداً) [2]

فقال أبو سفيان بن حرب: (أيسُّرك يا خبيب أن محمداً عندنا بمكة تُضْرَبُ عُنقه وأنك سالمٌ في أهلك؟ فقال: والله ما يسرني أن أسلم في أهلي وأن يصيب محمداً شوكة تؤذيه) [3]، ثم قام عقبة بن الحارث فقتله[4].

وصلب خبيب رحمه الله بالتنعيم في مكة، وقد كان الرسول ﷺ قد علم بأسره وبكى عليه ودعا له، وبعث رجلاً من الصحابة ليفك وثاقه بعد صلبه ويواري جثمانه الطاهر[5].

وذكر الطبري: أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً من الأنصار عيناً على قريش من أجل جثمان خبيب، فقال الرجل: (جئت إلى خشبة خبيب وأنا أتخوف العيون فوفيت فيها، فحللت خبيباً، فوقع على الأرض، فانتبذتُ غير بعيدٍ، ثم ألتفتُّ فلم أرَ لخبيبٍ رمةً، فكأنما الأرض ابتلعته، فلم تذكر لخبيب رمةٌ حتى الساعة) [6] وفي بيعةِ الرضوانِ التي تمْت تحتَ الشجرةِ كما ذكرنا سابقاً، تمت من أجلِ عثمانَ بن عفان رضي الله عنه وهو أسير عند قريش، وهي بيعةٌ على الموت، وخوضُ حربٍ ضروسٍ من أجل استنقاذِه من الأسر، حيث قال ﷺ :"لا نبرحْ حتى نُناجِزَ القوم"[7]، وهذا يدل على أن الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه، استعد بكل إمكاناته المتاحةِ لديه ولدى أصحابه، بخوضِ صراعٍ من أجل تحريرِ أسيرٍ واحدٍ من المسلمين، رغم أنه لم يأتِ إلا لأداء فريضةِ الحجِّ، لا لحربٍ وقتال ضد قريش[8] ولهذا يعد من الجهود العسكرية للرسول ﷺ في تحرير الأسرى، رغم

---

(1) الطبري: تاريخ الرسل، ج2،ص78؛ الواقدي: المغازي، ج1، ص137؛ خليفة: تاريخ خليفة، ج1، ص44؛ ابن الأثير:الكامل، ج1، ص300؛ المقدسي: البدء والتاريخ، ج1، ص248؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج1، ص222.

(2) ابن الأثير:الكامل، ج1، ص300؛ المقدسي: البدء والتاريخ، ج1، ص248؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج1، ص222.

(3) الواقدي: المغازي، ج1، ص138؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج1، ص222.

(4) الطبري: تاريخ الرسل، ج2،ص78؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج1، ص318؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ، ج1، ص222 .

(5) خليفة: تاريخ خليفة، ج1، ص44.

(6) تاريخ الرسل، ج1 ، ص484.

(7) الطبري: تاريخ الرسل، ج2، ص21؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج7، ص28؛ ابن الجوزي: المنتظم، 38، ص269.

(8) م.ن، ج2، ص121؛ المقدسي: البدء والتاريخ، ج7، ص224؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج3 ص269.

أنه لم تحدث حرب في استرداده، إلا أنه وضع الأسس التي من بعدها أتت كجهود لتحرير الأسرى المسلمين، وكل الجهود للمسلمين إنما هي اقتداءٌ به ﷺ.

ثانياً: جهود المسلمين العسكرية في تحرير أسراهم في العهد الراشدي:

بدأت الفتوحات الإسلامية في عهدِ الخليفةِ الأولِ أبو بكر الصديق رضي الله عنه عندما أرسل الجيوش لفتح بلاد الشام في العام الثالث عشر للهجرة، وقد وقعت عدة معارك مع الروم وانتصر فيها المسلمون[1]. وفي معركةِ أجنادين (عام 13هـ = 636م) كان النصر للمسلمين وقتل من الروم ثلاثةُ آلافِ مقاتلٍ، كما قتلَ عشرةٌ من ملوكهم، وكان ضرار بن الأزور[2] قد قتلَ ابن ملكِ الروم همدان بن وردان صاحب حمص، وعلم الروم من قَتَلَ ابن ملكهم، فما كان منهم إلا أن قاموا بمكيدةٍ إذ نصبوا كميناً لضِرار بن الأزور ومن معه من صحابته وباغتوهم وقتلوا منهم ستين رجلاً، وأسروا ضرار بن الأزور وخمسة من أصحابه[3]، بعد أن أصابوه في فخذِه، وحملوه إلى ملكهم، وعندما علم أبو عبيدة بن الجراح، رضي الله عنه بذلك وكان قائدَ الجيوش في بلاد الشام، بكى وتضَّرع لله بالدعاءِ لخلاص الأسرى. [4]

وقالت عنه أخته خوله بنت الأزور[5] من المراثي المبكيات:

أَبعْدَ أُخَيَّ يلـذُّ الغَمْـضُ عَيْنـي	فَكَيف يَنـامُ مقـروح ُالجُفُـونِ
سَأَبْكي ما حَيْيـتُ علـى شَـقيقٍ	أعزُّ عليَّ منْ عَيْنـي اليَمـينِ
فَلـوْ أنِّـي لَحقْـتُ بـهِ قَتـيلاً	لهانَ عَلَيَّ إذْ هُوَ غَيْـرَ هَـونِ
وقَالوا كمْ بُكاؤكِ؟ قُلـتُ: مَهـلاً	أَما أَبكي وَقَدْ قَطَعُوا وَتينـي[6]

---

(1) لمعرفة حروب المسلمين ينظر: الطبري: تاريخ الرسل، ج2، ص359؛ الواقدي: فتوح الشام، ج1، ص218؛ البلاذري: فتوح البلدان، ج7، ص259؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج4، ص122؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج1 ،ص 27.

(2) ضرار بن الأزور بن أسلم بن مالك بن انس بن خديجة بن ربيعة بن مالك، أسلم في السنة (9هـ =630 م) من وفد بني أسد، استشهد في حروبه مع الروم قطعت ساقاه، فكان يزحف ليقاتل حتى قتل. ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج6، ص39؛ خليفة: طبقات خليفة، ج1، ص35؛ الشيباني، أبو بكر أحمد بن عمرو الضحاك: الآحاد والمثاني، ج2، ص298، أبو الحسين، معجم الصحابة، ج2، ص29؛ العسقلاني: الإصابة، ج3، ص481.

(3) الأسرى هم: رافع بن عميرة، وربيعة بن عامر، وعاصم بن عمرو، ويزيد بن أبي سفيان، وخامسهم ضرار بن لأزور، الواقدي: فتوح الشام،ج1، ص172.

(4) الواقدي: فتوح الشام، ج1، ص297.

(5) هي خوله بنت الأزور بن أوسر بن خزيمة بن ربيعة، أسلمت مع أخيها ضرار عام (9هـ =630م) شاركت مع أخيها في حروب فتوح الشام كلها، لها بطولات في تلك الحروب توفيت في أواخر خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ولم أجد تاريخ وفاتها. ابن سعد: الطبقات، ج6، ص39؛ خليفة: الطبقات، ج1، ص35؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج1، ص278.

(6) الواقدي: فتوح الشام، ج1، ص297

ورقّ لحالها خالد بن الوليد رضي الله عنه فأستأذن أبا عبيدة رضي الله عنه بالمسير إلى ملك الروم واستنقاذ الأسرى المسلمين منه، فأذن له، وسار خالد بن الوليد رضي الله عنه ومعه مائةُ فارسٍ من صحابة رسول الله ﷺ وهم يعلنون التكبير والتهليل[1].

عندما وصل إلى عسكر الروم ترجَّلَ عن فرسه هو والمائة فارس، وساروا رافعين رؤوسهم يتبخترون في مسيرهم ويجرّون حمائل سيوفهم ويخترقون صفوف الحجبة[2]، والبطارقة[3] لا يهابون أحداً إلا الله تعالى، ولم يلتفتوا إلى الزينة المحاطة بموكب ملك الروم، ووصلوا إلى ماهان[4]، ولم يجلسوا على الكرسيِّ بل جلسوا على الأرض[5]، ودار بين ماهان وخالد بن الوليد حديثٌ مُطَّولٌ ذكره الواقديُّ بطُوله في كتابهِ فتوح الشام، وما يهمنا هو أن ماهان قال لخالد: (...افعل ما تشاء فإننا لا نرجع عن ديننا ونؤدي الجزية، وأما ما ذكرْتَ من أن الأرض لله يورثها من يشاءُ من عباده، فقد صدقْتَ فإنها لم تكنْ لنا ولا لكم بل كانت لقومٍ غيرِنا وغيرِكم فقاتلناهم عليها حتى ملكناها منهم، والحرب بيننا فابرزوا على اسم الله تعالى).

فقال خالد: ما أنتم بأشهى منا إلى الحرب، وكأني بجيوشكم قد انهزمتْ، والنصرُ يقْدُمُنا وتُساقُ أنتَ والحبلُ في عنقك ذليلاً حقيراً وتقدم بين يدي عمر بن الخطاب فيضربُ عنقك". فلما سمع ماهان كلام خالد بن الوليد غضب غضباً شديداً، فلما نظر البطارقة والقياصرة[6] إلى غضب ماهان هموا بقتل خالد إلا أنهم صبروا ينظرون أمره، فقال ماهان لخالد وقد اشتط غضباً: (وحق المسيح لأحضرن أصحابك الخمسة الأسارى ولأضربنّ أعناقَهم وأنت تنظرُ إليهم) [7].

فقال خالد: "اسمع ما أقول لك يا ماهان ما أنت أقل وأذل وأحقر من ذلك، وأعلم أن هؤلاء الذين معك هم منا ونحن منهم فوحق الدعوة المستجابة وحق بيعة أبي بكر رضي الله عنه وخلافة عمر رضي الله عنه – لئن قتلتهم لأقتلنك بسيفي هذا، ويقتل كل رجل منا من قومك بعددهم

---

(1) م،ن، ج1، ص298

(2) الحجبة: هو جمع للحاجب البواب صفة غالبه وجمعه حجبه، وهم الذين يمنعون دخول العامة إلى الملك. ابن منظور: لسان العرب، ج10، ص298.

(3) بطريق بلغة الروم جمعه بطارقه وهو الحاذق بالحرب وأمورها وهو ذو منصب عند ملك الروم وهو ملك العرب. ابن منظور: لسان العرب، ج1، ص160.

(4) ماهان ألأرمني ملك الأرمن وقد جمع حوله مالا يجمع من أهالي الملك هرقل. الواقدي: فتوح الشام ج1، ص160.

(5) م، ن، ص191

(6) قيصر: اسم ملك يلي الروم، وقيصر ملك الروم وجمعها قياصرة الروم، ابن منظور لسان العرب، ج5، ص104، وربما قصد هنا أبناء الملك الذين سيلون الحكم من بعد ملك الروم.

(7) الواقدي: فتوح الشام، ج1، ص190.

وزيادة"[1]، ووثب خالد بن الوليد من موضعه وأخرج سيفه من غمده، وفعل أصحاب رسول الله ﷺ كفعله وهو يقول: "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، وجردوا سيوفهم وهاجوا كالسباع الضواري واستقتلوا وأيقنوا الشهادة في ذلك المكان.

فلما رأى ماهان الحقيقةَ منهم وتبين الموتَ في سيوفهم قال: مهلا يا خالد لا تكن بهذه العجلة فتهلكْ، وأنا أعلم ما قلت ذلك القول إلا لأنك رسولٌ، والرسول يحْمِل ولا يقتل، وأنا إنما تكلمتُ بما تكلمتُ لاختبرَكم وانظرَ ما عندكم، فارجع إلى عسكرك واعزم على القتال"[2]. فقال خالد بعد أن أغمد سيفه: "يا ماهان ما تصنع في هؤلاء الأسرى؟ فقال ماهان: أطلقهم كرامة لك، وأخلي سبيلهم فيكونون عوناً لك ولن تُعجِزونا بالحرب غداً "[3].

ففرح خالد بن الوليد بذلك وهم بالمسير فقال له ماهان: "يا خالد كنت أحب أن يصلح الأمر بيني وبينك وأني أسألك حاجة" فقال خالد سل ما تريد؟ فقال: "إن قبتك هذه الحمراءَ قد أعجبتني وإني أريد أن تهبَها لي، وانظر في عسكري ما أعجبك من شيءٍ فأهبه لك".فقال خالد قد أفرحتني – والله– إذ طلبتَ مني ما أملكُهُ وهي موهوبةٌ لك ولا حاجةَ لي من عسكرك. فقال ماهان: أنت تكرّمْتَ وأجملت فقال خالد: وأنت أيضاً، قد تكرمت علينا بما صنعتَ من إطلاق أصحابي من الأسر[4]. وخرج ابن الوليد ومعه الأسرى هو وأصحابه وساروا إلى أن وصلوا أبا عبيدة _رضي الله عنه_ وفرح المسلمون بخلاص أصحاب رسول الله ﷺ من الأسر، ونجاتهم من الموت.

قال الواقدي معقباً على هذه الرواية: "والله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ما أتممت في أخبار هذه الفتوح إلا الصدق وما نقلت أحاديثهم إلا عن ثقاة وعن قاعدة الحق، لأثبت فضائل صحابة رسول الله ﷺ وجهادهم حتى أرغم في ذلك أهل الرفض والخارجين عن السنة والفرض، إذ لولاهم –بمشيئة الله– لم تكن البلادُ للمسلمين وما انتشر علمُ هذا الدين. فلله درهم لقد جاهدوا في الله حق جهاده ونصروا دينه وثبتوا للقاء الأعداء وبذلوا جهدهم ونصروا الدين حتى زحزحوا الكفر عن سريره"[5].

---

(1) م.ن، ج1، ص191.
(2) الواقدي: فتوح الشام، ج1، ص191–191.
(3) م.ن، ج1، ص190.
(4) م.ن، ص191. توفي الواقدي سنة (207 هـ = 822م) وهو أقدم المؤرخين العرب في الفتوح، وقد اعتمد في تدوين أخبار الفتوح على الثقات الذين تناقلوا سيرة الفتوح عن شهود عيان وأبطال معارك، فكتابه منذ أكثر من اثني عشر قرناً يعتبر في المدارس الحديثة المعاصرة لكتابة التاريخ نموذجاً عن التاريخ الشفهي.ينظر: فوزي، فاروق عمر: التدوين التاريخي عند المسلمين، مركز زايد، الإمارات العربية، ط1، 1425هـ/ 2004م، ص58ـ 59.
(5) الواقدي: فتوح الشام، ج1، ص190.

ويلاحظ مدى التضحية التي قدمها خالد بن الوليد رضي الله عنه وصحابته في إنقاذ الأسرى الخمسة من الأسر، وهم من صحابة رسول الله ﷺ فأين حكام المسلمين وقياداتهم وجندهم اليوم من أحد عشرَ ألفَ أسيرٍ مسلم في سجونِ الاحتلال الصهيوني.

ومن أروع ما قدمته مصادرنا من معلومات عن جهود المسلمين في تحرير أسراهم في العهد الراشدي هو ما قام به عبدُ الله بن حذافةَ[1]، حينما أسره الروم في بعض غزواته على قيسارية في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وعندما علم الخليفة بذلك غضب غضباً شديداً وكتب رسالة يهدد فيها طاغية الروم بأنه إن لم يخلّ سبيل عبد الله بن حذافه فسيحاربه بجيوش جراره[2]، فعندما وصل رسول الخليفة إلى ملك الروم كان ملك الروم قد أطلق سراح عبد الله بن حذافه وثمانين أسيراً من المسلمين كانوا مأسورين عند الروم، وسبب ذلك أن طاغية الروم دار بينه وبين الصحابي عبد الله بن حذافه حوار يدل على عظمة الإيمان في قلوب صحابة رسول الله ﷺ.

فعندما دخلوا به على قيصر الروم في القسطنطينية قالوا له: هذا الرجل-عبد الله بن حذافة- من قريش، ومن أصحاب نبيهم المقربين إليه وكان قيصر الروم يسمع عن صحابة رسول الله ﷺ ويعجب من أمرهم، ومما فعلوه به وبجيشه، وكان يحب أن يرى بعضهم ليختبرهم بنفسه، وليرى أي نوع من الرجال هم فقال له الطاغية: تنصّر وإلا ألقيتك في البقرة، وهي من نحاس. قال: ما أفعل، فدعي بالبقرة النحاس فملئت زيتاً وأغليت، ودعا برجل من أسرى المسلمين، فعرض عليه النصرانية فأبى، فألقاه في البقرة، فغدت عظامه تلوح[3]، فقال لعبد الله: تنصر وإلا ألقيتك. قال: ما أفعل. فأمر به أن يلقى في البقرة فبكى، فقالوا: قد جزع، قد بكى، قال: ردوه. فقال: لا ترى أني بكيت جزعاً مما تريد أن تصنع بي، ولكني بكيت حيث ليس لي إلا نفس واحدة يفعل بها هذا في الله، كنت أحب أن يكون لي من الأنفس عدد كل شعر فيَّ، ثم تُسلَّطَ عليّ فتفعل بي هذا. فأعجب منه، وأحب أن يطلقه، فقال: قبل رأسي وأطلقك، قال: ما أفعل، قال تنَصّرْ وأزوجُك ابنتي وأقاسمك ملكي، قال: ما أفعل[4]، قال: قبل رأسي وأطلقك. فقال له: لا أقبّلَ رأسك لأنجوَ بنفسي فقط، فقال

---

(1) عبد الله بن حذافة ابن قيس بن عدي بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص، وأمه تميمة بنت حرثان من بني الحارث بن عبد مناه بن كنانة، وهو أخو جليس ابن حذافه زوج حفصة بنت عمر بن الخطاب قبل رسول الله ﷺ ولم يشهد عبد الله بدراً ولكنه قديم الإسلام بمكة، وكان من مهاجرة الحبشة الهجرة الثانية، ونفذه النبي ﷺ رسولا إلى كسرى. ابن سعد: الطبقات، ج4، ص190.

(2) م.ن، ج4، ص190؛ ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج4، ص157.

(3) ابن الجوزي: المنتظم، ج2، ص46؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج2، ص97.

(4) م.ن، ج2، ص46؛ م.ن، ج2، ص97.

له: فهل لك أن تقبلَ رأسي وأطلقك وأدفعَ لك كلَّ أسيرٍ من المسلمين عندي؟ قال: أما هذه فنعم، فقبل رأسه، وأطلقه، وأطلق معه ثمانينَ من المسلمين[1]، فلَّما قَدِمَ قال له عمر بن الخطاب: حُقَّ على كلِّ مسلمٍ أن يقبل رأسك وأنا أبدأ، فقام فقبل رأسه[2]، فكان أصحاب رسول الله ﷺ يمازحون عبد الله فيقولون : قبّلْتَ رأس عِلْجٍ، فيقول لهم: أطلقَ اللهُ بتلك القبلةِ ثمانينَ من المسلمين [3].

رحم الله تعالى عبد الله بن حذافة فقد طبّقَ كلامَ رسول الله ﷺ حينما قال: (لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحب لنفسه)، فقد رفضَ الإفراجَ عنه دون إخوته الأسرى من يدِ الروم.

إن تهديد الخليفة لملك الروم بالحرب إذا لم يطلق سراح الأسرى، وقبول عبد الله بن حذافة تقبيلَ رأسِ ملك الروم مقابلَ إطلاق سراح أسرى المسلمين، وإكبارَ الخليفةِ لتصرُّفِ ابنِ حذافةَ وتقبيلِ رأسِه وأمرِهِ للمسلمين بتقبيلِ رأسه لدليلٌ واضحٌ على مكانةِ الأسرى عند المسلمين في العهد الراشدي؛ ولا عجبَ فهوّ عصرُ الالتزامِ الكاملِ بالإسلام وعصرِ القوة، وكلما ازدادَ المسلمون قوةً والتزاماً زاد اهتمامهم بأسراهم.

وكذلك عندما علم معاوية بن أبي سفيان وأخوه يزيد بن أبي سفيان بالأسرى المسلمين عند ملك الروم، أسفوا على ذلك، وكانوا يحاصرون قيساريةَ وكلما أمسكوا أسيراً من الروم احتفظوا به، حيث قال معاوية: (ما يصنع ملك الروم بأسرانا صنعْنا بأسراهم مثله) [4].

وهو بذلك يضيّق الخناقَ على ملك الروم في أن يستخدمَ أسلوبَ القتلِ أو التنكيلِ بالأسرى المسلمين، مخافةَ أن يعاملَوا بالمثل، كذلك فإنّ عددَ أسرى المسلمينَ كان قليلاً، بالمقابل مع أسرى الروم عند المسلمين.

عندما فُتحتِ الإسكندرية مستهلَّ شهر محرم سنة (21 هـ =642 م) على يد عمرو بن العاص ـرضي الله عنه ـ أخذ الروم يهربون في البر والبحر، وتعقّبهم عمرو في البرِّ ليقضيَ عليهم خشيةَ أن يجتمعوا ويكيدوا للمسلمين، وكان قد ترك بالإسكندرية حاميةً ترابط فيها لئلا ينقض الروم، ولكنَّ تلك الحامية لم تكن كافيةً للدفاع عن المدينة، حيث كان تعدادُها ألفَ رجل[5]، ولهذا لما أحسّ الروم بمطاردةِ عمرو للهاربين في البر، عاد الهاربون في البحر إلى الإسكندرية، وقتلوا من

---

(1) ابن الأثير: أسد الغابة، ج2، ص97؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج1، ص425؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج2، ص46.

(2) ابن الأثير : أسد الغابة، ج2، ص97؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج1، ص425؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج2، ص46.

(3) ابن الأثير : أسد الغابة، ج2، ص97؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج1، ص425؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج2، ص46.

(4) الطبري: تاريخ الرسل، ج2، ص447،؛ الوكيل: جولة تاريخية، ص189.

(5) ابن عبد الحكم أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله: فتوح مصر والمغرب، ص18؛ الوكيل: جولة تاريخية، ص260.

فيها من المسلمين إلا من استطاع الهرب وأسروا البعض، وعلم عمرو بما حدث للمسلمين على يد الروم، فعاد على الفور، واقتحم المدينة، وفتحها بالسيف، وكتب إلى عمر بن الخطاب خليفة المسلمين بذلك، واستنقذ المسلمين من الأسر، وانتقم لمن تم قتله على يد الروم من الحامية(1).

أما في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه فقد حدثت أكبرُ معركةٍ تاريخيةٍ بحريةٍ مع الروم هي ذات الصواري، وكانتِ القيادةُ للوالي على مصر عبد الله بن أبي السرح(2)، وعلى الروم قنسطانز الثاني بن هرقل، وقدرت سفن الروم 500 مركب وسفنُ المسلمين 200 مركب، والتقى الطرفان في عرضِ البحرِ وكان ذلك عام (31 هـ = 652م) ودارت حربٌ ضارية بينهم، وأثناء ذلك أمر الملك قسطنطين رجاله بخطف مركب أمير البحر عبد الله بن سعد عن طريق الغوصِ أسفلَ المركب وربط المركبِ بسلسلةٍ ضخمةٍ يستطيعون سحبها إليهم، وبالفعل نجحتْ عمليةُ الربطِ، وبدؤا بسحب المركب بتلك السلسلة الضخمة، ووقف المسلمون مبهوتين أمام هذا المنظر الرهيب، إن أميرهم سيؤسَرُ من بينهم وهم لا يدرون، كيف ينقذونه(3)؟!!

مرتْ لحظاتٌ رهيبةٌ وفوجئ المسلمون والروم على حدٍّ سواءَ برجلٍ من المسلمين يسمى علقمةُ بن يزيد – وكان مع الأمير في مركبه– فألقى بنفسهِ في المياه وأخذَ يقطعُ السلسلةَ بسيفه، والرومُ يضربونه بالسهامِ وهو صابرٌ متحمّلٌ في سبيل أن لا يقع مركِبُ قائدهم ومن معه في أسر الأعداء، وفي اللحظةِ التي يئسَ فيها المسلمون من نجاةِ أميرهم، واقترابِ المركبِ إلى الأعداءِ ووقوعهِ في الأسر، انقطعت السلسلةُ وبذلَ الملاحُ أقصى ما يمكنه ليديرَ المركبَ إلى جهةِ المسلمين، ونجحَ الملاح الماهر، وأفلتَ مركبُ الأميرِ وانضمَّ إلى أسطولِ المسلمين(4).

إن ما قام به علقمة بن يزيد من مخاطرةٍ بنفسهِ في سبيلِ فكاكِ قائدهِ والمسلمينَ الذين معه من الأسر، لجديرٌ أن تسطّرَهُ الأقلامُ وتقفَ وقفةَ إجلالٍ وتعظيمٍ له.

إن كثرةَ المعاركِ، وتوالي الفتوح، أدتْ إلى وقوعِ أعدادٍ كبيرةٍ من الأسرى والسبْي بأيدي الفاتحين خاصةٍ في المدن، والقرى التي كانت تُفتح عُنوة، فكانت الدولة تأخذُ منه الخُمْسَ بينما

---

(1) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص19.

(2) ابن عبد الله بن سعد لقب أبي السرح بن الحارث أمير الجيوش أبو يحيى القرشي العامري بن عامر بن لؤي بن غالب، هو أخو الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه بالرضاعة، في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه تولى ولاية الصعيد، وفي عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه تولى مصر، واعتزل الفتنة، وكره أن يكون مع معاوية،، الولي في خلافة علي رضي الله عنه ودفن في الرملة سنة (59 هـ = 679م). الذهبي: سير، ج3، ص34–35؛العسقلاني: الإصابة، ج5، ص137.

(3) ابن عبد الحكيم، فتوح مصر، ص257.

(4) م.ن، ص257؛ العسقلاني: الإصابة، ج5، ص37؛ الوكيل: جولة تاريخية ، ص368.

توزع الأربعة أخماس على المقاتِلة[1]، وهذا ما كان واضحاً في العهد النبوي والراشدي، حيث كـان غالباً ما كانت تقوم الدولة بعتقِ وتحريرِ هؤلاء الأسرى، أما الأسرى الذين كـانوا يُوزعـون بـين المقاتلةِ فإذا أسلموا اعتقوا، وصاروا مواليّ للقبيلة التي ينتـسبون إليهـا، ويـشتركون معهـا فـي الحروبِ، وقد فُرِض لهم في العطاء في خلافةِ عمر بـن الخطـاب – رضـيّ الله عنـه – أسـوةً بالعرب[2].

أما سكانُ البلادِ المفتوحة من غيرِ المحاربين فكانوا يُتركون أحراراً على أن يؤدوا الخـراجَ عن الأرضِ والجزيةَ عن كلِّ فرد، أما الأسرى من الأعداء الفلاحين فقد أمر الخليفـة عمـر بـن الخطاب رضي الله عنه بإرجاعهم إلى أراضيهم ليعمروها، وينصرفُ المسلمون للقتال[3].

إن التقسيماتِ للأسرى زمنَ الخلفاءِ الراشدينَ دليلٌ أنه لم يكن هناك أسرى مـسلمون عنـد الروم، ولو كان هناك أسرى، لما تُركوا في يد الأعداءِ وأسرى الأعداءِ أحـرارٌ يـدفعونَ الجزيـة للمسلمين، ولهذا لم أجدْ أسرى مسلمين في يدِ الأعداء حرروا بالقوةِ العسكريةِ إلا ما ذُكِـرَ سـابقاً، وهذا ما يؤكدُ قوةَ الدولةِ الإسلامية في عهدِ الخلفاء الراشدين.

---

(1) للنظر في تقسيم الغنائم، ينظر: عواد، حمود، الجيش والقتال في صدر الإسلام، الفـصل الخـامس، ص476 – 480.

(2) البلاذري: فتوح البلدان، ص374.

(3) م.ن، ص375؛ ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص176؛ عواد: الجيش والقتال، ص88–89.

المبحث الثاني

جهود المسلمين العسكرية في تحرير أسراهم في العهد الأموي

بانتهاء فتوح الشام ومصر، انتقل الحكم من العهد الراشدي إلى العهد الأموي، لم تتوقف الفتوحات بل كانت امتداداً للعهد الراشدي، واتسعت في الدولة الإسلامية لتضم آسيا وأفريقيا وأوروبا، وسميَ عهدُ الوليد بن عبد الملك (86هـ – 96هـ / 705م – 715م) عهد الفتوحات، فتمت فتوح بلاد بخارى وسمرقند على يد القائد العظيم قتيبة بن مسلم الباهلي، وأثناء حروبه مع الأعداء سارع الأعداء لطلب الصلح منه وإعطائهِ الجزية، فعلم قتيبة بوجود أسرى مسلمين في قبضة نيزك (ملك أرخان) فطلب إليه إطلاق سراح الأسرى، وتهدده في كتابه، فخاف نيزك. فأطلق الأسرى وبعث بهم إلى قتيبة [1] . وكان قتيبة قد أخرج لهم متولي طرطوس الخادم ومعه علماء المنطقة وأعيانها، وكل من له قريب أو ولد في الأسرى ينتظره حتى وصل الأسرى إلى طرطوس، وقدروا بثلاثة آلاف وسبعمائة أسير من جميع الأجناس وتم وصول الأسري إلى أهليهم بسلام ، وتم ذلك سنة (87هـ = 706م) [2].

لقد هدد قتيبة ملك طرخان إذ لم يترك الأسرى المسلمين بالحرب والقتال، فعلم ملك طرخان الصدق في كلامه فخافه وأطلقهم، وذلك لما للدولة الإسلامية من قوة لنصرة الدين ونصرة الأسرى المسلمين.

إن سببَ فتح بلاد السند ما رواه البلاذري أن ملكَ جزيرة الياقوت (سيلان) أهدى إلى الحجاج ابن يوسف الثقفي[3] نسوةً وُلدنَ في بلادهِ مسلماتٍ ومات آباؤهن وكانوا تجاراً فأراد التقرب بهن للحجاج، وأثناء ذلك تعرض للسفينة التي كنَّ فيها قومٌ من الديبل في بوارجَ فأخذوا السفينة بما فيها ، فنادت امرأة منهن وكانت من بني يربوع يا حجاج!! وبلغ ذلك الحجاج فقال : (يا لبيك، يا لبيك)!! [4]

---

(1) الطبري : تاريخ الرسل ، ج4 ، ص23؛ ابن الأثير : الكامل ، ج2 ، ص330.

(2) م. ن، ج4، ص23؛ العسلي، بسام: قتيبة بن مسلم الباهلي مشاهير قادة الإسلام ، دار النفائس ، ط7 ، 1397هـ / 1977م ، ص29.

(3) هو الحجاج بن يوسف الثقفي، أبو محمد القائد الخطيب نشأ في الطائف وانتقل إلى الشام، فلحق بروح بن زنباع فأتى عبد الملك ابن مروان الخليفة فعين فرد في شرطيته وبلغ رتبة قائد عسكر، ولي ولاية مكة والمدينة والطائف والعراق وبغداد، مات بواسط، وأجري على قبره الماء فأندس قبره سنة (95هـ = 714م). الزر كلي: الإعلام،ج7، ص163.

(4) فتوح البلدان، ص441؛ الكوفي، علي بن حامد بن أبي بكر: فتح السند "جحنامة" تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، ط6، ح1421هـ/ 1992م، ص88، 90؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج5 ، 350

فكتب الحجاج إلى داهر أن يصلح الأمور ويرجع السبايا، فقال إنما أحدث ذلك لصوصٌ لا يقدر عليهم، فأستأذن الحجاج الخليفةَ الوليد في أن يغزوَ السند، فأرسل عدةَ حمْـلاتٍ علـى بـلاد السند؛ أولُ حملةٍ بقيادة عبيد الله بن نبهان فقتل، فراسل بديل بن طهفة البجلي وهو بعُمـان فـأمره بالمسير إلى الديبل ، فحارب فقتل وهذا دأبهم فأرسل سبعةً من القادة[1]، وقال لهم: (أيكم سبق إلـى الصين فهو عاملها) [2] وذلك لتشجعيهم. وفي سنة (89هـ= 805م) ولى الحجاج الثغر بطلاً فـي المسلمين المحاربين هو محمد بن القاسم الثقفي، واهتم الحجاج بإرسال جيش له من جند بلاد الـشام ما يقارب ستة آلاف فارس مع من انضم من أجلِ فارس والعراق، وجهّزه بكـل وسـائلِ الراحـة والتموين حتى الخيوط والمسال والإبر[3]، وبعث المعدات للحصار في سفنٍ خرجت عبـر الخلـيج العربي، وألقت مراسيها عند ثغر الديبل، في الوقت الذي وصلت فيه الجيوش البرية، ومـن أجـل استخدام الخلِّ في الحروب والصبغة نقع القطن وحفظه تحتَ الظلِ وبعثه لجيش محمد بن القاسـم ، وطلب منه مراسلته كلَّ ثلاثة أيام[4]حتى يبقى على تواصل عن سير الحملة فزحف العـرب علـى أبواب المدينة، واعتصم أهلها وأغلقوا أبواب مدينتهم ، فحاصرهم محمد بـن القاسـم وضـربوهم بالمنجنيق، وصعدوا على السلالم واقتحموا المدينة وأعملوا السيوف في رقاب الأعداء ففتكـوا بهـم فتكاً ذريعاً ، وأُسِرَ كل من قلَّ عمره عن سبعَ عشرةِ سنة والباقي قتل، وغنم المـسلمون غنـائم لا تحصى، وأرسل الخمس منها للحجاج، وبعد هذا الفتح العظيم كُفِيَ المسلمون عناء الحـرب، فكـل المدن سارعت إلى المهادنة وطلب الصلح وفتحت أبوابها إلى المـسلمين، لكـن مدينـة صـهوان حاصرها سبعة أيام ثم سقطت في يد المسلمين[5]. ودارت معركة عنيفة قتل فيها الحاكم لبلاد الـسند الملك داهر، وفر ابنه جنوباً إلى براهمن أباذ، أما زوجة الملك داهر فقامت بإشعال النار وأحرقـت فيها جميع نساء وبنات وأطفال القصر، وحاربت المسلمين حتى قُتلت في المعركـة، ومـن رفـض المشاركة في الحرب من الهندوس وقع في الأسر. [6]

كان محمد بن القاسم يوافي الحجاجَ بكتبه كلَّ ثلاثةِ أيامٍ، ويرسلثُ له خُمْسَ الغنائمِ، ونظـر الحجاج فإذا هو قد أنفقَ على حملةِ بلادِ السند التي قادها محمد بن القاسم ستين ألف ألـف درهـم،

---

(1) البلاذري: فتوح البلدان، ص441؛ ابن الأثير: الكامل ،ج4،ص36 ؛ ابن خلدون:تاريخ ابن خلدون ، ج3 ، 42.

(2) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج3، ص83.

(3) البلاذري: فتوح البلدان ، ص441؛ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج3 ،ص 33 ؛ ابن الأثيـر : الكامـل ، ج4 ، ص111.

(4) البلاذري: فتوح البلدان ، ص442.

(5) م.ن، ص442؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج3، ص32؛ ابن الأثير: الكامل، ج3 ،ص60.

(6) البلاذري:فتوح البلدان ، ص443 – 444؛ الكوفي: فتح السند، ص177،175، ج3 ، ابن الأثير : الكامل ، ج4، ص111.

وغنم ستين ألف ألف درهم، ووجد ما حمل إليه مائة وعشرون ألف ألف، فقـال: (شـفينا غيظنـا وأدركنا ثأرنا وازددنا ستين ألف ألف درهم ورأس باهر) [1]

واصل هشام بن عبد الملك سياسة الفتح منذ أن وصل إلى الخلافة، وأوكل إلى أخيه مـسلمة مهمة قيادة الجيش، وخاض هذا القائد الشجاع حروباً ضاريةً ضد الأعداء وله مواقفُ مشهورةٌ فـي التاريخ فهو الذي سار إلى التركِ الوثنيينَ وكانت له وقائعُ عظيمةٌ [2].

لقد غزا الجراحُ الحكمي والي أردبيل[3]، ومن معه من أهل الشام أذربيجان واقتتـل معهـم قبل أن يتكامل الجيش، فاستشهد الجراح رحمه الله وجماعةٌ معه في مرج أردبيل واسـتولى التـرك عليها، وأسروا من بها من المسلمين، فبلغت الأخبار الخليفة هشام ابن عبد الملك فأرسل على الفور سعيد بن عمرو الحرشي بجيشٍ جرارٍ وأمره بالإسراع إليهم، فلحق الترك وهم يـسيرون بالأسـرى المسلمين نحو ملكهم خاقان، ودارت معركةٌ وقتل من الترك خلقاً كثيراً وانتصرَ المسلمون واستنقذوا الأسرى ومن كان معهم من أهلِ الذمةِ أيضاً، وأسروا منهم عدداً كبيراً، وأدرك المـسلمون ثـأرهم وشفى الله صدورهم ، وقُدِرَ عددُ الأسرى المسلمين الذين استنْقَذهم الجراحُ ألفي أسير. [4]

دامَ الصراعُ بين المسلمينَ والتركِ فخرجَ خاقان فاستباحَ أرمينيةَ وأَسَـرَ مـن فيهـا مـن المسلمين وقدروا بثمانيةَ عشرَ ألفِ أسيرٍ، فعلم الخليفة هشام بن عبد الملك فأقسم ألا يظلَّهُ سقْفُ بيت ولا يغتسلَ من جُنابةٍ حتى يستنقذ الأسرى، فبعث إلى سعيد بن عمرو الحرشي لإنقاذ الأسرى. سارَ سعيد ومعه جيشٌ جرار وجعل لكلِّ جنديٍّ عَلَماً في رمحه وكبروا تكبيرةً واحدة، فلما رأى الأسـرى المسلمون أعلامَ جيشِ المسلمين ثاروا ثورةً واحدةً فأخذوا أعمدةَ الخيامِ وقاتلوا جيش خاقـان حتـى وصلتْ جيوشُ المسلمينَ، وقُتِلَ خاقان، واستباح المسلمون عسكرَ الترك وقتلوا منهم عدداً كبيراً[5].

عاودَ التركُ شنَّ الهجومِ على المسلمينَ فحاصروا قصْرَ الباهليِّ في خراسانَ وشددوا عليـه الحصارَ فطلبَ المسلمونَ الذين بداخله الهدنة مع الترك، وكان فيه مائة عائلة بـذراريهـم، فأخـذ

---

(1) البلاذري: فتوح البلدان، ص445؛ ابن الأثير : الكامل، ج4، ص112؛ زيادة، محمود: الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه، رسالة دكتوراه، دار السلام للطباعة ط6، 1429هـ/ 2008م، ص358.

(2) لمعرفة الحروب التي خاضها مسلمة بن عبد الملك. ينظر: الأسطل، عبد القادر: مسلمة بن عبد الملـك حياتـه وجهاده ، رسالة ماجستير، إشراف: د. خالد يونس الخالدي 1428هـ، 2007م، الجامعة الإسلامية، غزة.

(3) أردبيل هي إحدى مدن أذربيجان، وكانت قبل الإسلام قصبة الناحية. ياقوت الحمـوي: معجـم البلـدان، ج7، ص145.

(4) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج9ص 303 ؛الأسطل : مسلمة بن عبد الملك ، ص121.

(5) ابن الجوزي: المنتظم ،72 ، ص193 ؛ الأسطل : مسلمة بن عبد الملك ، ص124.

الترك سبعةَ عشرَ رجلاً رهائن وأربعةَ آلافِ دينارٍ، فأدرك المسيب بن بشر الرياحيُّ الإهانـــةَ فـــي الصلحِ والخوف من الغدر، فندب الناس للجهاد ورد الرهائن وألغى الهدنة المذلة[1]، وخـــرج معـــه أربعة ألاف مقاتل من سائر القبائل وعندما خرجوا للجهاد أراد المسيب أن يختبر عزمهم فقال: مـــن أرادا الغزو والصبر على الموت فليتقدم فرجع عنه ألف من العسكر ، ثم كرر مقالته بعد أن مـــشى قليلاً فرجع عنه ألف آخرون ، ثم بعد أن مشى مدة ، أعتزله ألف جديدة، وواصل مسيره بمن معـــه حتى أصبح على بعد فرسخين من العدو، وبايعه أصحابه على الموت ، وساروا يومهم إلى الليـــل، وقال لهم : (ليكن شعاركم يا محمد ولا تتبعوا مولياً واعقروا فإنه أشد عليهم وليست بكم قلة ، فـــإن سبعمائة سيف لا يضرب بها في عسكر إلا أوهنته وإن كثر أهله) [2] .

ولما علم الترك بقدوم المسيب قتلوا من بأيديهم من الرهائن الـــسبعة عـــشر[3] فثـــار لـــذلك المسيب وهاجم الترك برغم قلة عددهم وصبره هو ورجاله في القتال وقاتلوا قتالاً شـــديداً ، حتـــى فتح الله عليهم، وفر المشركون الترك من أمامهم هاربين [4].

وتمكن المسيب من إخراج النساء والذراري المحصورين في القصر، وغـــنم مـــن عـــسكر الأتراك، ورجع سالماً إلى بلده، ثم جاء الأتراك في اليوم التالي فلم يجدوا أحداً في قـــصر البـــاهلي، فقالوا: (هؤلاء القوم الذين لاقونا بالأمس لم يكونوا إنساً إنما كانوا جناً) [5].

من الملاحظ أن الدولةَ الأموية اهتمتْ بتحرير الأسرى بالقوة العسكرية، واهتم كل فرد من أفرادهـــا بتحريرهم بكل إمكانات الدولة القوية، وهذا يدل على مدى عظمة الدولة الأموية وقوتها.

---

(1) الطبري : تاريخ الرسل ،ج4،ص22؛ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج3 ،ص101.

(2) ابن الأثير: الكامل، ج4، ص348؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج4 ، ص222؛ ابن خلدون: تـــاريخ ابـــن، ج3، ص101-102.

(3) الطبري ، تاريخ الرسل ،42،ص92 .

(4) ابن كثير :البداية والنهاية ،92،ص 222.

(5) الطبري :تاريخ الرسل ،42، ص92 ؛ ابن الأثير: الكامل ، ج4 ص348 – 349؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، 92، ص223 ؛ ابن خلدون: تاريخ ، ج3،ص102.

المبحث الثالث

جهود المسلمين العسكرية في تحرير أسراهم في العهدين العباسيين الأول والثاني حتى بداية الاحتلال الصليبي لبلاد الشام

أولاً: جهود المسلمين العسكرية في تحرير أسراهم في العهد العباسي الأول:

لم تقلَّ جهودُ المسلمين العسكرية في العهد العباسي الأول عنها في العهد الأموي حيث أحسن العباسيون استغلال الظروفِ والإطاحةَ بالأعداءِ وفكاكَ الأسرى المسلمين منهم.

ففي عام (163هـ = 779م) خرج الخليفة المهدي العباسي يريد الجهادَ فوصلَ إلى حلب[1] وأرسل ابنه هارون الرشيد للغزو، فسار حتى وصلَ خليجَ القسطنطينية وصاحبُ الروم يومئذٍ أغسطة[2] امرأة آليون[3]، التي مات زوجُها وتولت الوصاية بدلاً من ابنها الصغير ليو الخامس، فحاصرها هارون الرشيد حصاراً شديداً حتى أرسلتْ إليه تبلغه استسلامها، ودعته للمصالحة والموادعة وإعطاء الفدية فقبل هارون منها ذلك [4]، وشرطَ عليها الوفاءَ بما وعدتْه وشرط عليها إطلاقَ الأسرى المسلمين الذين عندها، ودفع سبعين ألف دينار تؤديها في نيسان من كل سنةٍ، وكتب الهدنة لمدةِ ثلاثِ سنوات، وأقامت له الأسواق والأدلاء عند منصرفه[5].

فكبُرَ شأنُ هارون عند والدِهِ بعد هذا الحدث فأخذ له البيعة بعد أخيه الهادي سنة (166هـ= 782م) وسماه الرشيد[6].

وأرسل الخليفةُ هارونُ الرشيد ابنه القاسم إلى غَزْوِ أرض الرومِ في شعبانَ سنة (187هـ=803م) وحاصرَ قرة[7]، ووجّه العباسَ بن جعفر بن محمد ابن الأشعث فحاصر حصن

---

(1) الطبري ، تاريخ الرسل ،ج4، ص558.

(2) أغسطة أو أغسطوس هو لقب أيرين (أيرين Irene) هو يطلق على الإمبراطور الروماني الغربي. ابن الأثير: الكامل ، ج6 ،ص66.

(3) آليون هو ليو الرابع ابن قسطنطين الخامس المعروف بالجزري نسبة إلى أمه الجزرية، حكم سنة (775-780م) وتزوج أيرين الأثينية الأصل ثم مات وترك ولداً صغيراً في حضانتها عمره ثماني سنوات ، فتوليت الوصايا على العرش وسيرت أمور الإمبراطورية. ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، الهامش، ص231.

(4) الطبري ، تاريخ الرسل ،ج4،ص569 .

(5) م.ن، ج4،ص569.

(6) م.ن،ج4، ص564 .

(7) القرة : قرية تقع في أطراف بلاد الروم عند القسطنطينية، وقيل دير القرة. ياقوت : معجم البلدان ،ج4، ص335 .

سنان[1]، حتى جَهَدَ أهلها في حصارِها فراسلوا العباسَ في فكِّ ثلاثمائةٍ وعشرينَ أسيراً مسلماً علـى أن يرحلوا عنهم، فرحَلَ عن حصنِ قرةَ وسنانَ صلحا[2].

والقاسم بن الرشيد هو الذي أشرف على الفداء الـذي تـم فـي سـنة (189هـ= 805م)[3] كما ذكرنا سابقا، وهذا يوضحُ مدى اهتمامِ هارون الرشيد وأبنهِ في فـداء أسـرى المـسلمين، فعندما علمَ بوجودِ ثلاثمائةِ أسيرٍ مسلمٍ في حصني قرة وسنان، صالحَهم خوفاً من غـدْرِهم وقتـلِ هؤلاءِ الأسرى الذين في حاضِرَتِهِم، بالرغم من مقدرتهِ على فتح الحصن بالقوةِ العسكريةِ، ورغـم ذلك فضّلَ سلامة الأسرى على أن يفتحها عنْوّة ويخسر أرواحَ الأبرياءِ من المسلمين .

نقضَ الرومُ الهدنة التي عقدوها مع المسلمينَ حينما تولىّ العرش هرقل نقفور الـذي ثـارَ على الملكة أيرين وأسقطَ نظام حكمِها في ثورة أكتوبر تشرين الأول سنة (186هـ= 808م)، حيث أغـارتْ جماعةٌ من الرومِ على زربة[4] والكنيسة السوداء[5]، وأسروا جماعةً من المسلمينِ، لكن سرعان ما استنْقَذهم أهل المصيصة [6] منهم وغنموا ما كان بأيديهم من أموالٍ وأسـرى وأعادوهـا إلى أصحابها[7]، فثار لذلك أميرُ المؤمنين هارون الرشيد وأرسـلَ رسـالتَهُ " مـن هـارون أميـر المؤمنين إلى نقفور كلب الروم ... يا ابنَ الكافرةِ: الجوابُ ما تـراه لا مـا تـسمعُه والـسلام "[8] فحاصرتْ جيوشُ المسلمينَ هرقلة [9] ثلاثينَ يوماً وضربوها بالنارِ والنِفْط حتى تـم فتحُهـا وسـبْيُ

---

(1) حصن سنان: في بلاد الروم فتحه عبد الله بن عبد الملك بن مروان. يـاقوت الحمـوي: معجـم البلـدان، ج2، ص264.

(2) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج10 ، ص203.

(3) المقريزي: المواعظ والاعتبار ، ج2،ص387.

(4) زربة تفتح أوله وسكون ثانيه وباء موحدة ، عين ذرية من الثغور قرب المصيصة .يـاقوت الحمـوي :معجـم البلدان ،ج3،ص136.

(5) الكنيسة السوداء هي من ثغور الإسلام بعيدة عن البحر المتوسط، وهي مدينة قديمة مبنية بالجمر الأسود بناهـا الروم، وأغارت الروم عليها وأحرقتها، فسميت المحترقة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، 48، ص485.

(6) مصيصة : بالفتح ثم الكسر والتشديد وياء ساكنة وصاد أخرى، تعد في الإقليم الخامس، وتعد من الثغـور بـين أنطاكيا وبلاد الروم ، قد رابط بها الصالحون لها خمسة أبواب ، وسميت بذلك نسبة للذي عمرها وهو مصيصة بن الروم بن اليمن بن سام بن نوح عليه السلام، اشتهرت بصنع الفراء وبلغ الفرو بها ثلاثين دينـاراً . يـاقوت الحموي : معجم البلدان ، ج5 ، ص145

(7) ابن كثير : البداية والنهاية، ج10،ص206.

(8) الطبري: ج4،ص669 ؛ اليعقوبي ، ج2،ص428؛ابن كثير : البداية والنهاية، ج10ص194 .

(9) هرقلة : بالكسر ثم الفتح مدينة ببلاد الروم سميت بهر قلة بنت الروم بن ليفز بن سام بن نوح عليـه الـسلام . ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج5 ، ص398.

أهلِها وتخريبِها ، وبعثَ نقفور بالخراجِ والجزيةِ وهو ذليلٌ مكسورٌ مذلولٌ، كسيرُ الجناح إضافةً إلى خمسينَ ألفَ دينارٍ على أولِ رأسِ كلِّ سنةٍ عن كلِّ رأسٍ في مملكتهِ، وأربعةُ دنانيرَ عنْ رأسِ ولـــدهِ (إستبراق) [1]،

وقد تغنى الشعراء بما قام به هارون الرشيد أميرُ المؤمنين، فقال فيه الشاعر المكي :

هَوتْ هِرَقْلَةُ لما أن رأت عجباً ... جَوَّ السّمـــا تَرْتمي بالنفط والنار

كأَنّ نيراننا في جنبِ قلعتهم ... مصبّغاتٍ[2] على أرسانِ[3] قَصَّار[4]

وقال عنه الشاعر أشجع السلمي:

لازلتَ تنشدُ أعياداً وتطويـــــــها ... تمضـــي لها بك أيّامٌ وتَمضيهـــا

ولا تَقَاضتّت بك الدنيا ولا بَرِحتْ ... يطــوي بك الدهرُ أياماً وتطويها

ليَهْنِكَ الفتـــحُ والأيـــامُ مقـــبلةٌ ... إليك بالنصرِ معقوداً نواصـــيها

أمسَتْ هَرقْلَةُ تهوي من جوانبهـــا ... وناصرُ الله والإسلام يَرْميـــها

ملكْتَها وقتلـــتَ الناكثيـــنَ بهــــا ... بنَصر مَن يملكُ الدنيا وما فيها

ما روعِي الدينُ والدنيا على قدم ... بمثل هارُونَ راعيــه وراعيهـــا

فأمر له الخليفة بعشرةِ آلاف دينار، وقال لا ينشدني بعدَه أحد ، فقال أشجع: والله لإن أمـــرَ ألا ينشدَهُ أحدٌ من بعدي ، أحبَّ إلي من صلته. [5]

كذلك تغنى أبو العتاهية[6] قائلاً:

ألا نادَتْ هرقلَـــــةُ بالخَرابِ ... منَ المَلِك المُوَفَّق بالصَوابِ

غدا هارونُ يَرْعُدُ بالمنايا ... وَيَبْرِقُ بالمُذَكَّرةِ القِضـــابِ

وَرايـــاتٍ بَحِلّ النَّصْرُ فيها ... تَمُرُ كأنّها قِطَعْ السّحـــاب

أميرَ المؤمنينَ ظَفِرتَ فاسلَمْ ... وأبشرْ بالغنيمَةِ والإيـــابِ[7].

---

(1) الطبري :تاريخ الطبري ، ج4 ، ص677 ؛ ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ، ص249.

(2) مصبغات الصبغ من كلام العرب التغيير فيه صبغ الثوب غير لونه. ابـــن منظـــور : لـــسان العـــرب ، ج8 ، ص437.

(3) أرسان: الرسن الحبل ، ما كان في الأزمة على الأنف ، وجمعه أرسان ، وقيل رسنها أي شدها. ابن منظـــور : لسان العرب ، ج1، ص.180.

(4) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج5 ، ص398 .

(5) ابن العديم :بغية الطلب،ج4، ص1777.

(6) أبو العتاهية : أسمه القاسم بن إسماعيل وقيل إبراهيم وكنيته أبو إسحاق ، وأبا العتاهية لقبه ويكن كيسان لذكائـــه وكيسه ، وهو شاعر سهل الألفاظ وحلوها قادر على نظمها . ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلـــب ، ج4 ، ص1749

(7) الطبري : تاريخ الرسل ، ج4 ، ص670؛ ابن العديم :بغية الطلب، ج4، ص1749.

وفي عهدِ المأمونِ بن هارونَ الرشيد، غزا الرومُ بلادَ طُرسوس والمصيصة وقتلوا زهاءَ ألفي رجلٍ، فثّأرَ المأمونُ وسارَ إليهم سنة (216هـ=831م)، وعندما وصل أذْنَه[1] وافتْهُ رسُلُ ثيوفيل الأولْ بخمسمائةِ رجلٍ من أسرى المسلمين، وخرجَ أهلها خاضعينَ، وخرجَ أهلُ هرقلة طالبينَ الصلح[2]، ووجّهَ الخليفةَ المأمونُ أخاه أبا إسحاق المعتصم فافتتحَ ثلاثينَ حصناً، وسبىَ من أهلها ما لا يُحصى وفتح ثلاثين قلعة[3].

اعتادتِ الرومُ انتهازَ فرصِ اشتغالِ المسلمين في ثوراتهِمْ الداخليةِ، فتُغيرُ على بلادِ المسلمينَ، وتقتلُ وتأْسِرُ من أهلِ الثغور، وتعودُ هاربةً إلى بلادها؛ وفي خلافةِ المعتصم خرج ثيوفيلَ الثاني بن ميخائيل الثاني (829-842م) في مائةِ ألفِ مقاتلٍ حتى وصلوا إلى زبطرة[4] فدخلَها وقتل الرجال فيها، وسبَى النساء وأحرقَ المدينةَ،[5] وقد استغاثتْهُ شراه العلوية[6] من بني هاشم لما أُسرت فنادت "وامعتصماه!" فأجابها ثيوفيل هازئاً " لبيك"[7] وكان قد سبى من المسلمات – فيما قيل– ألفَ امرأةٍ، ومثّل بالأسرى فقطَع آذانَهم وأنوفَهم[8]، ووصلَ الجندُ إلى سامراء، فبلغَ المعتصمُ قولَه وفعلَه فقال:" أي بلادِ المسلمين امنعُ وأحصنُ؟ فقيل (عمورية) [9] لم يعرِضْ لها أحدٌ من المسلمين مذ كانَ الإسلامُ وهي عينُ بلادِ النصرانية، وهي أشرفُ عندَهم من القسطنطينية[10]، وقد خافَه أهلُ الثغورِ والجزيرةِ وسبى معظم سكان البلاد.

فَتَجهزَ جهازاً لم يتجهّزْ قبلَه، ودخل بلادَ الروم، ووصلَ إلى عموريةَ ثم دارَ حولَها ونزلَ على حصارِها حتى فتحَها وهدمَها وأحرقَها ودامَ حصارُه لها ما يقاربُ خمسةً وخمسينَ يوماً،

---

(1) أذنه: بكسر الذال بنيت سنة (192هـ=759م)، بأمر من صالح بن عبد الله بن عباس، وبنيَّ قصد الرشيد بها، وهي حضن يلي المصيصة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج7، ص133.

(2) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص467.

(3) الطبري : تاريخ الرسل ،ج5، ص182؛ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج2 ، ص431.

(4) زبطرة : بكسر الزاي وفتح ثانيه وسكون الطاء المهملة وراء، مدينة بين مالطية وسمسياط في طرف بلا الروم، سميت زبطرة بنت الروم بن ليفز بن سام بن نوح عليه السلام: ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج3، ص147.

(5) ابن شداد :الأعلاق الخطيرة ،ص 264.

(6) ياقوت الحموي : معجم البلدان ،ج4،ص158

(7) الطبري: تاريخ الرسل، ج6، ص235؛ ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، ص264

(8) م.ن ،ج5ص235.

(9) بفتح أوله وتشديد ثانيه بلد من بلاد الروم سميت بعمورية نسبة إلى عمورية بنت الروم بن ليفز بن سام بن نوح عليه السلام. ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج4،ص158.

(10) الطبري : تاريخ الطبري ، ج5، ص19 ؛ الذهبي:العبر في خبر من غبر ،ج1، ص57.

وفتحَها يومَ الجمعة من شهر رمضان سنة (123 هـ = 837م)[1]، ومدح الشاعرُ أبو تمام هذا الفتحَ العظيمَ فقال:

يا يوم وقعت عَمّوريـة انـصرفت عنـك المُنـى حُفّـلاً معـسولة الحلـب

لَبّيْتَ صَوْتًا زِبْطرِيّـاً هَرَقْـتَ لـه كأسَ الكَرَى[2] ورُضابَ[3] الخُرّدِ[4] العُـرُبِ[5]

كان المعتصمُ قد قَتَلَ من الرومِ في حصاره عموريةَ وفتْحِهِ ثلاثينَ ألفاً وسبَى مثلَهم، هذا وكان عندما أرادَ الغزْوَ استنكرَ عليه المنجّمون المسير للغزو لأن في طالعهِ نجاسةٌ، فرفض ذلك الكلامَ وأنكرهُ عليهم، وخرج فكان النصر حليفه بإذن الله وقد ظفر بأعدائه وفي هذا يقول أبو تمام:

السيفُ أصدقُ إنباءٍ من الكتبِ في حَدِّه الحدُّ بين الجِد واللعب

أين الروايةُ؟ بل أين النجومُ؟وما صاغوه من زخرفٍ فيها ومن كذب[6]

يلاحظ أن الجهود العباسية في تحريرِ الأسرى المسلمين جهودٌ جبارة، جديرةٌ أن تسطِرهَا الأقلامُ، ويتداولها المسلمونَ فيما بينهم.

ثانياً: جهود المسلمين العسكرية في تحرير الأسرى منذ بداية العهد العباسي الثاني حتى بداية الاحتلال الصليبي لبلاد الشام (232 – 491 هـ / 847 – 1908م):

اعتمدتْ هذه الحقبةُ في الدولةِ الإسلاميةِ، على غاراتِ الكرِّ والفرِّ مع العدوِّ، خاصةً بعدما آل الأمرُ إلى توليّ خلفاءَ عباسيّين ضعفاءَ، فكان الوزيرُ هو المسيطرُ على زمامِ أمورِ الخلافةِ، وبالرغمِ من ضعفِ الخلفاءِ العباسيين فإنهم لم ينسُوا الأسرى، فقد اهتموا كثيراً بإطلاقِ سراحهِم، فكم من معاهداتٍ أبرمتْ من أجلِهم وكم من أموالٍ بذلتْ لفكاكهم.

إن سيطرةَ الوزراءِ على الخلافةِ أدى إلى تراجُعِ سيطرةِ الخليفةِ، ونقْص قَدْره، وضعْفِ مُلكه، فقد سيطَر البويْهيون[7] على نظامِ الخلافةِ في بغدادَ سنة (334 – 447 هـ/ 945 –

---

(1) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص243، ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص196؛ ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ الحلب، ج1، ص47.

(2) الكري: النوم والنعاس وجمع أكراء ، ابن منظور: لسان العرب، ج15، ص221.

(3) رضاب: ما يرضيه الإنسان من ريقه كأنه يمتص، ابن منظور : لسان العرب، ج1، ص418.

(4) المخدر: الخدر:السكوت أو طول السكوت،وهو الساكت من ذل لا حياء.ابن منظور:لسان العرب،ج3، ص162.

(5) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج3، ص147،ج4، ص178.

(6) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ج1،ص269.

(7) تنسب هذه الأسرة إلى بني بويه بن خسروا الديلمي الفارسي، وقد مكث مدة بالعراق وفارس، ومؤسس هذه الدولة هما: علي وحسين ابنا بويه، فيهما السيادة ومدارات وحلم، وقد ظهر نجمه في بغداد سنة (334 هـ

1055م)، فكان الخليفةُ العباسيُّ في بغدادَ ضعيفاً تُجاههم، خاصةً أن البويهيين تــشيَّعوا وأظهــروا تشيُّعَهم، بل شجّعوا أتباعَ المذهبِ الشيعيّ في بغدادَ بالقيامِ بأعمالٍ استفزازيةٍ ضِدّ أهلِ السنة، فكانتْ لا تمرُّ سنةٌ دون أحداثِ شغبٍ وصدامٍ يقَع بين السنةِ والشيعة، تــذْهب فيهــا الأرواحُ والممتلكــاتُ، وتُحْرَقُ الأسواقُ، ويُكْتَبُ على جدران المساجدِ بلعْنِ معاويةَ والخلفاء الثلاثةِ[1]، وقد وصــفَ ابــنُ كثيرٍ ما يفعلُهُ الشيعةُ من تعدٍّ على حدودِ الكتابِ والسنةِ في دولة بني بويه، فقال: (فكانتْ الدبادبُ [2] تضربُ في بغداد ونحوها في يوم عاشوراء، ويذرُّ الرمادُ والتبْنُ في الطرقاتِ والأســواقِ، ويُظْهِــرُ الناسُ الحزن والبكاء، وكثيرٌ منهم لا يشربُ الماءَ موافقةً للحسيْن، لأنه قُتِلَ عطــشان، ثــم تخــرجُ النساءُ حاسراتٍ عن وجوههنّ ينُحْنَ ويلطمْنَ وجوهَهن وصدورهن حافياتٍ في الأسواق، إلى غيــرِ ذلك من البدعِ الشنيعةِ والأهواءِ الفظيعةِ والهتائكِ المخترعة)[3].

لذلك كانت تربطُهم صلةٌ قويةٌ بالقرامطةِ، حيث كانوا يُمِدّون القرامطة بالسلاحِ والعتادِ فــي غزواتهم ضدَّ بلادِ الإسلامِ والمسلمينَ والسنة[4].

ولهذا كان أمراً طبيعياً أنه في عهْدهم لم تُخضْ الحروبُ لفكاك الأسرى؛ لأن المقاتلين هُــمْ سُنَّةٌ والذين وقعوا بالأسر هم سُنَّةٌ أيضاً، لذلك سيطرَ الفتورُ لإنقاذِهم مــن الأســر، كيــف لا وقــد استغاثَ أهلُ الجزيرةِ بالعاصمةِ بغدادَ بعدَ غاراتِ الرومِ عليهم، فاستجاب الشعبُ فــي بغــدادَ لهــذا النداءِ وتجّهزوا للجهاد، وأرسلَ بختيار بن معزِّ الدولة البويهي إلى الخليفة يطلبُ منه مــالاً لتجهيــزِ الناسِ للغزو، فاضطرَّ الخليفةُ لبيعِ أثاثِ بيتهِ ليدفعَ له الأموال، ولكن بختيارَ أنفــقَ الأمــوالَ علــى مصالحهِ الشخصيةِ وأبطلَ أمْرَ الغزْوِ، وقصدَ بذلك استنزافِ أموالِ الشعب والخليفةِ وأموالِ الخلافةِ رغم ضعفها[5].

وهذا يدلل أن الشعبَ في بغداد غالبيتُه سنةٌ وأن دعوتهم لم تلقَ صداها في آذانهــم، لأنهــم هبُّوا لمساعدةِ إخوانهِم في الجزيرة حتى لو بالجهاد ضدَّ الأعداء. كذلك كانَ بنو بويه مغــالين فــي التشيعِ، فكرهَ الشعبُ الصراعاتِ الداميةَ بين الطرفيْن، نتج عن ذلك قتلُ أعدادٍ كبيرةٍ مــن الفــريقيْنِ دونَ أن تتحرّك السلطةُ الحاكمةُ لمعالجةِ الصراع[6].

=945م) حينما زحف أحمد بن بويه إلى بغداد ودخلها دون قتال، ولقب نفسه معز الدولة حكمهــا مــا يقــارب العشرين سنة، وأظهروا التعصب للمذهب الشيعي. الصلابي: دولة السلاجقة، ص31.

(1) الصلابي: دولة السلاجقة، ص31.

(2) الدبادب: جمع دِباب وهي الطبول أو الطبل. ابن منظور: لسان العرب، ج3 ، ص42.

(3) البداية والنهاية، ج11، ص577.

(4) الصلابي: دولة السلاجقة، ص32.

(5) ابن كثير: البداية والنهاية، ج11، ص587؛ الصلابي: دولة السلاجقة، ص32.

(6) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص693؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج3، ص7، 3 -308.

وحينها ظهرَ على الساحةِ السياسيةِ السلاجقةُ[1] الذين أعطَوْا للجهادِ دفعةً قويةً ضدَّ الــروم، وأزالوا التركَ الوثنيين، فازدادتْ قوتُهم واتسعتْ أراضيهم وقد أكسبَهم هــذا كلُّــه احتــرام الحكــامِ المسلمين المجاورين لهم[2].

وهذا ما شجع السلطان السلجوقي طغرل بك[3] على دخول بغــداد[4] فــدخلها ســنة (447 هـــ =1055م)، فأسقَطَ الدولةَ البويهيةَ في العام نفسه ودخل بغداد، وساندَ الخلافــةَ العباســيةَ وتــصَّدرَ المذهب السنيَّ، بعد أن أوشكَ على الانهيارِ بسببِ النفوذ البويهيِّ الــشيعيِّ فــي إيــرانَ والعــراق، والفاطميَّ في مصر والشام، ولقّبَه الخليفةُ العباسيُّ القائمُ بأمرِ الله السلطانَ ركن الدين طغــرل بــك، ونقش اسمه على العملةِ ويُذْكَرُ في خطبِ الجمعة[5].

إن غاراتِ السلاجقة على الرومِ عديدةٌ، فكانوا يقتحمون بلادَ الرومِ ويغنَمون ويــسلبون ثــم يعودون سالمين لبلادهم، فاشتدتْ شوكتهُم وقويتْ على الرومِ وطأَتُهْم، وفــي عــام (440 هـــ = 1048م) غزا إبراهيم ينال[6] الرومَ وظفرَ بهم وغّنم وأسرَ قاريطَ ملكَ الأبخازِ، فبــذلَ فــي نفــسهِ ثلاثمائةِ ألفِ دينارٍ وهدايا بمائةِ ألفِ دينار، فلم يُفادى وترك بالأسر[7].

فبعثَ نصرُ الدولةِ صاحب الجزيرة وميافارقين يشفَعُ في فكاكه عندَ السلطانِ طغــرل بــك، فأرسلهُ السلطانُ إلى نصرِ الدولةِ دون فداء، فتأثر ملك الروم بهذا العمل الكريم فأهداه مــائتي ألــف دينارٍ وفكَّ خمسمائةِ أسيرٍ مسلم، ومائةَ ثوبٍ ومائة لبنةٍ فــضة وألــف عنــزةٍ بيــضاءَ وثلاثمائــةِ برذونة[8].

---

(1) أول ظهور لدولة السلاجقة كان سنة (232هــ=846م) وكان جدهم دقاق من الأمراء، وكذا ولده سلجوق مقدم الخان بيغو وكثر جنده وغزي الترك الوثنيين. الذهبي: سير، ج18، ص106.

(2) الصلابي: دولة السلاجقة، ص21.

(3) طغرل بك أبو طالب محمد بن ميخائيل بن سلجوق بن دقاق بن ركن الدين أول ملوك الــسلاجقة، كــان حليمــاً كريماً محافظاً بني المساجد كان يقول: "استحى من الله تعالى أن أبني لي داراً ولا أبني إلى جانبها مسجداً" توفي سنة (455 هــ= 1063م) بالري وعمره سبعين سنة. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5، ص63–67؛ الذهبي: سير أعلام، ج18، ص107.

(4) الصلابي: دولة السلاجقة، ص47.

(5) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5، 67، والذهبي: سير أعلام النبلاء، ج18، ص107؛ ابن الأثير: الكامــل فــي التاريخ، ج8، ص22.

(6) ينال الملك إبراهيم بن ميكائيل السلجوقي أحد الأبطال المذكورين تقلد أعمالاً جليلة لأخيه السلطان طغــرل بــك، لكنه عندما تطاول على الخليفة العباسي قام أخوه بقتله سنة (451هــ= 1060م) ودفن بنواحي الري. الــذهبي: سير أعلام النبلاء، ج18، ص112.

(7) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ص327.

(8) ابن الأثير: الكامل، ج8، ص289؛ الصلابي: دولة السلاجقة، ص65.

والأهم من ذلك تعمير مسجد القسطنطينية الذي بناه القائد مسلمة بن عبد الملك، وعمر منارته وعلق فيه القناديل، وخطب للملك طغرل بك على منابره، ومنابرِ بلدان الجزيرة، فبلغَ ذلك الأمرُ العجيــبُ سائر الملوك فعظَّمه الجميع. [1]

إن من أخلاق المسلمينَ التي دعا إليها الإسلام إكرامَ الأسيرِ والعناية به، فعندما أطلقــه دون مقابلٍ عظمتِ الرومُ هذه الفعلة، وهذه صفاتٌ يجبُ أن يتحلّى بها الحكــامُ لحــسْنِ الإدارةِ ومواكبــةِ الأحوالِ والظروفِ.

ملَكَ السلطانُ ألب أرسلان[2] بعد وفاةِ عمّهِ السلطان طغرل بــك، وكَثُــرَ عدلُــهُ، وعُــرِفَ بسيرتهِ الحسنةِ فأحبَّه الناسُ لأنه عطوفٌ على الفقراءِ كثيرُ الدعاءِ بدوام نعمــةِ الله عليــه، وكثيــرُ الصدقاتِ على الرعية[3]. لُقِّب بالوزيرِ نظامِ الملكِ قوامُ الدين والدولةِ رضِيٍّ أمير المؤمنينَ وخطب له على منابرِ العراقِ والعجمِ وخراسانَ ودانتْ له الأمم[4].

تطلّعَ السلطانُ ألب أرسلان إلى مدِّ نفوذِه إلى أقاليمَ جديدةٍ، كما كان متلهفاً إلى الجهــاد فــي سبيل الله، ونشْر دعوة الإسلام في بلادِ الأرمنِ والرومِ، وروحُ الجهادِ هي المحرِّكُ نحوَ الفتوحــاتِ الإسلاميةِ، نصرةً لدين الإسلام و نشْرِه في الديار[5].

شكلتْ فتوحاتُ السلاجقة على بلادِ الأرمنِ وبلاد الكــرجِ تحــدياً لبيزنطــةَ بعــد أن أدركَ الإمبراطورُ البيزنطي، أن ألب أرسلان يصبُغُ غزوَه للبلاد بصبغةِ الجهــادِ الــدينيِّ، وهــو يطبَــعُ المناطقَ المفتوحة بالطابعِ الإسلاميِ مما جعلَ نشوبَ الحربِ بينهما أمراً لا مفرَّ منه[6].

خرج ملك الروم رومانوس الرابع (1067-1071م) في جمعٍ كبيرٍ مــن الــرومِ والــروسِ الكرجِ وغيرهم من الشعوبِ النصرانيةِ قُدِّروا بثلاثمائةِ ألفِ جنديٍّ، وكان جندُ السلطانِ ألب أرسلان خمسةَ عشرَ ألفاً، ولم يكنْ لدى السلطانِ وقتٌ لاستدعاءِ مددٍ فقال: "أنا أحتسبُ عنــد اللهِ نفــسي"[7]،

---

(1) ابن كثير: البداية والنهاية، ج12، ص59؛ ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ص328.

(2) الملك العادل عضد الدولة أبو شجاع محمد بن السلطان جيفري بك داود ميكائيل بن سلجوق بن دقاق بن سلجوق التركماني الغزي. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج18، ص106-107.

(3) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج18، ص109.

(4) ابن الأثير: الكامل ا، ج6، ص253.

(5) الصلابي: دولة السلاجقة، ص76.

(6) ابن الجوزي: المنتظم: ج8، ص415.

(7) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج18، ص415.

وهجَمَ بمَنْ معه على مقدِّمةِ الجيش البيزنطيِّ وكان فيهم عشرونَ ألفَ مقاتلٍ من الـروسِ، فـأحرزَ المسلمُونّ النصرَ عليهم وأسروا قواتهم(1).

ثم أرسلَ السلطانُ ألب أرسلان إلى ملك الروم وعرضَ عليـه المـصالحةَ(2) لكنـه تكَبَـر وطغَى، ولم يقبلِ العرضَ وقال: هيهات !! لا هدنةَ ولا رجوعَ إلا بعد أن أفعلَ ببلادِ الإسلامِ ما فُعِلَ ببلد الروم(3). وفي روايةٍ لا هدنةَ إلا بذي الريِّ فحميَ السلطانُ واشتَّد غضبه. (4)

فاستشارَ الإمامَ والفقيهَ أبا نصر محمد بن عبد الملك البخاري الحنفي، فقال له: "إنك تقاتـلُ عن دينٍ وعَدَ الله بنصرهِ وإظهارهِ على سائرِ الأديان، وأرجو أن يكونَ اللهُ تعالى قد كتَـبَ باسـمِكَ هذا الفتحَ، فالقهمْ يومَ الجمعةِ، بعد الزوالِ في الساعةِ التي تكونُ الخطباءُ على المنابر، فإنهم يدعون للمجاهدين بالنصرِ، والدعاءُ مقرونٌ بالإجابة"(5)، ثم دعا أصحابه، وعرَّفهم أن الموتَ في الجهاد في سبيل الله أفضلُ الأعمال فحمل معه جندُه حملةَ رجلٍ واحدٍ(6)، وتلاقى الفريقان، فنصرَ اللهُ دينه على عبدةِ الصلبان، وسميتْ هذه المعركةُ بملاذْكردِ (463هـ = 1070م) أو الملحمة الكبرى، وعُـدَّت أكبرَ نكسةٍ في تاريخِ الإمبراطوريةِ البيزنطيةِ(7)، وأُسِرَ ملكُ الرومِ بين يدي السلطان، فضربَه علـى رأسه ثلاثةَ مقارعَ بيدهِ، ورفسَه وقال له: "أسألك الهدنة والصلح؟!"، فقال له: "افعلْ مـا تريـدُ، ودعِ التوبيخ!".

فقال له: " ما كان عزمُك لو ظفرتَ بي؟ قال: كلٌّ قبيح، قال: فما تؤمّلُ وتظنُّ بـي؟ قـال: القتلَ أو التشهيرَ في بلدك، والثالثةُ بعيدةً: العفوَ وقبولَ الفداءِ، قال له: ما عزمـتُ علـى غيرِهـا، فاشترى نفسَه بـ:

- خمسمائةِ ألف دينار.
- شرطَ عليه أن يحملَ في كلِّ يومٍ ألفَ دينار.
- وأن يطلقَ كلَّ أسيرٍ في بلادِ الروم من المسلمين.
- وأن ينجدَه بعسكرٍ في أيّ وقتٍ طلبَ منه.

---

(1) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ص333

(2) ابن الجوزي: المنتظم: ج8 ، ص361.

(3) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج18، ص415.

(4) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ص333؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج18، ص413.

(5) م.ن، ص334.

(6) الصلابي: دولة السلاجقة، ص77

(7) ابن الجوزي: المنتظم، ج8، ص261.

ثم أطلقَه وعقدَ على رأسهِ رايةً يرفعُها مكتوبٌ فيها: "لا إله إلا الله محمد رسول الله"[1].

هذه هي الإرادةُ القويةُ، والإصرارُ والإيمانُ بالله وصدْق الرسالةِ التي يحملُها القائدُ والسلطانُ في قلبهِ، لذلك نصَره اللهُ، واستجابَ دعاءَه، وأعطاهُ القوةَ والثباتَ، والحنكةَ السياسيةَ من أجلِ تحريرِ الأسرى.

(1) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ص335.

المبحث الرابع

جهود المسلمين العسكرية لتحرير الأسرى في العهد الزنكي

كان المسلمون في الشام متفرقين تكادُ كلُّ مدينةٍ أن تكونَ دولةً مستقلةً، وأقــامَ الــصليبيونَ على سواحلِ الشام، واعتمدوا على البحرِ لضمانِ التموينِ من الخارجِ، وكذلك القلاعُ التـــي احتلَهــا الصليبيون امتازتْ بأنها جَمَعَتْ بين خصائص العمارةِ الحربيةِ الغربيةِ والشرقيةِ من حيــثُ ازدواجِ الأسوار، وتعدُّدِ الأبراجِ ذاتِ الطابقيْن، وكلِّ مستلزماتِ الحاميةِ من ذخيرةٍ وتموينٍ ووسائلَ دنيويــةٍ وصحية [1].

بدأ المسلمون في مقاومةِ الصليبينَ منذ اللحظةِ الأولى لقدومهم، لكن الكفَّةَ كانــتْ راجحــةً للصليبيين في بدايةِ الأمرِ ثم صاروا يتبادلون النصرَ والهزيمةَ في المعارك واحتلالِ المدنِ والقلاع. وظهرَ عددٌ من المجاهدينَ المسلمينَ الذين كانت قدراتُهم محدودةً، ولكن لــم يتمكّنــوا مــن توحيــدِ المسلمين للجهادِ، مع أنهم ألحقوا بالفرنجة خسائرَ كبيرةً وأفقدوهم الاستقرارَ والأمانَ، وقتلوا وأسروا العديدَ من قادتهم؛ فمثلاً كان معين الدولة سقمان[2] وشمسُ الدولة جكرمش حرب لمــا حوصــرتْ حرانُ من قبلِ الفرنجةِ سنة (497هـ=1103 م) تراسلا وأعلَم كلٌّ منهما الآخَرَ أنهُ بذلَ نفــسهُ لله تعالى فسارا واجتمعا بالخابورِ في عشرةِ آلافٍ من التركمانِ والتركِ والعــربِ والأكــرادِ، فــالتقوا بالفرنجةِ عندَ نهر البليخ، وهُزِمَ الفرنجةُ فقتلهم المسلمون (كيف شاءوا) وأسرُ بردويــل [3] ففــدى نفسَه بخمسةٍ وثلاثين ألف دينارٍ ومائةٍ وستينَ أسيراً من المسلمين، وقد أخذوا جوسلين ابــنَ أختــهِ رهينةً في قلعة جعبر[4] حتى يحصّلوا الأسرى والأموالَ فتمَّ ذلك.[5]

وهذا يوضح لنا أن القوةَ لا تأتي إلا بالاتحادِ والتعاونِ على كسْرِ شوكةِ الأعــداءِ، فعنــدما اتحَدَ قادةُ المسلمينَ كسروا الفرنجةَ وأسروا القمص بردويل، ولم يخرجْ إلا بعد سبْعِ ســنوات ســنة (499 هـ= 1105م).

---

(1) الصلابي: عصر الدولة الزنكية، ص97.

(2) صاحب ماردين الملك سقمان بن الأمير الكبير ارتق ابن أكسب التركماني أخو الملك إلغازي ولي أمرة القــدس وأخذها منه ابن بدر الجمالي أمير الجيوش قبل أخذ الفرنجة لها بشهر، مات قرب طرابلس بالذبحــة الــصدرية سنة (498 هـ = 1105م)، ودفن بحصن كيفا. لذهبي: سير، ج19، ص235.

(3) بردويل مكث في السجن خمس سنوات وهو صاحب الرها وسردج ابن خلكان: وفيات ج5، ص301؛ الــذهبي: سير أعلام النبلاء، ج15، ص198.

(4) تعريف قلعة جعبر: بالفتح ثم السكون وباء موحدة مفتوحة، وهي قلعة حصينة نواحي البيرة، وجعبر في اللغــة الغليظ القصير. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2، ص141.

(5) ابن الأثير: الكامل، ج9، ص126-127.

عندما سار طغتكين[1] حاكمُ دمشق إلى طبريا وقد وصل إليها ابنُ أختِ بغدوين الإفرنجي، ملك القدس تحاربا واقتتلا وكان طغْتكين في ألفي فارس وكثيرٍ من الرجال والعتاد، وأما ابنْ أختِ بغدوين فكان في أربعمائةِ فارسٍ وألفي رجلٍ، ولما اشتدَّ القتالُ انهزمَ المسلمونَ في بدايةِ الأمر فترجلَ طغتكين، ونادى بالمسلمين، وشجّعهم، فعادوا للحربِ وكسروا الفرنجة، وأسروا ابن أخت الملك، وحُمِلَ ابن طغتكين، فعُرِضَ عليه الإسلام، فامتنع منه، وبذلَ في فداءِ نفسهِ ثلاثين ألفَ دينارٍ، وإطلق خمسمائةِ أسيرٍ، واصطلح طغتكين وملكُ الإفرنج بغدوين على وضعِ الحربِ أربع سنوات[2].

كان حاكم الرُّها جوسلين الذي تركَها وتولى ولاية تل باشر، وقيل كان من دهاةِ الفرنجةِ وأشدِّهم مكراً وقوة[3]، ويذكرْ أنه سارَ في جمْعٍ من الفرنجة يقدَّرون بنحو مائتي فارسٍ من طبرية، فكبسَ على طائفةٍ من طيء يُعرفون ببني خالد، فأخذهم وغنمَ منهم، وسألهم عن بقية قومهم من بني ربيعة، فأخبروه بوادي السلالة، فسارَ جوسلينَ بخمسينَ فارساً وصاحَبَهُ مائةٍ وخمسينَ فارساً على طريق آخرَ، ووعدَهم الصبح ليباغتوا بني ربيعةَ، فوصلَ الخبرُ إلى بني ربيعة فأرادوا الرحيل فمنعهم أميرهم، وكانوا في مائةٍ وخمسين فارساً[4]، فوصلَهم أصحابُ جوسلين معتقدين أن جوسلين والفرسان قد سبقوهم للمكان، فاقتتل الفريقانِ وطعنتِ العربُ خيولَ الفرنجةِ حتى يترجّلوا عنها، وظهرَ من أميرهم شجاعةٌ وحسنُ تدبير وجودةُ رأيٍ، وقُتِلَ سبعونَ فارساً من الفرنجة، وأُسرَ اثنا عشرَ من مقدَّميهم، بذَلَ كلُّ واحدٍ منهم في فداءِ نفسهِ مالاً جزيلاً وعُدَّةً من أسرى المسلمين[5].

تولى نورُ الدين محمود ولايةَ حلب وما يتبَعُها بعدَ مقتَلِ والده عماد الدين وذلك منتصَفَ سبتمبر 1146م /في ربيع الأول 541 هـ غدراً على يدِ خادمهِ وهو محاصِرٌ قلعةَ جعبر[6]، وعمرهُ ستون سنة، ودفِنَ في صفّين، ولقب بالشهيد[7].

---

(1) الملك أبو منصور صاحب دمشق طغتكين الأتابك من أمراء السلطان تتش بن ألب أرسلان السلجوقي، كان مقدم عسكر دقاق، ثم تملك بعد دقاق، كان شهماً شجاعاً مهاباً مجاهداً، مرض ومات سنة (522 هـ = 1128م). ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1، ص296؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج19، ص519.

(2) ابن الأثير: الكامل، ج4، ص423؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج5، ص192؛ الذهبي: العبر في خبر من غبر، ج4، ص3.

(3) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة،ص 334.

(4) ابن الأثير: الكامل ، ج4، ص451.

(5) م.ن، ج4، ص451.

(6) جعبر: بالفتح ثم السكون وباء موحدة مفتوحة، الجعبر في اللغة الغليظ القصير. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2، ص141.

(7) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج2، ص327؛ ابن الأثير: الباهر،ص 15.

وبذلك فتحتْ صفحةٌ جديدةٌ رافعةٌ في جهادهِ لتحرير الأسرى المسلمين من الأسر، فلمْ يكــدْ يمُّر شهرٌ على توليةِ السلطانِ حتى هاجمَ الصليبيون الرُّها معتقدين أن الحاكمَ ضــعيفٌ وبإمكــانهم استردادَها، وكان عماد الدين –رحمه الله– قد وضعَ فيها حاميةً من المسلمين، فسارعَ نــورُ الــدين وحاصر الرُّها وكان بداخلها جوسلين الثاني الذي قادَ التمُّرد وأنزلَ به هزيمةً قاسيةً وأجبــره علــى الفِرار، وأعاد الرُّها إلى حاضرةِ المسلمين، واستنقذَ الحاميةَ المسلمةَ فيهــا، وتعــسَّفَ ضــد أهلِهــا لتحالفهم مع الصليبين ضدَّ المسلمين(1).

وفي عام (552 هــ =1157م) استثار بلدوين الثالث ملكُ مملكة بيت المقدس نــورَ الــدين بأعمالٍ استفزازيةٍ حينما قامَ رجالهُ بالسطْو على الرعاةِ التركمانِ في منطقة الأردنّ وحولَ بانيــاس، وكانوا قد حصلوا على موافقة الملك في الرعْيِ فيها، إلا أنهم غدروا بالرعاة وهجَموا عليهم فقتلــوا بعضهم وأسروا غالبيتهم، واستولوا على المواشي والجمالِ والخيلِ التي معهم، حتــى أن المــؤرخ الصليبي وليم الصوري انتقدَ تصرّفُ الملك وأنكرَ عليه نقْضَ الهدنة فقال: (ومع ذلــك فــإن هــذا العمل لم يكنْ عملاً صالحاً ولم يَحْظَ بالثناءِ من ناحية شعبنا) (2)، ولم يَكْدَ نورُ الدين يعلمُ بذلك الفعلِ الشنيع حتى تصدىّ للملكِ الصليبيِّ وحاصر بانياس ليلاً ونهاراً وهاجمها بسيلٍ من السهام المتواصلة حتى أنهكهم الحصارُ فاقتحمها عنوةً في نفسِ العامِ ولم يَنْجُ منهم إلا عددٌ قليلٌ، واســتنقذ الأســرى وأرجعَ للرعاةِ دوابَّهم، وهربَ بلدوين الثالثُ إلى صفد بعد أن ذاق الهزيمةَ بعــدمِ احترامــهِ العهــدَ وخيانتهِ لمبادئِ الشرف(3).

بعد هذه الحادثةِ بخمْسِ سنواتٍ قام بيموند الرابع وحاكم أنطاكيــة بالإغــارةِ علــى بــلادِ المسلمينَ وقَتَلَ وسبى، وكان في السبي علماءُ. فوصلَ الخبرُ إلى نورِ الدينِ فأخرج خلفهم أسدَ الدين شيركوه بالعساكر وجدّ في السيرِ حتى أدركَ جماعةً من الفرنجة يسوقون أسرى مــسلمين فقــاتلهم واستنقذ الأسرى وجميعَ ما كانتِ الفرنجةُ قد سلبتْه من أموالٍ ودوابَّ، وعادَ مظّفراً إلى حلب(4).

---

(1) ابن الأثير: الباهر،ص 86.

(2) وليم الصوري: تاريخ الحروب الصليبية الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، نقله للعربية د. سهيل زكــار، ج2، دار الفكر، ط1، 1410هــ، 1990م، ج2،ص 404؛ الشيخ: محمــد مرســي، عــصر الحــروب الــصليبية، الإسكندرية، 1417هــ- 1996م، ص291.

(3) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج2، ص406.

(4) أبو شامة: الروضتين ، ج1،ص174؛ أبو الفضائل ، محمد بن علي بن نظيف الحموي: التــاريخ المنــصوري تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان، تحقيق: أبو العيد دودو، مطبعة الحجاز، دمــشق، ط 6، 1981م، ص46.

استمرتِ الحروبُ سجالاً ووقعتِ العديدُ من المعاركِ المهمةِ ففي عام (559 هـ=1163 م) واجتمعوا على حارمَ فقاتلهم قتالاً شديداً حتى نصَره الله عليهم، ووقعَ في الأسرِ برنسُ أنطاكِيَّة، وقومص طرابلس، وابنُ جوسلين ودوك الروم وهو رئيسُ الروم ومقدمها[1] وقيلَ قُتِلَ في المعركةِ من الإفرنجِ عشرة آلافٍ، وعاد جنود الإسلام سالمين غانمين[2].

ثم إن نور الدين أطلق بيموند صاحب أنطاكية بمالٍ أخذه منه، وعدد كبير من أسرى المسلمين أطلقهم[3]، كما أطلق سراح قومص طرابلس بعد أن سعى له فخر الدين مسعود بن الزعفراني حتى عفا عنه بمبلغِ مئةٍ وخمسين ألف دينارٍ، وفكاكِ ألفِ أسيرٍ مسلم[4].

وقد ذكر ابنُ شدادٍ أن نور الدينِ محمود عندما فتحَ حارم سنة (559هـ=1163م) رتب مشعَلَيْنِ يوقدان ليلاً دائماً لا ينطفئان، ليهتدي بهما من يهربُ من بلاد الفرنجةِ، من أُسارى المسلمين[5]، وهذا من عظيمِ اهتمامهِ بسلامة أسرى المسلمين.

إن سياسة نور الدينِ- رحمه الله- قويةٌ مبنيةٌ على الإيمان بالله ونصرةِ الدين الحق بالجهاد في سبيل الله والتضرع إلى الخالق بالدعاء والبكاء قبل كل حرب يقودها، فكان يقول: "اللهم انْصر دينكَ ولا تنصُرْ محموداً، مَنْ محمودُ الكلبُ حتى يُنْصر؟!!"[6] يحقِّرُ نفسَه ويتذلّلُ إلى الله سبحانه.

وقد عنيَ نور الدين محمود بفكِّ الأسرى، فكان لا يطلقُ أسرى فرنجةً إلا مقابلَ أسرى مسلمينَ عند الفرنجة، فحينما أغارَ بوهمنْد أنطاكيةَ على بلادِ المسلمينَ وقتلَ وسبى ومن بين السبْيِ علماءُ ورجالُ دين ثارَ نور الدين محمود لذلك وسيّرَ أسد الدين شيركوه بالعساكر لاستنقاذِهم وسارعَ أسدُ الدين حتى يدركهم، وبالفعل أدرك جماعة من الفرنجة يسوقون الأسرى المسلمين فقاتلهم واستنقذ الأسرى، واستاق ما كان مع الفرنجة من أموالٍ وعاد مظفراً إلى حلب.[7] وكان قد تحايل على أسر جوسلين حاكمِ تلّ باشِر، فقد اتفقَ مع جماعةٍ من التركمان، وبذل لهم من الإقطاعيات والأموال إن ظفروا به، وبالفعل تم أسره، وذلك أن جوسلين خرجَ مرةً أغار على طائفةٍ من التركمان فنهب وسبى، فاستحسن من السبْيَ امرأةً منهم فخلا بها تحتَ شجرةٍ، ففاجأه التركمانُ

(1) ابن الأثير: الباهر، ص125؛ ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ص59.

(2) أبو شامة: الروضتين، ج1، ص418.

(3) ابن الأثير: الباهر، ص125.

(4) م.ن، ص125؛ ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ص59.

(5) الأعلاق الخطيرة، ص60.

(6) ابن الأثير: الباهر، ص172.

(7) أبو شامة: الروضتين، ج1، ص174؛ أبو الفضائل: التاريخ المنصوري ، ص46.

وأخذوه أسيراً[1]، وكان أسره أعظمَ الفتوحِ على المسلمين، فإنه شيطانٌ من شياطينِ الفرنجةِ، شديدُ العداوةِ على المسلمين، فلما أُسِرَ تيسّر فتحُ الكثير من البلاد والقلاع والحصون قدرت باثني عشر حصناً[2]، وكان نور الدين –رحمه الله– إذا فتح حصناً لا يرحلُ عنه حتى يملأه رجالاً وذخائر تكفيه عشر سنين[3]، خوفاً من نصرةٍ تتجّدد للفرنجةِ على المسلمينَ، فتكونُ الحصونُ مستعدة لذلك.

لم يطلقْ نور الدين جوسلين من الأسر، بالرغمِ من الأموالِ التي دفعها لإطلاقِ سراحهِ، فقد كَرِهَ نور الدين إطلاق سراحهِ لأنه من غُلاةِ الفرنجة، وخروجُه نصرة للفرنجةِ وقوةٌ وتجديدٌ للقتالِ، ونور الدين في غِنىَ عنها.

فتح مصر:

أرسل نور الدين ثلاث حملات عسكرية بقيادة أسد الدين شيركوه وصلاح الدين الأيوبي[4]، الأولى سنة (559 هـ / 1164م) والثانية سنة (562 هـ /1167م) والثالثة سنة (564 هـ / 1168م) [5] و في الحملة الأولى انتصر أسد الدين شريكوه وقتل ضرغام وتولى شاور بدلاً منه، إلا أن شاور تعاون مع عموري ملك مملكة بيت المقدس ضد نور الدين.

وأثناء فتح مصر وقعت عدة معارك بين جيش نور الدين بقيادة شيركوه وصلاح الدين الأيوبي ضد تحالف ضرغام مع الفرنجة وحدث بينهم تبادل للأسرى من كلا الطرفين ومنها:
معركة البابين: نزل شريكوه والعسكر النوري إلى الصعيد وبلغوا مكاناً يعرف بالبابين، وسارت العساكر الإفرنجية وراءهم وأدركوهم[6]، وكان شريكوه بألفي فارس، فجعل في القلب صلاح الدين حتى ينهكهم بالقتال، ثم سار شيركوه من الميمنة عليهم، ودارتْ معركةٌ حاميةٌ انتصر بها شريكوه وأكثر القتل والأسر في الفرنجة وانهزمَ الباقون، وكان هذا من أعجب ما يؤرخ: أن ألفيْ فارسٍ تهزمُ عساكرَ مصر وفرنجةَ الساحل[7].

---

(1) أبو شامة: الروضتين، ج1، ص246.

(2) الحصون هي: (عين تاب – وعزاز – وقورس والرواندان – وحصن البارة – وتل خالد –وكفر لاثا– كفر سود – حصن بسر فوت بجبل بنيٌّ عليه– ودلوك – ومرعش– ونهر الجوز– وبرج الرصاص) ، أبو شامة: الروضتين: ج1، ص246.

(3) أبو شامة: الروضتين، ج1، ص247.

(4) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص76.

(5) سالم: تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص32 ، 43.

(6) ابن الأثير: الباهر، ص133.

(7) م.ن: الباهر، ص134؛ ابن شامة: الروضتين، ج2، ص16.

حصار الإسكندرية: سار أسد الدين شيركوه إلى ثغر الإسكندرية فتسلّمها من غير قتال، سلمها أهلُها إليه فاستتاب عليها صلاحَ الدين ابن أخيه، وعاد إلى الصعيد[1]. استغلَّ الفرنجةُ ذلك وحاصروا الإسكندرية وقد أعانَ أهلُها صلاح الدين خوفاً من الفرنجة.

ثم إن أسدَ الدين سار نحوهم، فخاف المصريون والفرنجةُ وطلبوا الصلحَ فعقدَ صلحاً، بين الطرفين على أساس:

1. رفع الحصار عن الإسكندرية.
2. إطلاق سراح الجند النوري داخل الإسكندرية.
3. يخرج شريكوه مع عسكره من مصر، ويدفع له خمسين ألف دينار[2].
4. تبادل الأسرى.
5. عدم الغدر والتعرض لهم في الطريق أثناء العودة إلى الشام.
6. التعهد بعدم المساس برعايا أسد الدين في الإسكندرية وغيرها الذين ساندوه في الحصار[3].

خرج صلاح الدين من الإسكندرية ودخلها الفرنجة، وأعجب أموري الأولُ بصلاح الدين فأمدَّه بمراكب لنقلِ الجرحى المسلمينَ إلى بلادِ الشام[4].

فرضت الحماية الصليبية على مصر عن طريق:

- دفع جزيةٍ سنويةٍ قدرها مائةُ ألف دينار للصليبيين.
- بقاء قوةٍ من فرسانهم تحمي أبواب القاهرة، لدفع جيش نور الدين محمود.
- إقامة مندوبٍ عن الملك الصليبي في القاهرة يشاركُ في إدارةِ الحكم[5].

هان على الصليبين السيطرةُ على مصر، وراسل المندوب الملك أموري ليستولي عليها، فسار فرسانُ الصليب إلى بلبيس ونهبوها وقتلوا وسبوا وأسروا ما فيها، ثم ساروا إلى الفسطاط، فأمر الوزير شاور بإحراقها وأن ينتقل أهلها إلى القاهرة وبقيت النارُ تحرقُها خمسةً وخمسين يوماً، ثم حاصر الفرنجة القاهرة وضيقوا على أهلها. في هذه الأثناءِ راسلَ حاكمُ مصر العاضدُ يستغيثُ بنور الدين، وأرسلَ شعورَ نسائهِ، وقال له: هذه شعورُ نسائي من قصري يستغثْنَ بك لتنقذهن من

---

(1) الصلابي: عصر الدولة الزنكية ، ص476.

(2) م.ن ، ص476.

(3) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج5، ص349.

(4) ابن الأثير: الباهر، ص138؛ أبو شامة: الروضتين، ج2، ص202.

(5) م.ن: الباهر، ص139.

الفرنجة[1]. وعرض عليه مقابل ذلك، منحةَ ثلثِ خراج بلادِ مصرَ ومنح قادته الإقطاعيات والسماح لشيركوه بأن يقيمَ في مصر[2].

إن شهامةَ نور الدين محمود وحمايتَهُ لكرامةِ المسلمين وعرضهم وخوفاً أن يؤسَرَ أهلُ مصر ويُهْدَر الدمُ المسلمُ، جعله يسارعُ في إرسالِ حملةٍ بقيادةِ أسد الدين شريكوه حيث قال له :(إن تأخرت أنت على المسير إلى مصر فالمصلحة تقتضي أن أسير أنا بنفسي إليها، فإننا إن أهْمَلنا أمرها ملكها الفرنجة)[3].

سارَ أسدُ الدين شيركوه إلى مصر مجدداً ومعه صلاح الدين الأيوبي، فلما قارب مصر، خاف الفرنجةُ ورحلوا عنها إلى بلادهم بخفَيّ حُنين، خائبين، وعلم نور الدين بعودتهم فسرَّه ذلك، وأمر بضربِ البشائر في بلاده، ولما وصلَ أسدُ الدين القاهرة، واجتمعَ بالعاضدِ، الذي خلع عليه وخرج به أهلُ مصر، وأجريتْ على عساكره الجرايةُ الكثيرة[4].
قام صلاح الدين بقتْلِ شاور بعد أن أخذ الإذن من شيركوه والعاضد وطلبَ العاضدُ رأسَه سنة (643 هـ =1245 م) [5]، ولم يُهِنْ صلاح الدين أولاد شاور وأسرتهِ بل عاشوا مكرمين في حياته.

وليَّ أسد الدين شريكوه الوزارة لُقِبَ الملك المنصور أمير الجيوش، لكن الموت فاجأه بعد شهريْنِ من وزارته، فوليَّ الوزارةِ بعده ابنُ أخيه صلاحُ الدين الأيوبي[6].

---

(1) أبو شامة: الروضتين، ج2، ص55.
(2) ابن الأثير : الباهر، ص140
(3) م.ن: الباهر، ص141.
(4) ابن الأثير: الباهر، ص140؛ الروضتين: ج2، ص56
(5) أبو شامة: الروضتين، ج2، ص56؛ الصلابي: عصر الدولة الزنكية، ص442؛ الكيلاني: هكذا ظهر جيل صلاح الدين، ص257- 258.
(6) أبو شامة: الروضتين، ج2، ص56؛ الصلابي: عصر الدولة الزنكية، ص442؛ الكيلاني: هكذا ظهر جيل صلاح الدين، ص257- 258.

المبحث الخامس

جهود المسلمين العسكرية في تحرير أسراهم في العهد الأيوبي

عَنِيَ النظامُ العسكريُّ الأيوبيُّ بسلامة الأسرى وتحريرهم من سجونِ الأعداءِ؛ فحينما يخوضُ صلاحُ الدينِ حرباً، أو يفتحُ حصناً يضعُ نُصْبَ عينيه استردادَ الأسرى من أيدي الفرنجة، فلم يكُفَّ صلاح الدين عن مواصلة غاراته ضدَّ الصليبيين.

فقامَ صلاحُ الدين على أخذ ملك الفرنجة ومقدمة الداوية معه في فتح البلاد وشرَطَ عليهم إن ساعداه على فتحِ عسقلانَ[1] وغزةَ والداروم[2]أن يطلقَهم من الأسرِ. فراسلَ الملكُ المأسورُ أهلَ عسقلانَ قائلاً: "أطيعوني ما استطعْتم، واسمعوا مني إذا سمعتم، واحتفظوا برأسي فهو رأسُ مالكم وحيلةُ حالكم ولا تُخْطِروا غيري ببالكم، فإني إذا تخلّصَتْ خَلّصْتُ وإذا استنقِذْتُ استنقذت"[3].

وبذلك استغل صلاح الدين الأسرى الفرنجة وخاصة الملوك منهم في فتحِ حصون المسلمين وبلادهم.

ففي عام (575 هـ = 1179م) نزل بانياس[4] وأكثر القتْلِ والأسْرَ في الفرنجة، وفتح بيت الأحزانِ بعد قتالٍ وحصارٍ، وغنم منهم مائة ألف قطعةِ حديدٍ من أنواع الأسلحة، وشيئاً كثيراً من القوات، وأسر نحو سبعمائة أسيرٍ، وقد تمّ إطلاق سراح مائةِ أسيرٍ مسلمٍ كانوا بداخله، وخرّبَ الحصن، وعاد إلى دمشق ليستكمل غاراته على الفرنجة ويرتبَ أموره[5]. وعند بانياس لقي الفرنجة ومعه عشرة آلاف مقاتلٍ ما بين فارسٍ وراجل، فاقتتلوا قتالاً عنيفاً انهزم فيه الفرنجة وانتهت المعركةُ، وعُرِضَ على صلاح الدين الأسرى قدر قرابة مائتين وسبعين أسيراً إفرنجياً، حُملوا إلى دمشق وكانَ منهم باديين بن بازان، وأراد مقدِّمُ الداويةِ، وابن القومصية وآخرون[6] وسميت هذه المعركةُ مرجَ عيون، وبعد سنةٍ فدى ابنُ بازان نفسه بمائةٍ وخمسين ألف دينارٍ صوريةٍ، وإطلاقِ ألفِ أسيرٍ مسلم، وابن القومصية استفكتْه أمُّه بخمسةٍ وخمسينَ ألف دينارٍ صورية. وأما أود مقدم

---

(1) عسقلان: بلد من أعمال فلسطين على جانب البحر بينها وبين غزة ثلاث فراسخ كان يقال لها عروس الشام. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج13، ص122.

(2) الداروم: قلعة بعد غزة لقاصدي مصر بينها وبين البحر فرسخ. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4،ص 512.

(3) العماد: الفتح القسي، ص113.

(4) بانياس: كوره ومدينة صغيرة وحصن بسواحل حمص على البحر ولعلها سميت باسم الحكيم بانياس صاحب الطلمسات؛ ياقوت معجم البلدان، ج4، ص489.

(5) أبو شامة: الروضتين، ج3، ص28

(6) ابن الأثير: الكامل ، ج9، ص148؛ المقريزي: السلوك، ج2، ص9؛ ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ص338.

(6) أبو شامة: الروضتين، ج3، ص28.

الداوية فقد قتلهُ صلاح الدين الأيوبي، فطلبتْ جثتهُ بإطلاق سراح أسيرٍ من مقــدَّمي المــسلمين[1]، وبهذا استفاد المسلمون حتى من جيفةِ أسيرِ الداوية.

استثار ابنُ لاون الأرمنيَّ صلاحَ الدين عندما أعطى الأمان لجماعةٍ من التركمانِ المسلمين وأمرهم أن يرعَوْا في بلادِهِ بمواشيهم، فلما دخلوا بلاده غدر بهم، وأغار عليهم، وســباهم، وأســر جماعة وقتل جماعة، فسمع صلاح الدين ذلك فقصد بلاده، فخافَه ابن لاون وأطلقَ سراحَ الأســرى والسبْيَ وأعادَ لهم أموالَهم، فرجَعَ صلاحُ الدين عن بلادِهِ واستقرّتِ الأحوال[2].

لم يكنْ صلاحُ الدينِ أقل شهامةً من الحجاج الثقفيِّ والخليفةِ العباسيِّ المعتصمِ ونورِ الــدينِ محمود، فهذه نخوةٌ صادقةٌ تجاهَ أبناءِ الأمة الإسلاميةِ الواحدة.

وعندما علم صلاحُ الدين بوجود أسرى مسلمينَ عند أهل تبنين[3] راسلَ حاكم تبنــينَ علــى إطلاقهم وأعطاه مهلة خمسة أيامٍ ليطلقوهم، وإلا سيقومُ بالهجوم العسكريِّ الفوريِّ علــيهم فــأطلقوا الأسرى المسلمين بعد هذا التهديد خوفاً على بلادهم ووصل الأسرى إلى دمشق مسرورين فرحّــبَّ بهم السلطان وكساهم ومنحهم مغانم، فخلص من الأسر أكثر من مئة ألف أســير عــام (583هــ/ 1187م). وبذلك يقول ابن شامة: " وهذا دأْبهُ في كل بلد يفتحُه أن يبدأ بالأسرى فيفكَّ قيودها، ويعيدُ بعد اليأسِ آمالها ويوسِّع أرزاقها بعدما أجالَ عليها ضيق الأسر آجالها "[4].

كذلك سار السلطان إلى سبسطية[5] لتحرير أسرى مسلمين من سجونِ الفرنجةِ فاستنقذ منهم جماعةً كثيرة، ثم هاجم نابلسْ عندما علم بوجودِ أسرى وسبايا فيها، فبثَّ الــسرايا يمينــاً وشــمالا، وحاصَرها حصاراً شديداً فلما تملَّكها وأنقذ الأسرى الذين بها أحرقَّهــا وخرَّبهــا، حتــى لا يــتمكن الفرنجةُ من امتلاكِها، وحدث هذا سنة (580 هــ=1184 م) [6].

تابع صلاح الدين فتحَ الحصون والقلاع واستنقاذِ الأسرى من المدنِ التي يحتَّلها الفرنجــة، فقد حاصر عكا واستولىَ عليها واستنقذ ما يقاربُ أربعة آلافِ أسيرِ مسلمٍ وأخذَ الأســلابَ والغنــائمَ التي فيها[7].

---

(1) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ص337 – 338.

(2) الروضتين: ج3،ص 321؛ العماد : الفتح القسي، ص99.

(3) تبنين: أو تبنينا، بلدة في جبال بني عامر المطلة على بانياس بين دمشق وصور،.ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2،ص 14.

(4) ابن شامة: الروضتين، ج3، ص321؛ العماد الأصفهاني: الفتح القسي: ص99.

(5) سبسطية: من نواحي فلسطين من أعمال بيت المقدس.ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج1، ص184.

(6) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج9، ص26.

(7) العماد: الفتح القسي، ص296؛ابن شامة: الروضتين، ج9، ص262–263.

وحاصرَ مدينة صفد حصاراً شديداً ودارت على سكانها حربٌ استــسلمتْ علــى أثرهــا المدينةُ، وفتحها صلاح الدين ووجد بها مئةً وسبعةً وخمسينَ أسيرا مسلما كــان قــد أســروه فيهــا فاستنقذهم منها[1].

ومع بداية سنة (583 هــ= 1187م) نضِجَت الظروفُ لإعدادِ المعركةِ الفاصلةِ من توحيدٍ لقــوةِ المسلمين، وكسر هيبة الصليبيين، وأصبح مستعداً لخوض معركةٍ فاصلةٍ في التاريخ الإسلاميِّ هــي معركة حطين[2].

إن السببَ المباشِرَ لهذه المعركةِ هو ما قام به أرناط حاكم الكرك[3]،عندما اعتدى على قافلة حجاجٍ مصريةٍ مارةٍ بالكرك في طريقها إلى الشام، فنهبها جنده وقتلوا وأسروا من أفرادِهــا عــدداً كبيراً[4]. ويقال إنه قال لأسراه وهو يعذبهم "فليأت محمدٌ ليخلِّصَكم" فلما علمَ صــلاحُ الــدين بــذلك غضبَ غضباً شديداً، وأقسمَ إن ظفرَ به ليجُزَّنَّ رأسه بيده[5].

وخلال تلك الفترة قذفت أمواج البحر قافلة من السفن التي كانت تحمــل حجاجــاً نــصارى كانوا متجهين نحو بيت المقدس على الشواطئ المصرية عند دمياط فأسرتهم القــوات الإســلامية، وأعلن السلطان أنه لن يطلق سراح الأسرى الذين بلغ عددهم ألفا وخمسمائة أســير[6] إلا إذا أطلــق أميرُ الكرك الأسرى المسلمين وأعاد أموالهم إليهم، غير أنه رفض ذلك بدافع طمعه الشخصي ممــا جعلَ السلطانَ صلاح الدين يحتفظ بهم[7].

وبهذا يتضحُ مدى نصرةِ السلطانِ صلاح الدين لدينه ونبيه وأبناء أمته والأسرى المــسلمين وفكاكهم من الأسر.

ولهذا سار إلى طبرية واقتحم المدينة في 21 ربيع الآخر ســنة (583 هــــ = 1187م). ووصل إلى تل حطين وسيطرَ على موارد المياه، فما وصلَ الفرنجةُ إلا بعــد أن أنهكهــم العطــشُ والتعبُ وشدة الحرارة، فبدأت المعركةُ وأطبقتْ عليهم جيوشُ صلاح الدين من كلِّ جهة، كذلك أمــر

---

(1) تقي الدين شاهنشاه: مضمار الحقائق، ج1، ص29.

(2) قرية بين طبرية وعكا، بينهما وبين طبرية فرسخين يوجد بها قبر شعيب عليه السلام ياقوت الحموي: معجــم البلدان، ج7،ص 273.

(3) الكرك: قلعة بنواحي البلقاء بين آيلة والبحر الأحمر وبيت المقدس، على جبل عال. يــاقوت الحمــوي: معجــم البلدان، ج، 6، ص453.

(4) رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص727.

(5) العماد: الفتح القسي، ص58−59.

(6) ابن واصل: جمال الدين محمد بن سالم: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيــق: جمــال الــدين الــشيال، القاهرة، ط6، 1994م، 22 ص114.

(7) الحميدة: الحروب الصليبية، ج3، ص249.

رجاله بإشعال الحرب في الحشائش المحيطة بهم، والريحُ تدفعُ النار علـــى وجـــوههم وأجـــسامهم، فاجتمع عليهم حرُّ الزمان، وحر النار، والدخان وحر القتال[1] فانتصر المـــسلمون علـــى الفرنجـــة انتصاراً باهراً فمن يرى الأسرى لا يقول هناك قتلى ومن يرى القتلى لا يظن هنـــاك أســـرى. ثـــم جلس السلطان في خيمته وأحضر ملك بيت المقدس جاي دي لوزنيان، والبـــرنس أرنـــاط صـــاحب الكرك، فأجلس الملك على يمينه وأعطاه ماءً مثلجا ليشربَه، فشرب، وأراد إعطاءَ أرنـــاط فـــرفض السلطان[2] وقال: "ها أناذا أنتصرُ لمحمدٍ" فعرض عليه الإسلام، ولكنه رفضَ فقتله نصرةً لدين الله، وقتل فرسانَ الداويةَ والاسبتارية لأنهم المتعصبون للحرب[3].

بعد معركة حطين فتح صلاح الدين العديد من المدن القريبة من بيت المقدس مثـــل طبريـــة والرملة والخليل وبيت لحم ونابلس، ثم اتجه لحصار القدس سنة (583هــ= 1187م) وحاصـــرها حصاراً شديداً ورماها بالمنجنيق، واجتمع الفرنجة واتفقوا على طلب الأمان، فامتنع الـــسلطان مـــن إجابتهم، فقال: (لا أفعل فيه إلا كما فعلتم بأهله حين ملكتموه من نحو تـــسعين ســـنة)[4]، فرجعـــت رسلهم خائبة، فخرج باليان حاكمها بنفسه، وقال للسلطان:(نحن خلق كثير وإنما يفترون عن القتـــال رجاء الأمان ورغبة في الحياة، وإذا رأينا أن الموت لا بد منه لنقتل أبناءنا ونساءنا ونحرق أموالنا، ولا ندع لكم شيئاً، وإذا فرغنا أخربنا الصخرة والأقصى، وقتلنا الأسرى، وهم خمسة آلاف مـــسلم، وقتلنا الدواب ثم خرجنا إليكم وقاتلنا قتال الموت، فلا يقتل منا رجل حتـــى يقتـــل رجـــلاً ونمـــوت أعزاء"[5]. وفي هذا جعل صلاح الدين يفكر بالأسرى الأبرياء، وقد علم من الفرنجـــة الغـــدر فـــي قتلهم، وسلامتهم وأمانهم أهم شيء عنده، لذلك وافق على إعطائهم الأمان وخروجهم من المدينة في مدةٍ تقدر بأربعين يوماً ويدفع الرجل عشرة دنانير والمرأة خمسة والطفل دينارين، وتم فتح القـــدس في (27 رجب 583هــ / 12 أكتوبر 1187) وظهر من تسامح ورحمة صلاح الدين الكثير ممـــا اعترف به الصليبيون أنفسهم [6]، وهكذا عادت بيت المقدس لتحكم براية الإسلام بعد إحدى وتسعين سنة هجرية، (88 سنة ميلادية) وأعيد للمسجد الأقصى بهاؤه ونـــضارته، وعـــاد صـــوت الأذان يصدح في جنباته وتم إحضار المنبر الذي أعدَّه نور الدين للمسجد الأقصى قبـــل فتحهـــا بعـــشرين سنة[7].

---

(1) ابن الأثير: الكامل، ج11، ص535؛ سالم: تاريخ الأيوبيين، ص110

(2) العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص81.

(3) م.ن، ص86.

(4) العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص116.

(5) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج9، ص98؛ ابن شداد: الروضتين، ج3، ص348.

(6) م.ن، ج9، ص100.

(7) العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص88–89.

إن قَبولَ صلاح الدين لصلح بيت المقدس ما هو إلا لضمان سلامة الأسرى المسلمين المحتجزين عندهم، وذلك لأن الصليبيين قاموا بتهديده بقتلهم جميعاً لذلك حفظ سلامتهم.

وعقد صلاح الدين صلحاً مع صاحب أنطاكية عام (585 هـ = 1192م) على أساس تخليص الأسرى المسلمين الذين عنده وعددهم كبير، ومدةُ الصلحِ ثمانيةَ أشهرٍ مع وقفِ القتال بين الطرفين[1].

وسار الصليبيون الذين أُفرج عنهم من بيتِ المقدس إلى صور ثم ساروا إلى عكا وحاصروها سنة (585 هـ = 1189م) وحضرتْ نجدةُ الحملةِ الصليبيةِ الثالثةِ التي دعا إليها البابا أوربان الثاني يقودها ثلاثةُ ملوك من أوروبا، إمبراطور ألمانيا فردريك بربروسا[2] الذي مات غرقاً هو وجنده، وريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا، وملك فرنسا فيليب أغسطس، وحاصرتْ جميعُ الجيوش عكا، وأثناءَ الحصارِ رابطَ السلطان صلاح الدين صابراً مصابراً سبعة وثلاثين شهراً، فقد راسل الفرنجة على هدنةً لسلامة أهالي عكا حيث طلبوا منه لفكاكِ الأسرى صليبِ الصلبوت[3].

كما جرى البحث وتبادل أسرى وأموالٍ طائلةٍ ووافق صلاح الدين على ذلك، لكن الصليبين أرادوا سفكَ الدماء، فقتلوا ثلاثةَ آلافٍ من أسرى المسلمين صبْراً، أمام المسلمين، مما أثارَ رجالُ صلاح الدين ودارتْ معركةً قتل فيها عددٌ كبير من الفريقين. [4] وانتهتِ الحملةُ الصليبيةُ الثالثةُ بعقد صلح الرملة بين ريتشارد قلب الأسد وصلاح الدين في (21 شعبان 588 هـ / 1 ديسمبر 1192م) وقد أدى إلى هدنةٍ لمدةِ ثلاثِ سنوات، وسيطرَ الفرنجةُ على الساحِل من يافا إلى عكا، وسُمح لهم بزيارة القدس وحرية التجارة[5].

كان صلاح الدين قد جعلَ خراج مدينةِ بلبيسَ في مصر يُصرفُ على فكاكِ أسرى مسلمين من يد الفرنجة، وكان خراجُها عظيماً، وبقيَّ يُصرفُ على هذا الأساس حتى نهايةِ الدولة الأيوبية[6].

توفي صلاح الدين في (27 صفر 589 هـ / 4 مارس 1193م) أي بعد 6 شهور من توقيع صلح الرملة[7].

---

(1) أبو شامة: الروضتين: ج4، ص43

(2) ملك الألمان هو فريدريك (ذو اللحية الحمراء) هو أول من تحرك للحرب بعد فتح المسلمين بيت المقدس. ابن واصل: مفرج الكروب، ح5، ص134.

(3) صليب الصلبوت قطعة من الخشب يعتقد المسيحيين أن المسيح عليه السلام قد صلب عليه ثم استولى عليه المسلمين عند فتح جزيرة صقلية سنة 1426 هـ.ابن واصل: مفرج الكروب، ج2، ص134.

(4) العماد: الفتح القسي، ص528.

(5) أبو شامة: الروضتين، ج4 ص267– 268.

(6) م.ن، ج4، ص104؛ أبي الفضائل: التاريخ المنصوري، ج1، ص52.

(7) ابن واصل: مفرج الكروب، ج2 ، ص235.

واصل العادلُ الذي تولى الحكم سياسةَ الجهادِ في الدولةِ الأيوبيةِ، فحارب الفرنجة مثل أخيه السلطان صلاح الدين، ثم سار لحصار عكا لتحريرها من يد الفرنجةَ، لكن الفرنجة تمسّكوا بها ودافعوا عنها دفاعاً مستميتاً، فهادنوه على إطلاقِ سراحِ ما بأيديهم من الأسرى المسلمين، وقد تم تحريرهم سنة (603هـ= 1207م) [1].

وفي عام (606هـ= 1209م) هاجم إيواني حاكم الكرك خلاط، فحاربهم حاكمُ خلاط الملك الأوحد[2] وهزمهم شرَّ هزيمة وأسرَ حاكمَ الكرك إيواني، فبذل في نفسه عشرَ قلاعٍ من قلاعه، وثمانين ألف دينار، وإطلاق سراح خمسمائة أسير مسلم، وأن يزوجَ الملكُ الأوحدُ ابنته، وتم عقدُ صلحٍ بينهما لمدة ثلاث سنوات [3].

وعندما قدمتْ الحملةُ الصليبيةُ الخامسةُ على دمياط (615 هـ = 1218م)، سارعَ الملكُ العادلُ للانتقالِ إلى مدينةِ العادليةِ جنوب دمياط حتى يسهل إمدادُ الأهالي بالمؤن، ومراقبةِ سيرِ الأوضاع، وكان قد أحكمَ تحصينَ دمياط، وبنى برجَ السلسلةِ لحمايتها، وظلَّ المسلمونَ داخلَ البرج يحاربون بشجاعةٍ مدة أربعةِ أشهرٍ، لكن الصليبيين استولَوا على البرج وعندما علم العادل بذلك الخبر تأوه تأوهاً شديداً، ومرض في ساعته، ودقَّ على صدرهِ أسفاً وحزناً، ثم ما لبثَ أن ماتَ ودُفن بقلعةِ دمشق [4] حتى لا يعلم أحدٌ من المسلمين بموته، وتكتّم على الخبرِ، وتولى ابنهُ الكاملُ مهمة الدفاع عن البلاد[5]، وما تخوّفَ منه السلطان العادلُ رحمه الله قد حدثَ، فسرعان ما استولى الفرنجةُ على دمياطَ بعد سقوطِ برجِ السلسلةِ، كذلك كان يعلمُ أن ابنَه غيرُ مهيأٍ لهذه المهماتِ الصعبةِ، وسرعان ما طالب الفرنجة بإعطائهم القدسَ وعسقلانَ وطبريةَ واللاذقيةَ وجبلةَ أي المدن التي حررها صلاحُ الدين منهم.

استبسلَ المسلمونَ المقاتلون في الدفاعِ عن بلادهم وساعدَهم فيضانُ النيل حيث كثرةْ المياهِ والوحل الذي غمر الأرضِ حولهم[6]، فلم يستطعِ الصليبيون الصمودَ أمام هذا التغيرِ الجغرافيِّ، فطالبوا بالأمانِ وتسليمِ دمياط مقابل أرواحهم، فوافقَ الكاملُ على الهدنةِ لمدةِ ثماني سنوات عام

---

(1) ابن الأثير: الكامل، ج5، ص277؛ أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر،ج3، ص324.

(2) هو الأوحد بن نجم الدين أيوب ابن الملك العادل، حاكم خلاط ونواحيها، حكم لمدة خمس سنين، توفي سنة (607هـ= 1210م)، وقيل قيل أن تصل بنت إيواني إليه. سير أعلام النبلاء، ج22، ص223، 228.

(3) الذهبي، سير، ج22، ص227-228.

(4) المقريزي: السلوك، ج1، ص60.

(5) ابن الأثير: الكامل، ج5، ص30؛ المقريزي: السلوك، ج1، ص195.

(6) ابن واصل: مفرج الكروب، ج4، ص97؛ سالم: تاريخ الأيوبيين، ص152؛ أبو سعيد، حامد غنيم:الجبهة الإسلامية في مواجهة المخططات الصليبية، دار السلام، القاهرة، 1428 هـ /2007م، ط 1،ج 1، ص354.

(618 هـ = 1221م) دونَ حربٍ بين الطرفين، وأن يطلقَ كلَّ طرفٍ ما عنده من الأسرى[1]، وحلفَ السلطانُ الكامل وإخوته وملوك الفرنجةِ على ذلك، وأطلق الأسرى وكان عند الفريقين أسرى من أيام السلطان صلاح الدين رحمه الله، وعادَ الفرنجةُ إلى عكا خائبين في استيلائهم على مصر[2].

وفي عام (628هـ = 1231م) قصدَ الفرنجةُ الذين بالشام مدينةَ جبلة، وهي من مدنِ حلب، ودخلوا إليها، وغنموا وأسروا من المسلمين فسيَّر أتابك شهاب الدين[3] إليهم العساكر لقتالهم، فقاتلهم واستردَّ الأسرى وكانوا أعداداً كبيرةً، وقتلَ خلقاً منهم وغنم الغنائم[4].

ساعدَ الخوارزميونَ الصالح نجمَ الدين ضدَّ الفرنجة والصالح إسماعيل، وخاضوا معهم معركةً ضارية عرفت بمعركة هربيا، وسميتْ معركةُ حطين الثانية، وقد قتلَ فيها من الفرنجةِ أكثرُ من ثلاثين ألفاً وأسر ثمانمائةِ أسيرٍ سيقوا إلى مصر، وعمرَ السلطان الملك الصالح نجمُ الدين قلعةَ الروضة، والمدارسَ الصالحيةَ بالقاهرة، بهؤلاء الأسرى[5].

ضَعُفَ النفوذُ الصليبيُّ بعد هذه المعركة حتى عام (646 هـ = 1249م)، حيث بدأتِ الحملةُ الصليبيةُ السابعةُ على مصرَ التي قادها لويس التاسع ملكُ فرنسا وقد باءتْ بالفشل، وأُسِرَ لويس التاسع فيها، وماتَ الصالحُ نجمُ الدين قبل أن يتمَّ الانتصار، فأخفتْ زوجتُه شجرةُ الدرِّ وفاتَه، حتى يتمكنَ المسلمون من هزيمةِ الفرنجةِ، حتى يحضرَ ابنهُ توران شاه[6]، وانتصرَ المسلمونَ في هذه الحملة العظيمة، وقتل المماليكُ توران شاه، وبدأ في مصر سنة (647 هـ =1250 م) حكمُ المماليك[7].

---

(1) رنسيمان:تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص 300

(2) ابن واصل: مفرج الكروب، ج4، ص98؛ المقريزي: السلوك، ج1، ص208.

(3) الأتابك شهاب الدين طغرل بك ولي تدبير أمور حلب حسن السيرة محمود الأخلاق، وهو من المماليك البيض، عمر خان للسبيل ومدرسة لأصحاب الإمام أبي حنيفة، توفي سنة (631 هـ = 1234م) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج7، ص100، الذهبي: العبر، ج5، ص140؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج3، ص168؛ ابن العديم: بغية الطلب، ج1 ، ص270.

(4) ابن الأثير: الكامل، ج10، ص496.

(5) المقريزي: السلوك، ج2، ص305؛ ابن تغري بودي: النجوم الزاهرة، ج6، ص324.

(6) غياث الدين توران شاه ابن الصالح أيوب بن الكامل بن العادل، ملك بعد أبيه شهرين، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج23، ص380.

(7) ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص178؛ المقريزي: السلوك، ج2، ص253.

بعد مقتلِ آخرِ سلاطينِ الأيوبيين توران شاه على يدِ المماليكِ البحريةِ نصّبوا شـجرةَ الـدرِ علـى السلطةِ في مصر حتى لا يفقدوا السيطرةَ عليها. [1]

قامتْ شجرُ الدر بتعيينِ الأميرِ حسام الدين بن أبي علي نائبِ السلطنةِ للمفاوضـاتِ علـى الأسرى الصليبيين، وتم الاتفاقُ على إطلاق سراحِ الملك، وجميع الأسرى من الجـانبينْ علـى أن يخلّوا دمياط[2]، وأن يدفعوا أربعمائةِ ألفِ دينارٍ فديةً للملك لويس التاسع على دفعتين الأولـى قبـل إطلاق سراحه، والثانية بعدَ وصوله إلى عكا. وذكر المقريزي أن عدتهم اثنا عشر ألفاً ومائةُ أسـيرٍ مسلم، منهم من أُسروا في عهدِ العادلِ والكاملِ والصالح. [3]

وقد أُخذ الملكُ رهينةً حتى يأتيَ نصفُ المبلغِ في دار لقمانَ، فأحـضرتْه زوجتُـه الملكـةُ مرجريت البروفنسية، وتم إطلاقُه من الأسرِ مع أخيه[4].

مكثتِ الأسرةُ الأيوبيةُ في الحكمِ ما يقاربُ الثمانينَ سنة، وتولّى السلطَة من مماليكها تـسعةُ ملوك، أولهم شيركوه، وآخرُهم توران شاه، وكانَ لأربعةٍ منهم الفضلُ الأعظمُ في تسجيلِ مآثرَ هـذه الأسرة التي سُجلتْ في التاريخ الإسلامي وهم: صلاح الدين الأيـوبي، والملـكُ العـادلُ، والملـك الكامل، والملكُ الصالحُ نجم الدين أيوب[5].

وسعتْ هذه الدولةُ بكلِّ جهودِها العسكريةِ لتحريرِ الأسرى المسلمينَ من الأعداءِ، وتطهيـرِ الوجود الصليبي من بلاد الشام ومصر، وترتيبِ أوضاعِ البلاد الإسلامية و توحيدها في يدِ سـلطانٍ واحد ليوجِّهَ جهودَ الأمةِ لهدفٍ واحدٍ وهو جهادُ الفرنجةِ وتحريرُ الأراضي المقدسة.

---

(1) القلقشندي: مآثر الأناقة، ج2، ص240.

(2) ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص178؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج3، ص240.

(3) المقريزي: السلوك، ج2، ص356، 359؛ الشيخ: عصر الحروب الصليبية، ص528.

(4) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج3، ص240.

(5) القلقشندى: مآثر الأناقة، ج2، ص93؛ سالم: تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص177.

المبحث السادس

جهود المسلمين العسكرية في تحرير الأسرى في العهد المملوكي

اعتمدَ المماليكُ في نظامهم العسكريُّ على الحزمِ والشدةِ في إنقاذِ الأسرى المسلمينَ من أيدي الأعداءِ بناءً على الانتصارات التي حقّقها المماليكُ على أعدائهم وذلك نظراً للغاراتِ التي شنّها بيبرس ضد الصليبيين، ولا شكَّ أنه قد نهجَ السبيلَ نفسَه الذي انتهجَه صلاحُ الدين صاحبُ الفضلِ الأعظمِ في إخراجِ الصليبّيينَ من بيتِ المقدس، بل تقمّصَ شخصيةَ صلاح الدين فقضى شطْرَ حياتهِ الأكبَرَ مثاغراً ومجاهداً بينَ الشامِ ومصر.

وكان أعظمَ انتصارٍ حققه بيبرس على الفرنجةِ حينما حرَّرَ في شهرِ رمضان (666 هـ= 1268م) مدينةَ أنطاكيةَ من الصليبيين [1] إذ حررَ الأسرى المسلمين من أيديهم، بعد أن دُخلتِ المدينةُ منصورةً رافعةً رايةَ الحق، وقد ذكر ابنُ شداد: (أن البرنس صاحب أنطاكية قد سبَى وأسرَ خلقاً من سكانِ حلب، فمنّ اللهُ بإطلاقهم على يد مولانا السلطان، وهذه منةٌ قلدها ربهم وصيّرها لهم سمةً تفوق ألقابهم، وكم لها من أخوات فتوحه أعاد لها الأمن من بعد نزوحه، ومدونة في صحائف سيره وأعماله) [2].

وأيضاً ذكرَ العيني عن الأسرى المسلمينَ الذين كانوا في أنطاكية بقوله: (ووجدوا بها من الأسرى والحلبيين خلقاً كثيراً) [3].

وأمرَ السلطانُ بيبرس بإحراقِ القلعةِ، بعد أن أمّنَ ما يقاربُ الثمانين ألفاً[4]، ويقال إن فيها من الصليبيين مئةَ ألفِ نفس[5].

أحدثَ سقوطُ أنطاكية دوياً هائلاً في العالميْن الإسلاميِّ والنصرانيِّ على حدٍّ سواء، فقد عُدَّ سقوطها في أيدي المسلمين كارثةً عظمى على القوى الصليبية ، ووجّه بيبرس بعد استيلائه عليها إلى أميرِها بوهمند السادس الذي كان مقيماً في طرابلس رسالةً تقطرُ سخريةً وتهتكاً لاذعاً.

نطالع فيها (فلو رأيتَ خيّالتَك وهم صرعى تحتَ أرجلِ الخيل، وديارَك والنهابةَ فيها تصولُ والكسابةُ فيها تجول، وأموالَكَ وهي تُوزَنُ بالقنطارِ، وداماتِك فكلُّ أربعٍ منهن تباعُ، فتُشترى

---

(1) المقريزي: السلوك، ج2، ص568؛ رنسيمان: الحروب الصليبية، ج3، ص479.

(2) الأعلاق الخطيرة، ج1، ص410.

(3) عقد الجمان، ج1، ص115.

(4) عقد الجمان، ج1، ص115؛ ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج1، ص410.

(5) العيني: عقد الجمان، ج1، ص115؛ رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص479

من مالك بدينار.. ولو شاهدتَ النيرانَ في قصورك تخترقُ، والقتلى بنارِ الدنيا قبلَ نارِ الآخرةِ تحترق، ... لكنت تقول يا ليتني كنتُ ترابا، ويا ليتني لم أوتَ بهذا الخبرِ كتابًا، ولكانت نفسُك تذهبُ من حسرتك، وكتابنا هذا يتضمن البشرى لك بما وهبَكَ الله من السلامةِ، وطولِ العمرِ بكونك لم تكنْ بها فتكونَ إما قتيلاً وإما أسيراً..) [(1)]

بعد ذلك سارَ السلطانُ بيبرس إلى مدينتي صافيتا وانطرسوس لحصارها، فقامَ صاحباها بإرسالِ ثلاثمائةِ أسيرٍ مسلمٍ كانوا عندهم[(2)]، ومفاتيحِ المدينتيْن، فشكَرهم السلطانُ على ذلك، ولم يتعرّضْ لهم[(3)]، وهذا الحدثُ يدلُّ على علمِ الفرنجةِ بقدرِ الأسرى المسلمين وقيمتهم لدى السلطان، وكلمة (فشكرهم) دليل على فرحتهِ فإن شُكْرَ السلطانِ بيبرس لهم من أجل الأسرى، وسلامتهم هي الغايةُ المنشودة لديه في حروبهِ وغزواته تحريرِ البلاد أولاً والأسرى ثانياً. لم تتوقفْ فتوحاتُ بيبرس عندَ سقوطِ أنطاكية، فقد عزم على تحرير طرابلس بعد أن دانت له الحصونُ المجاورةُ لها بالطاعةِ، لكن الأوضاع المستجدة على الساحة الصليبية جعلت من بيبرس يوافق على الهدنة التي طلبها بوهمند السادس أمير طرابلس[(4)]، وبعد مفاوضاتٍ بين الجانبين عَقَدَ هدنة مدتها عشرُ سنواتٍ توزّعُ المناطقَ التي يحكمُها أميرُ طرابلس بين السلطانِ بيبرس وأميرِ طرابلس[(5)].

وبعدَ وفاة بيموند السادس وتولى ابنه بيموند السابع سنة (673 هـ = 1275م)، جعلت من بيبرس يغير بنود الهدنةِ الأولى، وقد طالبَ بيموند السابع تقريرَ الهدنةِ مع السلطانِ فهادنه على أن يدفعَ بيموند السابعُ مبلغاً قدره عشرونَ ألف دينارٍ كل سنة، ومعها عشرونَ أسيراً مسلماً[(6)].
اتجهتْ أنظارُ بيبرس تجاه مملكةِ عكا وهي الكيانُ الرئيسيُّ للصليبيين في الجنوبِ، والملكُ عليها هو ليو الثاني لوزجنان، فأرسلَ الملكُ رسالةً إلى السلطانِ بيبرس يلتمسُ الصلحَ منه، واتفقَ الجانبانِ على توقيع معاهدةٍ من ضمنها إطلاقُ سراحِ الأسرى من كلا الجانبين، وتقررَ ذلك عام (659 هـ= 1261م). وبينما كان بيبرس يجمع الأسرى الصليبيين، استعداداً للمبادلة بهم، أبدى الصليبيون

---

(1) العيني: عقد الجمان، ج1، ص116؛ المقريزي: السلوك، ج2، ص570 ؛ أبو سعيد، حامد: الجبهة الإسلامية، ص492.
(2) المقريزي: السلوك، ج2، ص566.
(3) العيني: عقد الجمان، ج1، ص116.
(4) عقدت الهدنة في أوائل شوال سنة (669 هـ= 1217م) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج7، ص152؛ المقريزي: السلوك، ج1، ص592.
(5) المقريزي: السلوك، ج2، ص592-593؛ رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص572-573.
(6) م.ن، ج2، ص619؛ رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص588.

تراجعهم عن هذه الجزئية[1]، فغضبَ السلطان وردّ عليهم رداً حاسماً، قال فيه: (قد صارتْ بحمــدِ اللهِ مملكةُ الشامِ وغيرُها لي، وما أنا محتاجٌ إلى نصرتكم ولا نجدتكم، ولم يبق لــي عــدوٌّ أخافــه، فردوا ما أخذتموه من البلاد[2]، وفكّوا أسرى المسلمين جميعَهم، فإني لا أقبلُ غيرَ ذلك) [3].

ويذكرُ رنسيمان أن الصليبيين لم يستطيعوا الوفاءَ بالجزئيةِ الخاصــةِ بالأســرى المــسلمين وذلك لأن الداويةَ والاسبتاريةَ رفضوا التخليَ عنهم، نظراً لأنهم كانوا صُنّاعاً مهــرة، أي يــشّكلون قيمةً ماديةً لكلتا الطائفتين[4]، ولهذا غضبَ بيبرس من هذا الاستغلالِ البغيضِ لهــم، فقــادَ رجالَــه وزحفَ حتى وصل الناصرةَ، فدمر كنيسة العذراءِ وشنَّ هجوماً مباغتاً على مدينةِ عكا وذلــك عــام (661 هــ – 1263م)، ودار قتالٌ عنيف، أحرق بيبرس الشجرَ والزرعَ، وقصف الأبراج والأسوارَ وقتل عدداً كبيراً من جندِ الصليبيين وأسرَ معظمَهم وجرحَ قادتهم[5].

وفي عام (663 هــ =1265م) اتجَه بيبرس لحصارِ مدينةِ قيساريةَ وحاصــرها حــصارا شديداً إلى أن سقطتْ في يدِ المسلمين واستسلمَ الصليبيون فيها، وهدمَ بيبرس المدينة واتجه لحــصار قلعة عثليت التابعة للداوية منها فهادنوهم على إطلاق سراح الأسرى المسلمين الذين فــي القلعــةِ، وكانت أعدادهم كبيرةً فيها، بالإضافةِ لإعطائهم كميةً كبيرةً من الغنائم[6].

ثم اتجهتِ القواتُ الإسلاميةُ إلى مدينة أرسوف، ودام حصارها أربعين يوماً، تمكّنــوا مــن انتزاعها من الصليبيين بالقوة العسكرية وذلك سنة (663هــ = 1265م) [7].

وبعد ذلك كتبَ بيبرس رسالةً إلى صاحبِ يافا أرسلَها إلى الوصيّ على عكا الــذي رفــضَ إعطاءَ أسرى المسلمين قائلاً له : (نحن لا نحتملُ الهزيمةَ، وإذا أخذَ أحدٌ لنا مزرعةً أخذنا عوضها

---

(1) المقريزي: السلوك ، ج2، ص464

(2) قصد بالبلاد صفد والشقيف، وقد تخلى عنهم الصالح إسماعيل للصليبيين مقابل مساعدتهم له على الملك الــصالح نجم الدين أيوب، ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص62؛ المقريزي: السلوك، ج1، ص315.

(3) المقريزي: السلوك، ج2، ص464.

(4) تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص544 – 545.

(5) ابن إياس: جواهر السلوك، ص112

(6) المقريزي: السلوك، ج2، ص527–528؛ حسين، حسن عبد الوهاب: تاريخ جماعة الفرســان التيوتــون فــي الأراضي المقدسة، تقديم: جوزيف نسيم يوسف، دار المعرفة الجامعيــة، مــصر الإســكندرية، ط 6، 1988م، ص295– 296.

(7) المقريزي: السلوك، ج2، ص527–528

قلعةً مرتفعةً، وإذا أُسر لنا فلاّح أسرنا ألفاً من المقاتلةِ لابسةِ السلاح، وإذ هدموا جداراً هدمنا أسواراً، ولنا يدٌ تقطعُ الأعناق، ويد تصلُ الأرزاق ...) [1].

اكتفى بيبرس بهذا التهديد القويّ تجاه حاكمِ عكا، ولم يواصلْ زحفه تجاهها، والواضحُ أنه جعلها آخرَ المطافِ له بعد أن تجتمع الظروف المناسبة لها.

لكن السلطان بيبرس لم يهدأ وأصرَّ على عدمِ تحريرِ الأسرى المسلمين من يد حاكم عكا وخاصة عندما تأكد من عدم موافقة الفرقتين الداوية والاسبتارية على فكاكهم، حينها حاصر مدينةِ صفد وفتحها بالقوة العسكرية، وكانت مليئةً برجال الداوية والاسبتارية، وكانوا قرابة ألفي مقاتل أخرجهم من صفد على تلٍ قريبٍ منها فضرب رقابهم جميعاً، وذلك أنه علمَ أن هذا التلَّ ضربتْ عليه رقابُ أسرى مسلمين، فتعمدَ ذلك[2].

بعد هذه الحروب الطاحنة من أجل الأسرى المسلمين، وما شاهده الصليبيون من قتلٍ وتدميرٍ، وما ذاقوه من مرارةِ الهزائمِ المتلاحقة عليهم، فراسلوا أكثرَ من مرةٍ في طلب الصلحِ وإعادة الأسرى المسلمين وفي كل مرة يرفض السلطان لإذلالهم[3]، وفي المقابل عندما كانت الرسل تطلب الهدنة، أرسل السلطان بيبرس غارةً على مدينة عكا في شعبان سنة (665 هـ = 1267م) وألبَسَهم لباسَ الداوية والاسبتارية للتمويه[4]، وقتل وأحرق وخرب، وعادت رافعة رؤوس قتلى الصليبين على الرماح، وأحضر بيبرس الرسل وأراهم هذه المناظرَ ورفضَ مبادرتَهم للهدنةِ التي يلحّون عليها[5].

وبعد فتحه لأنطاكية سنة (666 هـ = 1268م) سارع الصليبيون في عكا بإرسال مبعوثين بهدايا ثمينةٍ للسلطان، والواضح أنهم يحملون في أضلعهم الخوف من السلطان بيبرس. وبعدَ مفاوضات توصلا إلى اتفاق مفاده إطلاق سراح جميع الأسرى المسلمين من يد الصليبين، وأيضاً الرهائن الذين كانت تحتفظ بهم القوة الصليبية عندهم للمسلمين أثناءَ المراسلاتِ بين الجانبين[6].

---

(1) أبو السعيد: الجبهة الإسلامية، ص501. نقلاً عن ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، 1064.

(2) المقريزي: السلوك، ج2، ص547؛ رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص551.

(3) الجزار، هاني فخري، النظام العسكري في دولة المماليك، ص120.

(4) رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص555.

(5) المقريزي: السلوك، ج2، ص558-559

(6) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج5، ص387؛ المقريزي: السلوك: ج7، ص571.

أما علاقاتُ السلطانِ بيبرس مع الأرمنِ فقد كانتْ عدائيةً وخاصةً في عهـدِ الملـكِ هيثـوم الأول الذي تولّى الحكمَ من سنة (623هـ= 1226م) [1]، فقد تحالفَ ملكُ الأرمن مـع الـصليبّينَ ضدَّ الجبهةِ الإسلامية عام (663 هـ= 1266م)، لكنّ الجبهةَ الإسلامية القوية أرسلت الأمير سيف الدين قلاوون فهزمتِ الأرمنَ وأسرتْ ابن هيثوم الأول وخربت عاصـمةَ الأرمـن[2]، فقـد ذكـرَ رنسيمان في هذا الصدد: (لم تنهضْ مملكة قليقة مطلقاً من هذه الكارثةِ، ولم يعُـدْ بوسـعها إلا أن تقوم بدورٍ سلبيٍّ في الأمور السياسيةِ بآسيا..)[3].

بدأتْ رسلُ هيثوم بالتردُّدِ على السلطان بيبرس من أجلِ إطلاق سراح ابنه وتعرضُ مقابـل ذلك كل ما يقدرُ عليه من مالٍ وقلاع، فطلب منه بيبرس إطلاقَ سراح الأميرِ شمس الـدين سـنقر الأشقر[4]، وهو أسيرٌ عند المغولِ في زمن السلطان صلاح الدين في سنة 658هـ= 1260م) لكـن هيثوم كان يراوغُ في هذا، فأرسلَ له بيبرس رسالةً كتب فيها: (إذا كنت تقسو على ولـدكَ وولـيٍّ عهدك فأنا أقسو على صديق ما بيني وبينه نسبٌ، ويكون الرجوع منك لا مني، ونحن خلف كتابنـا، فمهما شئتَ افعلْ بسنقر الأشقر) [5]. فقبل هيثوم بعد أن خاف من السلطان بيبرس عدمَ إطلاق سراح ابنه، فقبل كل شروط بيبرس وفي مقدمتها " تـسليمُ قلعـة بهـسنا[6] والدربـساك[7] ومرزبـان[8] ورعبان[9] والذرب[10] وشيح الحديد[11]، وكلِّ ما أخذَه من بلاد الإسلام، وردِّها كما أخذها، وإطلاق

---

(1) هيثوم بن قسطنطين ملك الأرمن، مكث في الحكم لغاية (674هـ=1275م) ابن شداد : الأعلاق الخطيرة، ج1، ص342- 343، المقريزي: السلوك، ج2، ص551.

(2) ابن شداد : الأعلاق، ج1، ص341- 342؛ المقريزي: السلوك، ج2، ص569.

(3) تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص569.

(4) كان أميراً شجاعاً مقداماً كريماً مهاباً، حسن السياسية جليلاً، رغم خلافاته مع السلطات الأشرف قلاوون إلا أنـه اتحد معه برجاله ضد الصليبيين والتتار، توفي سنة (690 هـ = 1291م) ابن تغري بـردي: النجـوم، ج8، ص37، أبي الفضل، الدر الكامنة، ج2، ص366.

(5) المقريزي: السلوك، ج2، ص569.

(6) هي قلعة حصينة مانعة كبيرة يسكنها جماعة من الأرمن والمسلمين، تقع على حدود أرمينيـا الـصغرى. ابـن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج7، ص116.

(7) دربساك أو درب ساك، قلعة منيعة من مدن أنطاكية ابن العديم: بغية الطلب، ج2، ص755.

(8) المرزبان أو المرسبان، هي قرية كبيرة وأهلها من أصول أرمينية ومعظمهم أهل ذمة يهود ونصارى وهي مـن مدن أرمينيا الصغرى، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج1، ص114.

(9) رعبان هو حصن من الثغور الجزرية يقع أسفل جبل، بمحاذاة مدينة حلب، ياقوت، معجم، ج3، ص51

(10) الزرب أو الزوب، من الحصون الكبيرة على شكل دائرة في مدن أرمينية الصغرى، ابن شداد، الأعلاق، ج1، ص12، ص114.

(11) هي قرية كبيرة من قرى أنطاكية، ثم ضمت إلى حلب ابن العديم: بغية الطلب، ج1، ص474.

سراح سنقر الأشقر. وفعلاً تم عقد الهدنة في رمضان سنة (666 هـــ = 1269م) ونفــذَ هيثــومُ الشروطَ التي قامتْ عليها[1].

وبذلك يكونُ السلطان بيبرس قد أحسنَ استغلال الأسرى الصليبيين وخاصةً أمرأهم، كــذلك أخلصَ السلطانُ بيبرس لرجالهِ وقادته بعدمِ التخلي عنهم وتحريرهم في أقربِ فرصة تتاح لهم، فبعد ثماني سنواتٍ قام بفكاك سنقر الأشقر من الأسر رغم أنه لم يكن في أسر الأرمن بل عند المغــول، لكنه أحسن استغلال صداقةِ هيثوم مع المغول.

أطلقَ سراح ليو بن هيثوم وولاّه والدهُ ملكاً على أرمينية بعد اعتزالهِ عنها، [2] وبعد سنوات من حكمه نقضَ الهدنةَ وتعرّضَ إلى قوافل التجارِ المسلمين القادمةِ من بلاد الــروم وقتــل وأســر وسبى، وتحالفَ مع التتار ضدَّ القوى الإسلامية، حينئذ أدرك الــسلطان بيبــرس ضــرورة اتخــاذ إجراءاتٍ صارمةٍ ضده وإعادة كل ما سَلَبَ وأسر من المسلمين، فزحف إليه ســنة (673 هـــ = 1274م) وعلى مدار ثلاثين يوماً حقق المقاتلون المسلمون العديد من الانتصارات عليهم، والقــضاء على عاصمتهم، وأخذ قلاعه منهم، وغنمَ المسلمون ما لا يحصى من الجاموس والبقر والغنم، ووقعَ عددٌ ضخم من مقاتلي الأرمن في الأسر، واستنقذ بيبرس الأسرى المسلمين من يد الأرمــن، وتــم تأديبُ ليو الأرمني على أفعاله ضد المسلمين[3].

كذلك عندما هادنَ السلطان بيبرس حاكمَ عكا سنة (666هـــ = 1268م) شــرطَ علــيهم إطلاقَ تجارٍ من المسلمين كانوا مأسورين من قبلِ قراصنةِ الصليبيين، كذلك دفعَ ديةِ بعــضِ القتلــى الذين قتلوهم، وجدّدَ معهم الهدنة لغايةِ عشرِ سنوات[4].

لم يتوقفْ صراعُ المماليك مع المغولِ بعد موقعةِ عين جالوت عــام (668هـــ= 1262م) فالصراعُ متواصلٌ زمنَ السلطانِ بيبرس وقلاوون والأشرف خليل بن قلاوون بل بقي وذلك ينطــق من أساس تطهير بلاد الإسلام من كلّ عدو يريد بالإسلام وبأهله الشر. ودارتْ حروبٌ وصــراعاتٌ بين الطرفين في معظم المعارك يكونُ النصرُ للمسلمين، وخاصةً مغول فارس، الذي رفض بيبــرس

---

(1) القلقشندى: مآثر الأناقة، ج2، ص123؛ ابن تغري بردي في النجوم، ج7، ص186؛ العسقلاني: شافع، الفــضل المأثور، ص119.

(2) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج1، ص344، 346.

(3) القلقشندى: مآثر الأناقة، ج2، ص123؛ ابن تغري، النجوم، ج7، ص186؛ المقريزي: السلوك، ج2، ص617، 619.

(4) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج12، ص499؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج5، ص387.

نهائياً أن يهادنهم رغم إرسالاتهم المتكررةِ في طلب الهدنة[1]، وقد رفض ذلك لعدائهم الشديدِ للمسلمين، ولم يحدث في عهده أن تمَّ تحرير أسرى من أيديهم لا سياسياً ولا عسكرياً بل كان الصراعُ غاراتٍ يقوم بها المغول على بلاد المسلمين يقتلون ويحرقون ولا يأخذون أسرى ثم يعودون، فيرسلُ بيبرس في طلبهم فيردُّ المسلمون بغارةٍ أكبر منهم، دون أن يحدثَ تحرير للأسرى من كلا الجانبين.

وفي عهد السلطان قلاوون اعترضَ رجالُ الداوية والاسبتارية قوافلَ التجارِ المسلمين قرب حصن المرقب[2] على شواطئِ البحرِ المتوسط وذلك عام (684 هـ = 1285م) وقد أسروا عدداً من التجار مخالفين بذلك المعاهداتِ[3] لذلك هاجمَ السلطانُ قلاوون بجيشٍ كثيفٍ هذا الحصنَ وحاصره حصاراً شديداً، مدةَ ثمانيةٍ وثلاثين يوماً متواصلات، فاستسلموا للسلطان، وتقرَرَ السماحُ لقادة الحاميةِ والاسبتارية وعددهم خمسةٌ وعشرونَ فارساً بالخروج دون أن يقتلهم، وأخذوا معهم أمتعتهم وخيولهم، والباقي بقيّ في الحصن، ودخل السلطان الحصنَ وفكَّ ما به من أسرى مسلمين[4].

وتكررتْ أفعالُ الصليبيين تجاه التجار الحلبيين المسلمين بالاعتداءِ عليهم وسلْبِ أموالهم وقتْلهم وأسْرِ البعض وخاصةً في ميناءِ اللاذقية[5]، وقد شكا التجارُ كثيراً للسلطانِ قلاوون هذه الأفعال، وأنهم لا يأمنون على بضائعهم وأموالهم وأرواحهم، فأرسل السلطان أميره حسام الدين طرنطاي واستعاد مدينة اللاذقية من يد الصليبيين ولم تحاولْ أيُّ إمارةٍ صليبيةٍ النهوضَ لمساعدتِها وتم ذلك عام (686 هـ = 1287م) [6].

إن السببَ المباشرَ لقيامِ السلطان قلاوون بمهاجمةِ الصليبيين وفتح مدينة طرابُلس ما قام به الصليبيون من نقضِ المعاهدةِ التي أُبرمت بين الجانبين ومدتُها عشرُ سنوات عام (680 هـ = 1281م) حيث قاموا بأسر جماعةٍ من التجارِ المسلمين عام (689 هـ = 1290م) [7]

---

(1) العسقلاني: الفضل المأثور، ص93.

(2) المرقب: قلعة حصينة تشرف على البحر المتوسط، كانت في يد والاسبتارية. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج7، ص500.

(3) رنسيمان: تاريخ الحروب، ج3، ص668.

(4) العيني: عقد الجمان، ج2، ص338- 340.

(5) اللاذقية: مدينة في ساحل بحر الشام (البحر المتوسط)، وهي مدينة قديمة رومية، وبها قلعتان، ياقوت: معجم البلدان، ج7، ص338.

(6) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج7، ص319.

(7) العيني: عقد الجمان، ج2،ص 279؛ ابن تغري البردي: النجوم الزاهرة، ج7، ص321

فحاصرَهم بجيشٍ بلغَ أربعين ألفَ فارسٍ ومائة ألفٍ من المشاة[1]، فثار السكانُ ودبَّ الرعبُ في داخلِ المدينة، ونصبَ عليها تسعةَ عشر منجنيقاً، وظلَّ مقيماً على حصارها أربعةٍ وثلاثينَ يوماً[2]، حتى تهدمتْ قلاعُها، ودخل المسلمونَ المدينةَ فأمرَ السلطانُ قلاوون بهدْمِها وتسويتها بالأرض، وبناءِ مدينةٍ حصينة أخرى بدلاً منها بعيدةٍ عن الساحل، حتى يزيلَ آثارَ مدينةِ الصليبيين[3]، وأتى هذا التحريرُ لها بعد احتلالٍ دام مائةً وخمسةً وثمانينَ عاماً تقريباً[4].

بالرغمِ من المعاناةِ التي عاناها المسلمونَ في حصارهم لطرابلس إلا أنهم أصرّوا على فتحها وتحرير أسرى المسلمين منها، ومن المؤكدِ أن أسرى المسلمين قد حُرّروا بسلامٍ ولم يصابوا بأذى، وذلك أن الصليبيين فروا دون الالتفات إلى أسرى المسلمين القاطنين في سجونهم، إذ كانوا مذعورين يريدون سلامة أنفسهم من القتل، ولو فاوضوا عليهم لذكرتْهُ المصادرُ ولدوّى صداه في الأفق.

سُرَّ المسلمون بتحرير طرابلس وتحرير الأسرى الذين بداخلها، وإعادةِ البلادِ لحظيرةِ الإسلام، وكتبت البشائرُ وزينتِ المدنُ وأقيمت الأفراح [5]. أما علاقة السلطان قلاوون مع الأرمنِ فلم تختلف عنها في زمن السلطان الظاهر بيبرس، لكن الأرمن عندما أسقط السلطان قلاوون حصن المرقب للرجال الاسبتارية في (شهر ربيع الأول عام 684 هـ / شهر أيار عام 1285م) [6]، راسل الملكُ لفيون ملك الأرمنِ السلطان قلاوون لعقد هدنة بين الطرفين، وبعد إلحاحٍ شديدٍ وافق السلطان على عقد معاهدةٍ اشتملت على عدةِ بنودٍ أهمُّها: أن على الملك ليفون الالتزامَ بإطلاقِ جميعِ التجارِ المسلمينَ على اختلافِ طوائفهم وأجناسهم بأموالهم وبضائعهم، ومماليكهم وجواريهم، وخيلهم وبغالهم، وإطلاق جميعِ المسلمين المأسورين المعتقلين في قلاعه وفي بلاده من سائرِ أجناسِ الناسِ على اختلاف أجناسهم وأنفارهم، والتزم ليفون بالوفاءِ بشروطِ الهدنة، وتطبيقِ كلٍّ بنودها. [7]

مما يتضح في بنود هذه المعاهدة أن السلطانَ قلاوون اهتمَّ بجميعِ فئاتِ المسلمين دون استثناءٍ، وعني بتحريرهم دون النظر إلى فئاتهم الطبقية وهذا يدّلل على اهتمامه البالغِ بكلِّ فردٍ

---

(1) المقريزي: السلوك،ج3، ص746.

(2) ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص313؛ المقريزي: السلوك، ج3، ص747

(3) ابن إياس: جواهر السلوك، ص132

(4) طقوش: تاريخ المماليك، ص187.

(5) ابن إياس: جواهر السلوك، ص132.

(6) العيني: عقد الجمان، ج2، ص338–339.

(7) أبو سعيد، غنيم: الجبهة الإسلامية، ص540ـــ541. نقلاً عن ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور، ص92ـــ93.

مسلمٍ من جميع أنحاء البلادِ الإسلاميةِ، رغم أن السلطان بيبرس حرّرَ أسرى المسلمين ولكن لــوحظ مدى اهتمامه بتحرير رجالهِ أولاً ثم أسرى المسلمين ثانية وهذه النقطةُ تعدُّ من أعظم الإيجابياتِ في سياسةِ السلطانِ قلاوون تجاه قضية الأسرى وفكاكهم.

كما عقدَ السلطان قلاوون اتفاقيةً مع حكومة عكا في (12 محرم عام 680 هــ / أيار عام 1281م) تقرر بمقتضاها الهدنة بين الفريقين، وأهمُّ بنودها أن يكونَ جميع رعايا الــسلطانِ وتجــارِ بلاده آمنين على أنفسهم وأموالهم وأولادهم أثناء ترددهم على عكا والأماكن الساحلية التي تــشملها الهدنة ولا يتعرض الصليبيون في عكا والأماكن التي تشملها الهدنة بــأي ســوء وكــذلك بالنــسبة للأراضي الزراعية، ولا للمسلمين على اختلاف أجناسهم(1).

وهذا البند في الاتفاقية يضمَنُ حمايةَ أرواحِ المسلمين من أيِّ غدرٍ صليبي، سواء بقتــل أو أسر أو تدمير للأموال أو للأراضي الزراعية وعندما خالف الصليبيون هذا البند وتعدوا على التجار المسلمين بالقتل والأسر وسلب الأموال، تم على أساسه فتح عكا على يد ابنه السلطان الأشرف خليل بن قلاوون.

يشهد التاريخ للسلطان قلاوون أن جميع الفتوحات التي قامت في عهــده والحــروب التـــي خاضها من أجل تحرير الأسرى المسلمين من يد الصليبيين أيضاً انتقاماً لقتل الأســرى المــسلمين والتعدي على حرمة الدم المسلم(2).

عاد المغول إلى التحرش ببلاد المسلمين فقتلوا وسلبوا ونهبوا(3) مما دفــع المماليــك إلـــى توحيد صفوفهم على ملاقاتهم(4) عند مدينة حمص (يوم الخميس الرابع عشر من رجب ســنة 680 هــ / 30 أكتوبر 1281) (5). دارت رحى المعركةِ التي تأرجح مــسارها، وفـــي النهايـــة انتــصر المسلمون انتصاراً مؤزراً، ومُنيَ المغول بهزيمةٍ فادحة، (6) وبعد هذه المعركة توفي الإيلخان أباقــا ملك المغول وتولى الحكم أخوه تكدار الذي أسلم واتخذ لنفسه اسم (أحمد)، وراسل الــسلطان علـــى عقد مهادنةٍ بين الطرفين (7)، لم يحددْ في بنودها إطلاقَ سراحِ الأسرى من كلا الجانبين، والواضحُ

---

(1) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج7، ص262-263.

(2) ابن إياس: الفضل المأثور، ص176 – 177.

(3) العيني: عقد الجمان، ج2، ص254؛ ابن تغري بردي: النجوم، ج7، ص299.

(4) عفا السلطان قلاوون عن سنقر الأشقر الأسير وضمه إلى جيشه مع رجاله العيني: عقد الجمان، ج2، ص255.

(5) ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص294- 295.

(6) م.ن، ج13، ص295؛ ابن تغري بردي: النجوم، ج7، ص305، 306، رنــسيمان: تــاريخ الحــروب، ج3، ص662-663.

(7) ابن تغري بردي: النجوم، ج7، ص310

أنه لم يكنْ يوجدُ أسرى مسلمون عند المغول، ولربما بعد إسلام تكدار أخرج جميعَ الأسرى المسلمين الذين في سجنه، فلم تدعُ الحاجة لذكرهم في بنود الاتفاقات التي أبرمت بينهم.

لم يبقَ أمامَ السلطانِ قلاوون إلا تحريرُ آخر معقلٍ صليبيٍّ في الشامِ والمركزِ الرئيسيٍّ لمملكةِ بيتِ المقدسِ وهي مدينةُ عكا أقوى معاقلِ الصليبيّين وأحصنها.

لكن الملك هنري الثاني ملك مدينة عكا راسل السلطان قلاوون لتجديد الهدنةِ المقصودةِ مع عكا ومدتها عشرُ سنوات وعشرةُ أشهرٍ وعشرةُ أيام[1].

استقرتِ الأوضاعُ نسبياً بين المماليكِ والصليبيّين واستؤنفت العلاقاتُ التجاريةُ بين الطرفين، وأخذ تجارُ دمشق يعيدون إرسال قوافلهم إلى الساحل فانتظمتِ القوافلُ بين دمشق وبيروت، وتوافر من المحصول ما دفع الفلاحين إلى عرضِ منتجاتِهم في أسواقِ عكا[2].

لكنّ هذا الاستقرار لم يدمْ طويلاً، إذ ما لبثَ أن وصلَ الصليبيون الإيطاليون في (شهر شعبان 689 هـ / شهر أب 1290م)، فأثاروا الارتباكَ للسلطاتِ بفعْلِ ما اشتهروا به من الفجورِ والإخلال بالأمن، وأرادوا أن يعبّروا عن حماسهم الدينيّ المزيف، فهاجموا التجارَ والفلاحينَ المسلمين في عكا، في ظلِّ الأمانِ المعطى لهم بعد عقدِ الصلحِ مع السلطانِ والصليبيين، وكان اعتقادُهم أن كلَّ ذي لحيةٍ مسلمٌ، فقد هلك أيضاً عددٌ كبيرٌ من المسيحيين خاصةً السريان[3].

ارتاعَ سكانُ عكا لتلك الحوادثِ، وخشوا عاقبةَ ما فعله الصليبيون الجدد، على أن أنباءَ المذبحةِ لم تلبثْ أن بلغتِ السلطان الذي استشاطَ غضباً عندما شاهدَ ملابسَ الضحايا مضرجةً بالدماء، وأقسمَ على أن ينتقمَ لهم من الصليبيين[4].

عندما علمتِ الفرنجةُ بأن السلطان قلاوون يعدُّ العدةَ لضمِّ عكا وطرْدهِم منها، سارعوا إلى طلب الهدنةِ منه، معتذرين له عما جرى[5]، فرفضَ اعتذارَ رسلهم[6].

---

(1) ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات: تاريخ ابن الفرات، تحقيق: د. حسن محمد الشماع، 1390 هـ / 1970م، المجلد السابع، البصرة، ص262، 263.

(2) العسقلاني، شافع: كتاب الفضل المأثور، ص173؛ طقوش، محمد سهيل: تاريخ المماليك، ص188.

(3) ابن تغري بردي: النجوم ، ج7، ص324؛ ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج8، ص92؛ رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص691.

(4) العسقلاني: الشافع، الفضل المأثور،ص 174.

(5) رنسيمان: تاريخ الحروب، ج3، ص692.

(6) العسقلاني: الشافع، الفضل المأثور،ص 174.

وذلك أنه طلبَ من الصليبيين تسليمَ كلِّ المذنبين فوراً فعقد الصليبيون مجلساً للتــشاوُرِ فـــي هذه القضية، واستقرّوا على تقديم اعتذارٍ شكليٍّ، لأن المذنبين هم أجانبُ غرباءُ خارجونَ عن سلطةِ الحكومة، والحكومةُ غيرُ مسئولةٍ عن تصرفاتهم[1].

جهز السلطان قلاوون جيشاً حربياً ضخماً للتوجه إلى حصار عكا، لكــن المنيــة عاجلــت السلطان قلاوون عام (شهر ذي القعدة 689هــ =1290 م) أثناء مسيرة الحملة، و علـــى فــراش الموت أخذ عهداً من ابنه الأشرف خليل بأن يواصل سير الحملة وينتقم للمسلمين من الصليبين. [2]

علم الصليبيون بموت السلطان قلاوون – رحمه الله– فدب السرور إلى قلوبهم وارتاحوا من عنـــاء حروبه ضدهم، ولم يعلم الصليبيون أن وراء هذا البطل ابنه الذي لا يقل عن والده إصـــراراً علـــى الجهاد وتحرير الأراضي الإسلامية من رجس الصليبين.

بعد موت والده أمضى السلطان الأشرف خليل بن قلاوون ثلاثة شهور لترتب أمور دولتـــه، وطلب النفير من كل بلاد الشام ومصر، وذكر ابن تغري بــردي أن النفيــر اســتجيب لـــه فكثــر المتطوعةُ في الجيش الإسلامي من الناس أكثر من الجند ومن في الخدمــة[3]، فـــالجميع يريـــدون تحرير البلاد والعباد من ذل الصليبين، والمشاركة في تحرير آخــر معقــلٍ للــصليبين فـــي أرض الإسلام.

وصل السلطان الأشرف خليل إلى مشارف عكا، ميدان الصراع، في يوم (الخميس الثالــث من ربيع الأول عام 690 هــ / الخامس عشر من إبريل عام 1291م)، وقــد زودهــا بكــل آلات الحصار والقتال فجلب معه اثنين وتسعين منجنيقاً، فقرر السلطان ضرب المدينـــة دفعـــة واحـــدة، وبالفعل ضربت المدينة ضربةً واحدة، فهال ذلك أهل عكا، وزحف بعساكره قبل أن تشرقَ الــشمسُ على أسوارها ودخل المدينة[4]، وأكثرَ القتل والأسرَ في الداويةِ والاسبتارية الذين قاتلوا بكل شراسةٍ وعنفٍ دون جدوى، وأخذوا أسرى من النساء والصبيان ما يتجاوز الوصف[5].

وقد وصف المقريزي هذا المشهد الهجومي الحاسم بقوله: (فلما كان يــوم الجمعـــة ســـابع عشرة، عزم السلطان على الزحف، فرتب كوساته على ثلاثمائة جمل، وأمر أن تــضرب المدينـــة كلها دفعة واحدة، وركب السلطان وضربت، فهال ذلك أهل عكا، وزحف بعساكره ومن اجتمع معه قبل شروق الشمس، فلم ترتفع الشمس حتى علت السناجق الإسلامية على أســوار عكـــا، وهـــرب الفرنجة في البحر، وهلك خلق كثير في الازدحام، والمسلمون يقتلون ويأسرون وينهبون فقتلوا ما لا يحصى كثرة، وأخذوا من النساء والصبيان ما لا يتجاوز الوصف) [6].

---

(1) رنسيمان: تاريخ الحروب، ج3، ص692.

(2) ابن إياس: جواهر السلوك، ص132؛ العسقلاني: الفضل المأثور، ص175، ص177.

(3) النجوم الزاهرة، ج8، ص5–6.

(4) العسقلاني: شافع: الفضل المأثور، ص177–178.

(5) رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص711.

(6) السلوك، ج3، ص764، 767؛ ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج8، ص110، 113.

أما المؤرخ المسيحي رنسيمان فقد صور الهجوم الحاسم للقوات الإسلامية، وذلك في قولـــه: (وقذف السلطان بكل قواه في المعركة، فلم تكف المنجنيقات عن القذف، أما سهامُ الرماةِ فتكادُ تكون كتلةً صلبةً عند سقوطها إلى داخل المدينة، واندفعت كتائب العسكر، الواحدةُ بعــد الأخــرى بقيــادةِ أمراءِ يلبسون عمائم بيضاءَ لمهاجمةِ استحكاماتِ المدينةِ، والضجيجُ يثيرُ الخوفَ والفزع ...) [1].

وهذا الانتصار الكبيرُ الذي سجّله المماليكُ على الصليبيين، كان له صداه البهيج في نفــوس المسلمين وخاصة أنه أعاد للمسلمين كرامتهم وإطلاق لسراح أسراهم في عكا، والانتقــام لكــل دم مسلم بريءٍ أسيلَ على مدار صراعهم المرير مع الصليبيين.

تم تحريرُ باقي المدن من أيدي الصليبين، وقد استغرقَ ذلك سبعةً وأربعين يوماً وأمر بهــدم تحصيناتها، وكان سقوط عكا نهاية الاستعمار الإفرنجي للشام، والــسيطرة الــصليبية علــى بــلاد المسلمين[2].

لم يطلْ عهدُ السلطان الأشرف خليل بن قلاوون في السلطنة فقد لقي المصير نفــسه الــذي لقيه سيف الدين قطز، إذ خرج الأشرف للصيد فاغتالته أيدي الأمراء المماليك عــام (12 محــرم 693 هــ = 1293م) –رحمه الله– وتولى ابنهُ الناصرُ محمد بن قلاوون[3].

إن كلَّ مدينةٍ أو حصنٍ يتمُّ تحريرُه من الفرنجةِ كان يحتوي على أســرى مــسلمينَ وذلــك كعملية حمايةٍ للصليبين عن طريقِ استخدامهم في المفاوضاتِ على أسراهم في الجانــبِ المــسلمِ أو المحافظةِ على أرواحهم، فعندما يعلمُ المسلمون بوجودِ أسرى مسلمين داخل المدينــة أو القلعــة أو الحصن فإنهم يعملون قصارى جهدهم لسلامة المسلمين الأسرى، مثل ما حدثَ من تهديد الــصليبيين بقتل الأسرى المسلمين أثناء حصارِ السلطان صلاح الدين الأيوبي لبيتِ المقدس، كذلك المــسارعةُ في إطلاق سراحهم والمهادنة مع المسلمين خوفاً من سقوط مدينتهم في يد المسلمين. وقد ذكر ابــنُ شداد أن الصليبيين في حصار أنطاكية ذاقوا ويلاتِ الجوع والعطش ونفاد المؤن، فقــاموا بــالإفراجِ عن أعدادٍ كبيرةٍ من الأسرى المسلمين الذين معهم[4]، وهذا يرجعُ إلى تشديدِ الحــصارِ مــن قبــلِ المسلمين عليهم أولاً، وثانياً لو قاموا بقتل هؤلاء الأسرى لهــاجمتْهم جيــوشُ المــسلمين ودمــروا مدينتهم، وقتلوا وأسروا وسبَوا كلَّ سكان المدينة، كذلك أثناء الحصار إذا قتــل شــخص يمكــن أن يدفن، لكن المجموعة الكبيرة من الأسرى إذا قتلت ستظهر رائحة الجثث في المدينة ويعمُّ المــرضُ والجراثيم وخاصةً أن مرضَ الطاعونِ يأتي من كثرةِ الجثثِ وتعفُّنها وتكاثُرِ الفئرانِ حاملةِ المــرضِ حولها، لهذا المصلحةُ العامةُ إطلاقُهم من الأسر.

---

(1) تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص712 .

(2) ابن تغري بردي: النجوم، ج8، ص5–11؛ العسقلاني: الفضل المأثور، ص178.

(3) ابن إياس: جواهر السلوك، ص145.

(4) الأعلاق الخطيرة، ج1، ق 2، ص390.

إن كثرةَ الحروب والغزواتِ والغاراتِ في عهدِ الدولتين الأيوبية والمملوكية واهتمامِ هـاتيْنِ الدولتين بالأسرى دعتْ إلى استحداثِ منصبٍ جديدٍ في الدولة هو ناظِرُ الأسرى، ومهمتُـه إعـدادُ الكشوفِ بأسماءِ الأسرى المسلمينَ عند الأعداءِ كذلك إعدادُ قوائمَ بأسرهم، ومتابعـةِ أحـوالهم، أولاً بأولَ حتى يتمَّ مفاداتهم، وهذا المنصب نظير ما يعرفُ في وقتنا الحالي بوزير الأسرى[1].

وقد تولى هذا المنصبَ حسام الدين ابن قاضي القضاة الحسن بن أحمد الـرازي الدمـشقي الحنفي، كان فقيهاً فاضلاً عمل في نظر الأسرى توفي سنة (672هـ = 1273م) [2]. وبهاء الـدين بن محبوب بن عبد الله الحسين بن إسماعيل، الذي كان مشهوراً بالأمانـة والـدين، عـاقلاً حـسن المحاضرة والكتابة، تولى نظر الأسرى، توفي سنة (677 هـ= 1278م) [3].
وعلاء الدين بن الصايغ محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق عن خليل أبو المعالي، أخو قاضي القضاة عز الدين ابن الصايغ، كان أميناً وافر الديانة، مات في مرض أصابه سنة (682هـ = 1273م) [4].

وأبو الفويرة جمال الدين أبو زكريا يحيى ابن العلامة بدر الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الـرحمن بن حافظ السلمي، وصف بأنه حسن الشكل مليح البزة من أهل الثورة وكان شاهد الخزانـة الـسلطانية وناظر الأسرى مولده في سنة (666 هـ = 1268م) ووفاته سنة (737 هـ = 1337م) [5].
وابن الزكي الشيخ الأصيل الخير بهاء الدين أبو المحاسن يوسف محمد بن يوسف بن أحمـد بـن علي القرشي، باشر نظر الأسرى، ودفن في سنة (739 هـ = 1339م) [6]، والـصدر الأصـيل عماد الدين محمد بن أحمد بن محمد بن هبة الله ابن الشيرازي الدمشقي تولى نظـراً للأسـرى ثـم الحسبة تولى سنة (739هـ = 1339م) [7].

يتضحُ أن مَن كان يتولى هذا المنصبُ يختار من عائلات لها مكانةٌ في الدولـة، ويتحلَّـون بصفاتٍ كريمةٍ وأخلاق حميدةٍ، كذلك عمل ناظر الأسرى على صرف أموال الوقف التي توقف من أملاك لهم على تدبيرها لفكاكهم[8].

---

(1) حول الأعمال الموكلة لناظر الأسرى، ينظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ج13، ص77؛أبو رافـع، الوفيـات، ج9، ص38؛ الصفدي: الوافي والوفيات، ج5، ص379؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج3، ص237.
(2) أبو رافع: الوفيات، ج1، ص40.
(3) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج5، ص379.
(4) م.ن، ج1، ص405.
(5) أبو رافع: الوفيات، ج1، ص38.
(6) م.ن، ج1، ص400؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج3، ص237.
(7) م.ن، ج1، ص402.
(8) الذهبي: تاريخ الإسلام، جذ3، ص77؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج3، ص237.

الفصل الثالث

جهود المسلمين الشعبية في تحرير الأسرى

المبحث الأول: جهود العلماء المسلمين في تحرير الأسرى

المبحث الثاني: جهود أثرياء المسلمين في تحرير الأسرى

المبحث الثالث: جهود النساء في تحرير الأسرى

المبحث الأول

جهود العلماء المسلمين في تحرير الأسرى

أولاً: جهود العلماء المسلمين في تحرير الأسرى:

لم تقتصر مهمة تحرير الأسرى على الحكام وما قاموا به من جهود سياسية وعسكرية، وإنما أسهم في تحقيق هذا الهدف النبيل علماء المسلمين وأثرياؤهم المحسنون في مختلف العصور، ويلاحظ ذلك بالرغم من قلة الإشارات والمعلومات التي سجلتها مصادرنا الإسلامية.

ومن هؤلاء العلماء الإمام الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو أبو عمرو الأوزاعي، -رضي الله عنه[1]- وصف بأنه واحد زمانه وإمام عصره وأوانه كان ثقةً مأموناً صادقاً فاضلاً خيّراً، كثير الفقه والحديث وقيل أجاب عن سبعين ألف مسألة فقهية[2]. ولد سنة (88هـ = 707 م) وكان ممن لا يخاف في الله لومة لائم مقوالاً للحق لا يخاف سطوةِ العظام، فقد قيل إنه وقعَ في يد الروم الألوف من الأسرى، فراسل ملك الروم في طلب الفداء بهم من الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، والخليفة يأبى فداءهم حتى يتم تثبيت أركان دولته، فكتب الأوزاعي إلى الخليفة أبي جعفر المنصور كتاباً، أحببت أن أنقله كما هو:

(قال فيه: أما بعد، فإن الله تعالى قد استرعاك أمر هذه الأمة لتكون فيها بالقسط قائماً، ونبيه محمد ﷺ في خفض الجناح والرأفة متشبهاً، وأسأل الله تعالى أن يسكن على أمير المؤمنين دهماء [3] هذه الأمة ويرزقه رحمتها، فإن سابحة[4] المشركين غلبت قبل عام بلاد المسلمين ووطئت حريم المسلمين وسلبوا الذراري من الحصون والمعاقل. وكان ذلك بذنوب العباد، وما أن عفا الله عنهم لا يلقون لهم ناصراً ولا عنهم مدافعاً، كاشفات عن رؤوسهن وأقدامهن، فكان ذلك على مرأى ومسمع و حدث ينظر الله إلى خلقه وإعراضهم عنهم، فليتق الله أمير المؤمنين وليتبع بالمفاداة بهم من الله سبيلاً وليخرج من حاجة الله تعالى فإن الله تعالى قال لنبيه ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً، والله يا أمير

---

(1) هو أمام أهل الشام سكن بيروت، روى عن عطاء وابن جبرين، وروى عنه أبو حنيفة وقتادة والزهري، كان إمام أهل زمانه، مات عمره 50 سنة، الشيرازي، إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي أبو إسحاق: طبقات الفقهاء، تحقيق: خليل ، دار العلم، بيروت، جزء واحد،ج1، ص71، أبو الحسين: طبقات الحنابلة، جزءان، دار المعرفة، بيروت، دون ط، تحقيق: محمد حامد الفقهي، ج1، ص321، الذهبي: طبقات المحدثين، ج1، ص55.

(2) الشيرازي: طبقات الفقهاء، ج1، ص71.

(3) الدهماء: هي شدة السواد وقصد أن يسكن ملكه ويثبت حكمه، ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص209.

(4) سابحة: أي جريان المشركين وسرعة عدائهم على بلاد المسلمين، يقال الفلك سابحة، أي تجري في دورانها، ابن منظور: لسان العرب، ج2، ص470.

المؤمنين ما لهم يومئذ في موقوف ولا ذمة تؤدي خراجاً إلا خاصة أموالهم وقد بلغني عن رسـول الله ﷺ أنه قال: إني لأسمع بكاء الصبي خلفي في الصلاة فأتجوز فيها مخافة أن تفتني به أمه، فكيف بتخليهم يا أمير المؤمنين في أيدي عدوهم يمتهنوهم ويتكشفون منهم مالا نستحله نحـن إلا بنكـاح، وأنت راعي الله والله تعالى فوقك ومستوف منك يوم توضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلـم نفس شيئاً وإن كان مثقال من حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين)[1].

فلما وصلَ إلى الخليفةِ الكتابُ وقرأه أخذ منديلاً فوضعه على وجهه وبكى وانتحـبَ حتـى أبكى الحاضرين في مجلسه، وأمر بالفداء[2].

توفي الأوزاعي سنة (157 هـ= 774م) [3]. وهذه أسطر فيها أروع العبر في الدفاع عن حرية الأسرى المسلمين وفكاكهم.

لم يكن الإمام الأوزاعي وحده من دعا ونصحَ الحكامَ لتحرير الأسرى، فقد قامَ يعقوب بـن داود بهذا العمل فقد كان يرفع النصائحَ إلى الخليفة العباسي المهدي فيوصيه على أمور في دولته لا يعلمها الأمير ويحسِّنُ له أمرَ تحصينِ الثغورِ وبناء الحصون وتقويةِ الغزاة، وتزويجِ العزابِ وفكاك الأسرى والمحبوسين والقضاء عن دين الغارمين والصدقة على المتعففين ولهذه الأمـور العظيمـة اتخذه الخليفة كأخ ناصح له وقد توفي سنة (192 هـ= 808م) [4]

ولا ننسى القاضي علي بن عيسى الوزير الذي قال ناصحاً للخليفة العباسي في فداء أسـرى المسلمين والمبادلة بمنديل زُعم أن المسيح عيسى عليه السلام مسح به. (إن خلاصَ المسلمين مـن الأسر ومن الضر والضنك الذي هم فيه أولى من حفظ هذا المنديل) [5].

وأيضاً حينما نصح نظام الملك الوزير السلطان تاج الملك السلجوقيَّ عندما سأله عن أمواله أين يصرفُها فقال له إنه ينفق أمواله في كلِّ سنةٍ على أرباب المـدارسِ والربطـاتِ والمـرابطين والمأسورين ثلاثمائة ألف دينار وكانت هذه الأموال تعمر جيشاً يصل إلى حدود القسطنطينية، فقـال للسلطان يصل ما يفعله: (إن الله أعطاني ما لم يعطه لأحد من خلقه أفلا نعوضه عن ذلك في حملة دينه وحفظة كتابه، ثم إنك تنفق على الجيوش المحاربة في كل سنة أضعاف هذا المال مع أن أقواهم وأرماهم لا تبلغ رميته ميلاً ولا يضرب بسيفه إلا ما قرب منه، وأنا أجيش لك بهـذا المـال جيـشاَ

---

(1) أبو فرج الأصفهاني: حلية الأولياء، ج6، ص135 – 137.

(2) م.ن، ج6، ص138.

(3) الشيرازي: طبقات الفقهاء، ج1، ص71؛أبو الحسين: طبقات الحنابلة، ج7، ص321؛الذهبي: طبقات المحـدثين، ج1، ص55؛السيوطي: طبقات الحفاظ ، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1403 هـ ، ج1، ص85-86.

(4) ابن الأثير: الكامل، ج5، ص230.

(5) م.ن، ج3، ص488.

تصل من الدعاء سهامه إلى العرش لا يحجبها شيء عن الله تعالى، فبكى السلطان وقال: يـا أبـت استكثر من الجيش والأموال المبذولة له) [1].

والعالم ابن شبويه[2] أبو الحسن أحمد بن محمد بن ثابت بن عثمان الخزاعـي المـروزي، الذي وصف بالقدوة المحدث شيخ الإسلام، وفضله البعض على الإمام أحمد بـن حنبـل لاهتمامـه بالسعي لفكاك الأسرى المسلمين توفي سـنة (239هــ= 853م) وعمـره سـتون سـنة ودفـن بطرطوس[3].

وأحمد بن إسحاق[4] الذي وصف بالإمام الزاهد العابد المجاهد فارس الإسلام، قـال عنـه الإمـام البخاري – رضي الله عنه– (ما نعلم في الإسلام مثله) عفيف النفس أهداه الخليفة العباسي المأمون ثلاثين ألف دينار، وعشرة من الخيل وجارية فلم يقبلها، توفي سنة (242 هـ = 856م). [5]

كان يسافر بنفسه لشراء الأسرى من بلاد الأعداء، وما يدلل على ذلك قول إبراهيم بن شاس عنه: (كتب إليّ أحمد ابن إسحاق السرماري للخروج إلى بلاد الغزية[6] لشراء الأسرى، فكتبت له، وخرجنا معاً، وأقمنا في الغزية، إلى أن فرغنا من شراء الأسرى) [7].

وهو من العلماءِ العاملين بدينهم العبّاد بالإضافة إلى شجاعته في الحـروب والقتـال، فبلـغ وزن عموده الذي يقاتل به ثمانية عشر رطلاً، ولما شاخ جعله اثني عشر رطلاً[8].

---

(1) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5، ص287.

(2) سمع من عبد الله بن المبارك، وسفيان بن عينية، والفضل بن موسى، وأبي سلمه، وطبقتهم، وحدث عنـه أبـو داود، وأبو زرعه الدمشقي، وأحمد بن حيثمة، وجماعة، وثقه النسائي، الذهبي: سير، ج11، ص7–8

(3) الحسني أبو المحاسن (ت 765هـ= 1364م): ذيل تذكرة الحفاظ، تحقيق: حسام الـدين القدسـي، دار الكتـب العلمية، بيروت، دون ط، ج2، ص464.

(4) من أهل سرماري من قرب بخاري، سمع من يصلي بن عبيد، وعثمان بن عمر بـن فـارس وأبـي عاصـم، وطبقتهم، حدث عنه ابنه صفوان، وأبو عبد الله الإمام البخاري في صحيحة وعده من الثقافات، يعد ألف فارس، الذهبي: سير، ج13، ص39؛ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج1، ص14، دار الفكـر، بيـروت، 1404 هـ – 1984م، ط1.

(5) الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ج13، ص40

(6) الغزية: تقع غرب بلاد الهند تعد من بلاد ماوراء نهر جيجون . ينظر خارطـة ابـن حوقـل صـورة الأرض ص17. حوقل، أبي القاسم بن حوقل النصيبي(ت380هـ/990م) : صورة الأرض، دار الكتـاب الإسـلامي، القاهرة، ص381.

(7) الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج13، ص38 .

(8) م.ن، ص39.

وقد أخرج سيفه يوماً فقال: (أعلم يقيناً أني قتلتُ به ألفَ تركيٍّ، وإن عشتُ قتلتُ بـــه ألفـــاً آخرين، ولولا أن يكون بدعةً لأمرت أن يدفن معي) [(1)].

وعد من العلماء العاملين لسفره بنفسه لفكاك الأسرى وهذا يعدّ تطبيقاً لشريعة الله سبحانه وتعالى.

والعالم أبو حفص عمرو بن سلم النيسابوري[(2)]، توفي سنة (264 هــ= 878 م) عُدَّ نـــور الإسلام في وقته من شيوخ الصوفية بخراسان، وله مواقف مشهورة في شراء الأســـرى وفكـــاكهم، فقيل إنه أنقذ في يوم واحد اثني عشر أسيرا.

والإمام أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل من عطاء، وقد عرف بتأدبه واعتداله وصـــفاء سريرته وعلانيته، وكان يقول: (من ألزم نفسه آداب السنة غمر الله قلبه بنور المعرفـــة ولا مقـــام أشرف من متابعة الحبيب في أوامره وأفعاله وأخلاقه والتأدب بآدابه قولاً وفعلاً ونية وعقداً) [(3)]

وقال عنه أبو نعيم الأصفهاني يمدحه ويجود بخلقه: هو العامل الظريف الكامـــل النظيـــف مودع القرآن شعاره وظاهر البيان دثاره، له اللسان المبسوط والبيان بالحق مربوط، أوقـــف علـــى مراتب المأسورين و مقامات أهل البلاد من المأخوذين، فتمنى ما يحصون به من الصفاء والاعتلاء فعمل بما تمنى) [(4)].توفي سنة (422 هــ = 1031م) [(5)].

وقد دفع ألف دينار لشراء الأسرى المسلمين من بلاد الديلم[(6)]، فلما أمسى لم يكـــن لـــه مـــا يأكله[(7)]. إن وجود مثل هذا العالم الجليل الذي بذل ماله في تحرير الأسرى المسلمين من بلاد الديلم دون أن يجد ما يأكله، لحقٌّ على كلِّ مسلمٍ أن يفتخر به ويقتديَ به في وقتنا الحاضر.

وأيضاً محمد بن الحسن بن أيوب توفي سنة (296 هــ = 909م) الذي أوقف أملاكه على الفقراء والأسرى وعده البعض من كبار المزكين في أهل زمانه[(8)].

---

(1) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج4، ص354.

(2) روي عن الفقيه حفص بن عبد الرحمن، ومن تلامذته أبو عثمان بن إسماعيل الحيدي الزاهي، وأبو جعفر أحمد بن حمدان وآخرون، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج5، ص79.

(3) كان له كل يوم ختمه للمصحف الشريف وفي رمضان له كل يوم وليلة ثلاث خاتمات، وكان يقول: قرنت ثلاث أشياء بثلاث أشياء الفتنة بالمنية والمحنة بالاختيار، وقرنت البلوى بالدعاء، الأصفهاني: حلية الأوليـــاء، ج10، ص302

(4) حلية الأولياء، ج10، ص303.

(5) م.ن، ج10، ص304.

(6) الديلم: عبارة عن عدة مدن يحدها من الجنوب قزوين و أذربيجان والري، ومن الشرق طبرستان، ومن الـــشمال بحر الخزر، ومن الشرق طبرستان، ومن الغرب بلاد الران. ابن حوقل: صورة الأرض، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص318.

(7) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج5، ص79

(8) أبو يعلي: الخليل بن عبد الله بن أحمد بن الحنبلي القز ويني: الإرشاد في معرفة علماء الحديث، تحقيق: محمـــد سعيد عمر إدريس،3ج، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1409هــ/ 1989م ، ج2، ص715.

والإمام العالم أبو عبد الرحمن النسائي أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر، مات سنة (303 هـ = 915م) بالرملة، كان مشهوداً له بالتقدم والإمامة مجتهداً في العبادة بالليل والنهار والمواظبة على الحج والجهاد[1].
خرج إلى الفداء مع والي مصر، فوصف من شهامته وإقامته السنن المأثورة في فداء الأسرى المسلمين، ولم يزل هذا دأبه حتى استشهد –رضي الله عنه– بدمشق[2].

وهناك أئمة لم يكن يمتلكون أموالاً وعقارات أو دوراً لوقفها على الأسرى والمحتاجين، فوجدناهم أوقفوا كتبهم لهذا الشأن، منهم الإمام مسعود بن ناصر بن أبي زيد عبد الله بن أحمد أبو سعيد السجْزي[3] عد من أجود وأحسن المحدثين في نيسابور مات سنة (477هـ= 1084م) وصلى عليه إمام الحرمين، وقد أوقف كتباً ثمينة نفيسة في مسجد عقيل في نيسابور، وكان يعتني بطلبة العلم وينفق عليهم ما يدخره من أموال[4].

والإمام أبو المعالي الرشيدي مجدود بن محمد بن محمود بن عبد الله بن القاسم الرشيدي الجوهري، المتولي من أهل نيسابور[5] وصف بأنه من أهل الفضل والعلم، عارف بالأدب والفلسفة والعلوم المهجورة وقد اشترى كتباً كثيرة وأوقفها على أهل الخير والمغرمين بالجامع المنيع في نيسابور، كان ميلاده سنة (471 هـ = 1084م) ووفاته سنة (539 هـ= 1144م) رحمه الله[6].

---

(1) روي القراءة عن أبي شعيب السوسي، وأحمد بن نصر النيسابوري، والقراءة بالحروف رواها عنه محمد بن أحمد الصحاوي، الحسن بن رشيق المعدل، سمعه أبو بكر محمد بن موسى المصري، سيبويه، وزائدة بن أبي الرقاد.ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ج1، ص26؛ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج1، ص345؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج5، ص319.

(2) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج6، ص345؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج5، ص319.

(3) سمع من علي بن بشري وطائفة بسجستان ومحمد بن عبد الرحمن الدباس ومنصور بن محمد الأزدي وأبي حسان المزكي وعمر بن مسرور وطبقتهم نيسابور ومن بغداد أبي أحمد الخلال وبشري الفاتني وأبي طالب غيلان ومن أبي بكر ريدة بأصبهان، وجمع فأوعى وصنع الأبواب، حدث عنه محمد الصحابي المروزي، وعبد الواحد الطوسي، وأبو نصر الغازي، ومحمد الدقاق، وأبو الأسعد القشيري، وسمع منه شيوخه مثل الصوري والخطيب، عند وفاته إمام الحرمين أبو المعالي، الذهبي: سير أعلام، ج18، ص535.

(4) الذهبي: سير، ج18، ص535 – 536.

(5) سمع أباه أبو عبد الله وأبا عمر عثمان بن محمد بن عبيد الله، المحمي وأبا بكر الشيرازي، وغيرهم...السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور: التحبير في المعجم الكبير، تحقيق: منيرة ناجي سالم، ج2، ص329.

(6) السمعاني: التحبير في المعجم الكبير، ج2، ص329.

ومثله الإمام ابن ناصر أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر السلامي البغدادي مولده سنة (467 هـ = 1075م) [1] وقد وصف بالحافظ الثقة كثير الصلاة والتلاوة وكـان متقناً اللغة عارفاً بالمتون والأسانيد فقيراً متعففاً نظيفاً زاهداً أوقف كتبه وثيابه لأوجه الخير والمـرابطين والأسرى توفي سنة (550 هـ = 1155م). [2]

ومن الذين عنوا بالأسرى الإمام الشيخ الواعظ شيخ الحنابلة بدمشق أبو القاسم عبد الوهـاب ابن أبي الفرج عبد الواحد بن محمد بن علي الأنصاري الشيرازي الأصل الدمشقي، [3] وصف بأنه موفور العلم حسن الوعظ قوي الدين ذو لسن وفصاحة، أوقف المدرسة الكبرى شمالي جامع دمشق للمأسورين، كان يوم دفنه يوماً مشهوداً من كثرة المشيعين له والباكين عليه مات سنة (536 هـ= 1142م) [4].

والشيخ المفتي الفقيه الإمام كمال الدين إسحاق بن أحمد بن عثمان المغربي[5] أحد مـشايخ الشافعية وأعيانهم وصف بأنه كان إماماً عالماً فاضلاً زاهداً متواضعاً كثير العبادة مـشهوراً بـالعلم والعمل وكان كبير القدر في الخير والصلاح كريم لنفس كثير الصدقة أوقف مدرسـة لـه بدمـشق وثلث جامكتيه وموارد كثيرة على الفقراء وطلاب العلم والمأسورين، وقد عرضت عليـه مناصـب فامتنع وقال: (في البلد من يقوم مقامي)، توفي سنة (650 هـ = 1252م) [6].

---

(1) أبوه المحدث ناصر توفي وهو صغير قرباه جده أبو حكيم، سمع في أبي القاسم علي بن أحمد بن البصري وأبي طاهر بن أبي صقر الأنبا ري، وعاصم بن الحسن ومالك بن البانياسي، وأبي الغنـائم بـن عثمـان ورزق الله التميمي وطراد الزينبي وابن طلحة النعال ونصر بن البطر، وأحمد اليوسفي، جمع الأصول في الفقه، جازه ابن مأكولا روى عنه العبدري والسلفي السمعاني والعطار، وابن عساكر وابن الجوزي والكندي، وعرف أئمة اللغة أيضاً، الذهبي: سير، ج20،ص 264، السيوطي: طبقات الحفاظ، ج1، ص467.

(2) الذهبي: سير، ج20، ص264، 268؛ السيوطي: طبقات الحفاظ، ج1، ص467.

(3) أثنى عليه السلفي ووثقه وسمع من أبيه وابن لقلانسي، حدث عن أبي طالب بن يوسف، وصار له القبـول فـي الوعظ- المذهبي: سير، ج20، ص104.

(4) الذهبي: سير، ج20، ص105

(5) أخذ عن ابن عساكر وابن الصلاح ، وقد أخذ عنه جماعة منهم محي الدين النووي.

(6) أبي شهبه، أبو بكر أحمد بن محمد بن عمرو بن شهبه القاضي: طبقات الشافعية، تحقيق: عبد الحافظ عبد العليم خان، 4 ج، عالم الكتب بيروت، ط 6، ص1407 هـ ، ج2، ص102.

والعلامة المقرئ محمد بن غصن أبو عبد الله الأنصاري القصوي، وصف بأنه عالم أهـل زمانه بالقراءات مشهور بالكرامات، وقد فك في يوم واحد مائة وخمسين أسيراً من أيـدي الفرنجـة بأمواله، غير ما أوقفه في موارد للأسرى، توفى سنة (722 هـ = 1322م) [1].

والعالم محمد بن علي بن أحمد بن عبد الواحد المقدسي شمس الدين بن الفخر[2] ولـد عـام (652 هـ= 1254م) ووصف أنه ذو شهامة وعنده مروءة وشجاعة قوي النفس كريم متعبـد كـان يسافر بنفسه لفكاك أسرى المسلمين وقد سافر إلى العراق لفكاك أسرى مسلمين توفي سـنة (726 هـ= 1326م) [3].

وقاضي القضاة جلال الدين أبو العباس أحمد بن قاضي القضاة حـسام الـدين بـن أحمـد الرازي الحنفي الدمشقي[4]، وصف بأنه كريم النفس كثير الصدقات على أوجه الخير والبر وأوقـف مدرسة في دمشق للمأسورين، توفي سنة (741 هـ = 1340م) وقد انحنى من الكبر ودفـن فـي دمشق[5].

---

(1) السخاوي، شمس الدين: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، تحقيق: عزيـز الله العطـاردي، دار الكتـب العلمية، بيروت، 1993م، ط 1، 2ج ، ج2، ص559-560.

(2) سمع من إبراهيم من خليل وأحمد بن عبد الدائم وعلي النجيب والحراني ويوسف الخطيب، إجـازة فـضل الله ابن الجيلي ومحمد نصر بن الحصري وعيسى بن سلامة والمنذر والعطار وآخـرون، سـمع منـه المقرائـي والبرازي والنحيلي والقطب الحلبي، تولى دار الحديث، أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن علـي: الـدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: د. حمد عبد المعيد خان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند، 1972 هـ ،ط2، ج5، ص307.

(3) أبي الفضل: الدرر الكامنة، ج5، ص307.

(4) سمع من البخاري وحدث عنه، ودرس بعدة مدارس في دمشق، وتولى القضاء بها، مولده سنة (651 هـ = 1253م) .أبي رافع السلامي: الوفيات، دار الأفاق الجديـدة، تحقيـق: عـادل نـويهض، بيـروت، 2ج، ط2، 1978م، ج1، ص493.

(5) أبي رافع: الوفيات، ج1، ص493.

المبحث الثاني

جهود أثرياء المسلمون في تحرير الأسرى

اهتم المسلمون بشتى فئاتهم الاجتماعية بالأسرى وتحريرهم من أيدي الأعداء، فمنهم من اهتم بشرائهم وتحريرهم بالسفر بنفسه لبلاد الأعداء، ومنهم من بذل في ذلك أموالاً لفكاكهم، ومنهم من أوقف في هذا السبيل إقطاعات ومساجد ومدارس وكتباً من أجل هذا الغرض.

وقد عني المسلمون بالأسرى المغاربة المنقطعين عن بلادهم، وهذا ما ذكره ابن جبير[1] حيث قال: (إن الله منَّ لهم بدمشق رجلين من مياسير التجار وكبرائهم وأغنيائهم وافتك الأسرى المغربيين بأموالهم وأموال ذوي الوصايا فهما ينفقان أموالهما ويبذلان اجتهادهما في تخليص عباد الله المسلمين من أيدي أعداء الله الكافرين، والله لا يضيع أجر المحسنين) [2].

من هذا السياق نستنتج أن الرحالة كانوا يعتقدون أن قضية تحرير الأسرى المسلمين قضية عقائدية بحتة من خلال قوله، (أنَّ الله مَنَّ لهم)، أي أن الله سخر لهم من يفكهم، لأن فكاكهم أمر عظيم بخلاص عبد من عباد الله، وأعظم من ذلك أنهم منقطعون لا أهل لهم في البلاد، ولا يوجد معيل لهم، وكذلك يوضح لنا نص ابن جبير أن قضية الأسرى المسلمين قضية تشغل رأي الناس وتفكيرهم، وأن ما يقدم من الناس على هذا العمل يكون مشكوراً من الله تعالى، وأيضاً قضية أسرى المغاربة اهتم بها السلطان نور الدين محمود وذلك للغرض نفسه[3].

وزياد مولي ابن عياش وهو الفقيه زياد ابن أبي زياد[4] من مشايخ دمشق وصف بأنه كان عبداً صالحاً متعبداً قانتاً لله، ذكر عنه مالك بن أنس أن عمر بن العزيز رضي الله عنه كان إذا دخل عليه أكرمه، وبكي له حاله.

وعندما أسر لم يستطع فكاك نفسه من الأسر، فتسارع الناس بأموالهم لفكاكه، وقال مالك: (لقد أعانه الناس على فكاك نفسه وتسارعوا في ذلك ، ففضل مال كثير فرده زياد إليهم بالحصص وكتبهم عنده، وما زال يدعو لهم حتى مات) [5].

---

(1) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ج1، ص124.

(2) م.ن، ج1، ص124.

(3) م.ن، ح16، ص214-215.

(4) حدث عن مولاه وأنس وأبي بحرية عبد الله بن قيس ونافع بن جبير بن مطعم وعراك بن مالك وجماعة، روى عنه يزيد بن عبد الله بن الهاد وعبد الله بن سعيد ابن أبي هند، وابن إسحاق ومالك بن أنس وآخرون، وثقة النسائي وغيره، له في الكتب ثلاث أحاديث، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج5، ص458.

(5) الذهبي: سير، ج5، ص458- 459.

وهذا يدل على أن الناس كانت تتسارع في فك الأسرى غير المقتدرين على فكاك أنفسهم، وقد شمل حديث مالك النساء أيضاً في ذلك حينما قال أعانه الناس يعني الصنفين، وأيضاً ما لفكاك الأسير من أجر عند الله، وكذلك للأسير حينما قال وما زال يدعو لهم حتى مات، لأنهم أعانوه على تحرير نفسه من الأسر.

وهذا يؤكد على وجود جهود شعبية من عامة الناس البسطاء الذين يعطون القليل من مالهم، حتى فاض المال لفكاك أسير واحد، فلو تعاون الناس عامة بشيء بسيط في زمننا هذا، لأمكننا فكاك كثير من الأسرى من سجون الأعداء.

كذلك الأمر مع سكان جزيرة صقلية الذين عنوا بالأسرى وفكاكهم، فذكر ابن جبير أن المسلمين في جزيرة صقلية، كان شغلهم الشاغل هو فكاك الأسرى المسلمين وخاصة من يقطنون في الجزيرة، وعد ابن جبير هذا من عظيم صنع الله عز وجل وعنايته بهم[1].

ومن الأثرياء المحسنين من قام بحبس أموال الوقف من مبانٍ وخانات على فكاك الأسرى الفقراء المحرومين مثل ما قام به التاجر المسرور[2] حينما أوقف خان مسرور وقيل فندق مسرور، وحبسه على فكاك الأسرى، وهو عبارة عن تسعة وتسعين بيتاً، ودخله عظيم، جميعه يصرف على فدائهم، وله بر كثير في الشام ومصر جعل دخله على هذا الوجه[3].

ومنهم أبو العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي وصف بالشجاعة كان عاقلاً مهيباً جواداً كريماً، وقد فك أسرى بألفي ألف درهم وتصدق بأموال كثيرة ما يقارب أربعين ألف درهم على المحتاجين والمأسورين[4].

وأيضاً من الأثرياء أبو سعد العلاء بن حسن بن وهب البغدادي كان نصرانياً فأسلم على يد المقتدي بالله العباسي، وصف أنه أفصح أهل زمانه برع بالنظم والنثر وفيه مكارم وأدب وعقل وكان كثير الصدقات وقد أوقف أملاكه على الأسرى والمحتاجين في بغداد توفي سنة (497هـ = 1104م)[5].

---

(1) رحلة ابن جبر، ج1، ص124.

(2) مسرور هو من خدام الدولة المصرية زمن الأيوبيين واختص بخدمة السلطان صلاح الدين رحمه الله وكان مقدماً عنده، وبعد وفاته لزم داره إلى أن مات في ولاية الكامل- المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج2، ص247.

(3) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج2، ص247-248.

(4) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج6، ص68.

(5) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج19، ص158.

ومجاهد الدين كان خادماً رومياً أبيض اللون للسلطان مسعود بن غياث الدين ملكشاه السلجوقي، ووصف أنه صاحب همة في عمل المصالح الجليلة وعمارة البلاد أوسع الصدر والصبر في البذول والاتفاقات وبني في بغداد رباطاً أوقف عليه وقفاً جيداً جعل دخله للمرابطين والمأسورين، توفي سنة (540 هـ = 1145م) (1).

وأيضاً نصر الدين بن منصور الحراني عرف بابن العطار، كان تاجراً كبير الشأن عظيم الثروة، ووصف أنه كان قارئاً للقرآن ، يكسو العراة ويفك الأسرى، ويسمع الحديث، ويزور الصالحين، ويعتني بالفقراء والمغرومين، توفي سنة (550 هـ = 1155م) (2).

ومن أعيان الدولة بهاء الدين قراقوش خادم أسد الدين شيركوه، وهو الذي دبر أمور الدولة لصلاح الدين الأيوبي، وكان صلاح الدين يعتمد عليه ولا يخالف رأيه، وهو الذي بنى سور القاهرة وبنى قلعة الجبل وبني القناطر التي بالجيزة على طريق الأهرامات وعمر رباطاً بظاهر القاهرة وخاناً للسبيل وله وقف كبير يصرف على أوجه الخير وفكاك الأسرى، فقد أسر يوماً فافتك نفسه بعشرة آلاف دينار، ودفن بالقرافة في سفح المقطم رحمه الله سنة (577 هـ = 1181م) (3).

ومن الشخصيات التي لعبت دوراً هاماً أبو الفضل هبة بن عبد القادر بن الموصول، كان حسن السيرة جواداً، كثير التصدق على الناس، وقيل: إنه يخرج في كل سنة صدقة دبراً ثلاثة آلاف دينار من ماله سوى ما يطلقه لمن يسأله معونة من الوفود والضيوف وغير ما يطلقه من مال في افتكاك الأسرى والمسلمين من الفرنجة، توفي سنة (591 هـ= 1195م) (4)

وممن اهتموا بالإنفاق على تحرير الأسرى القاضي الفاضل الحسن بن أحمد بن الفرج اللخمي الشامي الأصل العسقلاني المولد المصري الدار(5) الكاتب صاحب ديوان الإنشاء الصلاحي،

---

(1) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج7، ص142

(2) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج2، ص168.

(3) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج4، ص92، أبو عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي: الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار النشر سمير محمد كتب خانة، كراتشي، ط 1، 1407 هـ ، 1ج، ج7، ص444.

(4) ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، ج1، ص84.

(5) ولد سنة (529 هـ = 1135م) ولي أبوه قضاء بيسان لذلك هو بيساني الأصل له مئة مجلد، سمع السلفي، وأبا محمد العثماني، وأبا طاهر بن عوف، وأبا القاسم بن عساكر، وغيرهن، كان متقللاً في مطعمه وملبسه، لباسه البياض، يكثر تشيع الجنائز وعيادة المرضى وزيارة القبور، ضعيف البنية رقيق الصورة له حدبة يغطيها بطيلسان، وزيرا السلطان صلاح الدين الأيوبي، الذهبي: اليسر: ج21، ص338، الصفدي: الوافي بالوفيات، ج6، ص126؛ للمزيد ينظر: شكيل، هادية دجاني: القاضي الفاضل، عبد الرحيم البيساني العسقلاني ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط1، بيروت،1993م، ص25.

قيل عنه لم يبق عمل صالح إلا قدمه، ولا عهد بالجنة إلا أحكمه، ولا عقد بر إلا أبرمه، فإن صناعته في الرقاب متجاوزة الحساب، ولا سيما أوقافه لفكاك الأسرى[1].

ومن أوقافه على فكاك الأسرى دار التمر[2]، بمصر ولها دخل عظيم يجمعه ويشتري به الأسرى من الفرنجة، ويحضر بنفسه ليتفقدهم ويلبسهم، فيدعون له، ويخرجون وهم يرددون يا الله يا رحمن يا رحيم ارحم القاضي الفاضل عبد الرحيم[3] وكان للقاضي الفاضل خان يؤجر بمبلغ كبير، فلما عزم على الحج مر به ووقف عنده وقال: (اللهم إنك تعلم أن هذا الخان ليس شيء أحب إليّ منه، أو قيل أعز عليّ منه، اللهم فاشهد أني قد أوقفته على فكاك الأسرى من بلاد الفرنجة) [4]. توفي سنة (596هـ = 1200م) وكان قد ولد سنة (529 هـ = 1135م) [5].وبلغ دخله في السنة خمسين ألف دينار سوى متاجر الهند والمغرب وغيرها[6]

وأيضاً جمال الدين أبو جعفر محمد بن علي أبي منصور الأصفهاني، وصف أنه كان سخياً كثيراً بذله للمال، رحيماً بالخلق متعاطفاً، عادلاً للناس، ومن أعماله الحسنة أنه كان يشتري الأسرى كل سنة بعشرة آلاف دينار، هذا من الشام فحسب، سوى ما يشتريه من مدن أخرى، توفي سنة (658هـ= 1260م) [7].

وكذلك من بين من اهتم بالأسرى علاء الدين الحاج طيبوس، صهر السلطان الملك الظاهر المملوكي، وعد من أصحاب النفوذ كان ديّناً كثير الصدقات، له خان بدمشق جعل إيراده على فكاك الأسرى، وأوصى عند موته بثلاثمائة ألف درهم تصرف على الجند الضعفاء بالشام ومصر، وفكاك الأسرى توفي سنة (690 هـ = 1291م) [8].

---

(1) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج29، ص338، 340؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج6، ص126.

(2) سميت بذلك لشهرتها بصناعة التمر، مشتملة على مخازن وأخصاص وحوانيت، وهي اثني عشر حانوتاً، وثمانية وخمسون مخزناً، وست قاعات ومساحة، وخمسة وسبعون منزلاً، وموردها في كل شهر ألف ومائة وست وثلاثون درهم. المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج2، ص231.

(3) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج2، ص231.

(4) م.ن، ج2، ص232.

(5) الذهبي: سير، ج21، ص340.

(6) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج6، ص126.

(7) ابن الأثير: الكامل، ج5، ص93- 94.

(8) العيني: عقد الجمان، ج1، ص217.

ومن اهتموا أيضاً بهم حسام الدين أبو سعيد طرنطاي بن عبد الله المنصور عظيم النفوذ سديد الرأي، مفرط الذكاء، غزير العقل، له أوقاف على الأسرى تقارب ستمائة ألف دينار تصرف على فكاكهم، توفى سنة (692 هـ = 1293م) وعمره 50 سنة[1].

كذلك الحكيم تقي الدين أبو بكر بن يوسف بن محمد الحكيم، من الرؤساء الفضلاء، الأثرياء، أوصى بثلث ماله يوقف على الصدقة، وفكاك الأسرى المسلمين، توفى سنة (697 هـ = 1298م) [2].

ومن ألمع الشخصيات التي اهتمت بفكاك الأسرى واعتنت بهم مظفر الدين ابن الحاجب عز الدين أبو الفتح عمر بن محمد بن منصور الأرميني الدمشقي ولد سنة (699 هـ = 1300م)عرف بالهمة والخير الوفير والذكاء المفرط كان جواداً كثير المعروف قيل قَلّ من أنجب مثله في زمانه، فكان له في فعل الخير عجائب ينزل كل يوم في كل قناطر مقنطرة من الخبز يفرقها على المحتاجين في عدة مواضع من بلده، وكانت الناس تجتمع على بابه فيدفع لكل واحد كسوة على حسب الفصل إن شتاء أو صيفاً، وقد بني أربع خانقات لكبار السن والعميان، وكان يشرف بنفسه كل يوم اثنين وخميس عصراً، عليهم ويدور بينهم ويبسطهم، ويمزح معهم، وبنى داراً للنساء الأرامل و للأيتام ورتب لهم جماعة من المرضعات، وبنى بيمارستان للمرضى وكان يزورهم ويسأل عن حالهم، وكان يبعث أمناءه في العام مرتين بمبلغ مائتي ألف دينار إلى بلاد الساحل يفتك بها الأسرى، وينتظر قدوم الأسرى بنفسه فإذا وصلوا أعطى كل أسير مالاً، وإن لم يكن، يوصي الأمناء من رجاله لإعطائهم، وأوقف أوقافاً كثيراً للأسرى وفكاكهم، توفي في سنة (737هـ = 1337م) وعمره ثمانٍ وثمانون سنة رحمه الله [3].

وأيضاً سنجر بن عبد الله الأمير الكبير علم الدين الجاولي ولد سنة (653 هـ = 1255م) تنقل بين مصر وحماة وغزة وله أوقاف جليلة وعظيمة ومن أوقافه جامع بالقدس والخليل، وغزة ووصف أيضاً بالحسن، وفي القاهرة بني مدرسة وخانقاه، وقيل إنه أوقف جميع أوقافه الكثيرة على أهل الخير والبر والعلماء والمأسورين، ولم يبق قبل وفاته له شيء فقد أوصى بكل أملاكه أن توقف على المحتاجين توفي سنة (745 هـ = 1344م) [4].

---

(1) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج2، ص371.

(2) الصفدي: الوافي بالوفيات ، ج3، ص418.

(3) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج10، ص153؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب. ج3، ص137 ، 140.

(4) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج7، ص144؛ الذهبي: سير، ج21، ص492.

المبحث الثالث

جهود النساء في تحرير الأسرى

قامَتِ النساء في حروب المسلمين ضدَّ الروم والفرس بدورٍ بارز، فقد قمنّ بمداواة الجرحى من المقاتلةِ وتمريضهم، كما تولتْ النساء دفن الشهداء في المعركة، وأعظم من ذلك ما قمن به من قتال شديد مع المسلمين وإنقاذ النساء من الأسر، كما فعلت أم الزبير صفية بنت عبد المطلب عمة النبيﷺ الهاشمية[1] في موقعة الخندق سنة (5 هـ / 627م) حيث كان المسلمون يقاتلون الأحزاب المشركين على حدود المدينة، وكان النساء جميعهن في حصن حسان بن ثابت[2]، وإذ بيهودي قد تسللَ غدراً إلى الحصن، وكان يجولُ حول الحصن ويتجسس على بابه فرأته صفية عمة الرسول ﷺ – رضي الله عنها– وها هي تروي قصة ما حدث حيث قالت: (كنت في حصن حسان بن ثابت وإذا بيهودي يطيف بالحصن والمسلمون يضربون في نحور عدوهم، فقالت لحسان: إن هذا لا آمنه أن يدل على عورتنا فقم فاقتله، فقال: يغفر الله لك قد عرفت ما أنا بصاحب هذا، فتسللت من الحصن وأخذت عموداً وضربت به اليهودي حتى قتلته) [3]، وحمت نساء المسلمين من الأسر وقيل عندما همّ أن يدخلَ عليهنّ قامت صفية –رضي الله عنها– وقتلتهُ ثم قطعت رأسهُ وقالت لحسان: قمْ واطرح رأسهُ على اليهودِ فهم تحت الحصن، قال: والله ما ذاك فعلي، فأخذتْ رأسه فرميتْ به عليهم، فقال اليهود: (قد علمنا والله إن هذا لم يكن ليترك أهله خلوفاً ليس معهم أحد) فتفرقوا [4].

---

(1) هي صفية بنت عبد المطلب شقيقة حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء، وأم حواري رسول الله ﷺ الزبير بن العوام ، أمها من بني زهرة، تزوجها الحارث أخو أبو سفيان متوفى عنها، وتزوجها العوام أخو أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها – فولدت له السائب والزبير، وعبد الكعبة، وما أسلم من عمات الرسول ﷺ سواها، توفيت سنة(201 هـ = 816م)، وعمرها 73 سنة ودفنت بالبقيع.الذهبي: سير، ح2، ص271–272.

(2) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن زيد بن مناه بن عدي بن عمرو ابن مالك في تيم الله بن ثعلبة بن عمرو الخزرجي شاعر الرسول ﷺ وهو سيد الشعراء المؤمنين يكني أبا الوليد ويقال أبا الحسام، عاش 60 سنة في الجاهلية و 60 سنة في الإسلام، توفي عمره 120 سنة، وكان آخر حياته أعمى، وله ثلاثة أولاد عاشوا مثل عمر أبيهم، وقد وضع له رسول الله منبر في الجامعة ليدافع عنه بالشعر وكان بقول له (اهجهم وهاجيهم وجبريل معك) توفي سنة (54 هـ =674م). أبو الحسين: معجم الصحابة، ج1، ص199؛ الذهبي: سير، ج2، ص512؛ السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج1، ص223؛ أبي الوفاء: طبقات الحنفية، ج1، ص413؛ أبو الوفاء، عبد القادر بن أبو الوفاء محمد بن القرشي: الجوهرة المضيئة في طبقات الحنفية، مير محمد كتب خانه، 1ج، كراتشي، ج6، ص413.

(3) الذهبي: سير، ج2، ص272؛ صقر، عبد البديع، نساء فاضلات دار الاعتصام، مصر، 1986، ص122.

(4)م.ن، ج2، ص274.

كذلك ما قامت به أم موسى بن نصير اللخمي عندما شهدت مع زوجها معركـــة اليرمـــوك سنة (13 هـــ = 634م) حينما أدركت رجلاً من الروم يأخذ أسيراً مـــن المـــسلمين فقامـــت بقتـــل الرومي واستنفذت الأسير المسلم منه، وكانت تتفاخر بذلك وترويه، وقد أحب سماعه عبد العزيز بن مروان بن الحكم والي مصر والد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز، فيقول لها: صـــفي لنـــا مـــا حدث؟

فتقول واصفةً ما حدث: (بينما نحن في جماعةٍ من النساء فجالَ الرجالُ جولـــةً، فأبـــصرت علجاً يجرُ رجلاً من المسلمين، فأخذتُ عمودَ الفسطاطِ ثم دنوتُ منه فشرخت بـــه رأســـه وأقبلـــت أسلبه، فأعانني الرجلُ الأسير على أخذه) [1].

إن ما قامت به من التضحية في سبيل فك الأسير المسلم ليدل على قوة الإيمـــان والاهتمـــام البالغ بكل مسلم أسير في أن لا يقع في يد الأعداء، وتحريره بأي شكل من الأشكال.

وإن أروع ما قمن به وضرب به المثل في تحرير أنفسهن من الأسر عندما أســـرت الـــروم النساء قبل معركة مرج الصفر عام (14هـــ = 635م) حينما قام قائد الروم بطرس بالإغارة علـــى كتيبة معظمها نساء من قبيلة تبع وحمير وأسروهن، وكان خالد بن الوليد قد أسر جماعة من الـــروم وقائدهم بولص أخو بطرس، فكان خالد قد أطمأن قليلاً بما في يده من الأسرى، لأنـــه علـــم بـــأنهم سيفادونهم مفاداة بهم، لكن النساء الأحرار لم يرضين بالأسر وجلب العار للعرب، فقامت خولةُ بنت الأزور وهي من الأسيراتِ تخاطبهن قائلةً: (يا بنات حمير بقية تبع أترضين بأنفسكن علوج الـــروم ويكون أولاد كن عبيداً لأهل الشرك، فأين شجاعتكن وبراعتكن التي نتحدث بها عنكن فـــي أحيـــاء العرب ومحاضر الحضر ولا أراكن إلا بمعزل عن ذلك وأني أرى القتل عليكن أهـــون مـــن هـــذه المصائب). فقالتْ عفرة بنت غفار الحميرية: صدقتِ والله يا بنتَ الأزور، نحن في الـــشجاعةِ كمـــا ذكرتِ وفي البراعةِ كما وصفتِ لنا المشاهد العظام والمواقفَ الجسام غير أن السيف يحسنُ فعله في مثل هذا الوقت، وإنما داهمنا العدو على حين غفلةٍ، وما نحن إلا كالغنمِ) [2].

---

(1) العسقلاني: الإصابة، ج8، ص314.

(2) الواقدي: فتوح الشام، ج1، ص52- 54؛ البلاذري: فتوح البلدان، ج1، ص259؛ سالم عبـــد الله : نـــساء مـــن حضارتنا، ص156؛صقر: نساء فاضلات، ص98.

قالت خولة: (خذوا أعمدةِ الخيام وأوتاد الأطنابِ ونحمل بها على هؤلاء اللئــام فلعــلَ الله ينصرنا عليهم أو نستريح من معرةِ العرب) ثم تناولت كل واحدة عموداً من أعمدة الخيام و صـــحن صيحة واحدة ومضين حلقة واحدة كالدائرة حتى لا يتفرقن فيمتلكن ويتشتتن، وذهب الروم لينظــروا ما الخبر فإذا بالنسوة يهجمن عليهم، فقال بطرس (تفرقوا عنْ النسوة ولا تبذلوا فيهنّ الــسيوف ولا أحد يقتل واحدةً منهن وخذوهنَّ أسارى).

وقد حاربت النسوة حرباً ضروساً حتى قتلن 30 فارساً، وبينما هنَّ كذلك إذ أقبلــت جيــوشُ المسلمين بقيادة خالد بن الوليد وعندما رأى ذلك خالد والمسلمون تهللت أساريرهم وقال خالد: (لقــد سدن على نساء العرب إلى آخر الآبد وأزلن عنهن العار).

ثم تقدم خالد على الروم، ورأت النسوة المواكب والكتائب والأعلام والرايات فصاحت خولة (قد جاءكم النصر والفرج ورب الكعبة) فخاف بطرس وارتعدت فرائصه ورأى ضــرار أخاهــا، فقال له: (خذ أختك عني فهي مباركة عليك وهي هدية مني إليك) فدارت حرب قتل المسلمون قائــد الروم بطرس وثلاثة آلاف فارس، وبهذا تم خلاص المأسورات من الأسر، وأخبر خالد بن الوليد أبا عبيدة ما قامت به خوله بنت الأزور وغفرة وغيرهن من الصحابيات فاستبشر بنــصر الله، وأثنــى عليهن[1].

ومما يدلل على مشاركة النساء في الحروب بجانب الرجال، أنه من تــشارك فــي الحــرب يقسم لها سهماً في الغنيمة، وكان ذلك من زمن الرسول ﷺ فقد قسم الرسول ﷺ لعمته صــفية بنــت عبد المطلب سهماً يوم الخندق لقتلها يهودي وحماية عرض المسلمين من الأســر، [2] وفــي العهــد الراشدي قسم عمر بن الخطاب رضي الله عنه عطاء نساء أهل القادسية واليرموك (مائتي درهم)، وفي بعض الأحيان يزيد زيادة خاصة في عطائهن، وذلك تكريماً لمجهــود اتهــن فــي الحــروب ووقوفهن جنباً إلى جنب مع الفرسان المقاتلين يزيد من قوتهم وصبرهم على القتال، وذلــك المــال يسمى (المعاون)و وذلك زيادة لإصلاح شؤونهم وتقديراً لجهودهم وجهودهن. [3]

---

(1) الواقدي: فتوح الشام، ج1، ص52، 55؛ سالم، عبد الله: نساء من حضارتنا، ج1، ص147.

(2) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج2، ص521.

(3) الطبري: تاريخ الرسل، ج4، ص163؛ابن الأثير، الكامل، ج2، ص504؛ عواد، محمــود: الجــيش والقتــال، ص510، ص513.

وفي معركة مرج الصغر عام (14 هـ = 635م) قامت أم حكيم بنت الحارث[1]زوجة عكرمة ابن أبي جهل[2] عندما أحستْ بأن زوجها سيقعُ أسيراً في يد الأعداء، سارعتْ بقتل الرجل الروميُّ، بعمود فسطاطٍ، وقيل أنها قتلتْ يومئذٍ سبعةً من فرسان الروم[3].

لم تتوقف جهود النساء في الحروب على فكاك الأسرى، بل من لم تستطع أن تقوم بجهد عسكري كانت تقوم بجهود أخرى عن طريق أوقاف توقفها على فكاك الأسرى. مثل ما قامت به أم المقتدر بالله[4] الخليفة العباسي، عندما قامت ببناء بيمارستانات وخانقانات وقد أوقفتها على أبواب البر والثغور والمرابطين والأسرى الضعاف المساكين الذين لا يقدرون على فكاك أنفسهم من الأسر، وقيل كان دخل أملاكها في كل سنة ألف ألف دينار، وكانت تجود به كله لأوجه الخير، توفيت سنة (321 هـ = 933م) ودفنت بالرصافة[5].

كذلك صفية بنت الملك العادل من أبي بكر بن أيوب ولدت بقلعة حلب سنة (581 هـ =1185م) وصفت أنها أميرة جليلة حكمت مع ابنها العزيز بالله ست سنوات، فأنشأت المدارس وجعلتها وقفاً للمرابطين وفكاك الأسرى سنة (633 هـ = 1236م) وبنت جامعاً وخانقاه صفية خاتون سنة (635 هـ = 1238م) وقد أوقفته للفقراء والقراء والمرابطين والأسرى[6].

---

(1) أم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وأمها فاطمة بنت الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، أسلمت يوم الفتح، وتشفعت لزوجها عكرمة عند الرسول ﷺ فشفع لها الرسول ﷺ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج8، ص261.

(2) عكرمة بن أبي جهل بن عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشي، أسلم عام الفتح وهاجر إلى المدينة، وقاتل الردة مع خالد بن الوليد، واستعمله النبي على صدقات هوازن عام (11 هـ = 632 م) خرج للجهاد في الفتوحات الإسلامية على بلاد الشام، واستشهد في يوم مرج الصفر سنة (13 هـ = 634 م) العسقلاني: الإصابة، ج4، ص538.

(3) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ج4، ص99؛ الواقدي: فتوح الشام، ج1، ص218؛البلاذري: فتوح البلدان، ص162؛ يوسف، الشيخ عباس محمد حسن: المنتخب في أعلام النساء، تحقيق أحمد القطان، دار البيان، الكويت، 1410 هـ / 1990 م' ط 1، ص56.

(4) أم المقتدر بالله شعب زوجة المقتصد بالله أبي جعفر من جواري القصر أعتقها وتزوجها، تولت مع ابنها الحكم سنة (295هـ = 908م) لأن عمره 13 سنة، ولكن خلع ابنها وقتل وعذبت حتى تهب أموالها للقاهر فرفضت وقالت أوقفته لله لا أرجع فيه، ماتت سنة (321 هـ= 933م) دفنت بالرصافة. الصدفي: الوافي بالوفيات، ج5، ص208؛ الزر كلي: الأعلام، ج3، ص16

(5) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج5، ص208.

(6) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج4، ص10؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج5، ص251؛ الزر كلي: الأعلام: ج3، ص216.

الخاتمة ونتائج البحث

توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج، وفي ما يأتي بيان لأهمها :

- كانت أول قضية للأسرى المسلمين عرضت زمن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ تتعلق بأسرى غزوة بدر، وعلى أساسها بنيت القواعد الأساسية في أحكام الأسرى .
- إن تحرير العبيد المسلمين من رق العبودية وتعذيب قريش لهم ، يعد شكلا من أشكال تحرير الأسرى وخاصة أنه بهذا الفعل ينقذ مسلما من الذل والهوان، ويعيد إليه كرامته المسلوبة، وحقه في الحرية.
- أهتم الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بتحرير الأسرى وحث على فكاكهم من يد الأعداء،وهو أول من فادى الأسرى دون النظر للعدد.
- لم يهتم الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالأسرى الأحياء فقط ، بل عني بجثامين صحابته الأسرى ، حتى لايمثل بهم .
- ضرب الصحابة أروع المثل في التضحية في سبيل فكاك الأسرى المسلمين من يد الأعداء.
- تعرض الأسرى المسلمون لأشد أنواع العذاب من أجل تركهم لدينهم ،ولكن المصادر التاريخية أثبتت أن الأسرى المسلمين دافعوا عن عقيدتهم وتمسكوا بدينهم مما أدى لقتلهم صبرا.
- مدى حب الصحابة بعضهم لبعض وخوفهم على سلامة أرواح الأسرى المسلمين وتحريرهم من الأسر .
- تم فتح بلاد الهند بأمر من الحجاج بن يوسف الثقفي وذلك من أجل استغاثة شراة العلوية بالحجاج ، فأرسل سبعة جيوش لفتحها كان آخرهم محمد بن القاسم الذي تمت على يديه فتح البلاد، وقد تكلفت الدولة الأموية في ذلك أموالا طائلة حتى أنقذ الأسيرة من الأسر.
- حرص الخليفة عمر بن عبد العزيز الأموي على سلامة أسرى المسلمين، فلم يهتم بالعدد في المفاداة كذلك في صرف الأموال وشرائهم من يد الأعداء، وأقوى مثال ما قام به من تهديد بالحرب لملك الروم من أجل إطلاق سراح أسير مسلم أعمى من يد الروم ذهب بصره جراء تعذيبه من أجل تخليه عن دينه ولم يفعل.
- إصرار الخلفاء المسلمين على تحرير الأسرى وعدم بقاء أسير واحد في يد الأعداء، وهذا قد لمسناه في عهد الدولة العباسية و بالأخص في عهد أمير المؤمنين هارون الرشيد، حيث لم يبق أسير مسلم في يد الأعداء يفادى به.

- تم فتح بلاد السند بعد استغاثة شراه العلوية بالحجاج بن يوسف الثقفي واستنقاذها مـــن الأســـر وقتل حاكمها داهر.

- وا معتصماه باتت استغاثة نساء المسلمين اليوم ، وذلك لما كان لها من دوي قوي على مـــسامع الخليفة العباسي المعتصم بالله ، تم على أساسها فتح عمورية، أقوى حـــصون الـــروم تعـــادل حصانتها القسطنطينية، كما أنها تأديب من تعدى على حرمة الدم المسلم وكرامته.

- إن قوة الدولة الإسلامية جعلت أعداءها يطلبون الود منهم من خلال إرسال الأسرى المـــسلمين الذين عندهم ، وذلك لمعرفتهم مدى مكانة الأسير المسلم عند المسلمين وخاصة الخلفاء منهم.

- بالرغم من أن الدولة الحمدانية دولة شيعية. لكن أصولهم عربية شامية، لذلك وجدنا أن ســـيف الدولة الحمداني ضرب أروع المثل في فكاك الأسرى ، إلى درجة أنه رهن البدنة التـــي كـــان يلبسها من الجواهر لتحرير آخر أسير مسلم من يد الأعداء على خلاف الدولة الفاطمية، التي لم يذكر أنها فادت أسيرا مسلما من يد الأعداء، بالرغم من وجود أسرى مسلمين عنـــد الأعـــداء، وذلك أن أغلب جنودها من سكان البلاد الأصليين وهم سنة، ومعظم حكـــام الفـــاطميين كـــانوا يقتلون أهل السنة' فكان طبيعيا أن لايفا دوهم أو يسعوا لتحريرهم ؟؟؟

- لم يقصر المسلمون وقادتهم في خوض حروب من أجل الأسرى في العهد العباسي الثاني، وقـــد تميز هذا العصر بعمليات فداء واسعة النطاق للأسرى سياسية أكبـــر منهـــا عـــسكرية، وذلـــك لسيطرة بني بويه الشيعة على الخلفاء العباسين في تلك الفترة واستلامهم زمام الأمور،وضـــعف الخلفاء أمام سطوتهم.

- بالرغم من تعدد الدويلات الإسلامية المستقلة في الحكم عن الدولة العباسية، إلا أنه كانت هنـــاك جهود سياسية وعسكرية من قبل تلك الدويلات في تحرير الأسرى المسلمين من يـــد الأعـــداء ضربت بها أروع الأمثال.

- لقد وجدت جهود عسكرية جبارة في عهد الأيوبيين وخاصة في عهد السلطان صـــلاح الـــدين الأيوبي الذي كان يضع نصب عينيه تحرير الأسرى المسلمين أولا ثم البلاد ثانيا، وهذا أســـلوبه في كل بلد أو حصن يتم تحريره، وأقوى مثال عندما هدده الصليبيون بقتل قرابة أربعـــة آلاف أسير مسلم إن لم يعطهم الأمان في تحريره لبيت المقدس، رغم أنه أراد النكاية بالصليبيين لمـــا قاموا به من مجزرة بشعة بحق الأهالي عندما احتلوه، وأسسوا مملكة بيت المقدس.

- إن الحروب التي خاضها المنصور قلاوون وفتحه العديد من المدن وخاصة أقـــوى الإمـــارات الصليبية، كانت نتيجة لاستنقاذ أسرى مسلمين من يد الأعداء أو انتقاما لأسيرات مـــسلمات قـــد تمت أهانتهن من قبل الصليبيين.

- لقد استغل المماليك أسرى الأعداء وخاصة الأمراء منهم في تحرير أكبر عدد ممكن من المـــدن والقلاع ، فمن أجل أسير صليبي واحد حرر السلطان بيبرس سبعة حصون من يـــد الفرنجـــة، وذلك يدلل على عدم وجود أسرى مسلمين عند الصليبين ولـــو وجـــدوا لحـــرروا بـــدلا مـــن الحصون.
- أوجد المماليك منصب ناظر الأسرى للاطلاع بشؤون الأسرى والاهتمام بهم وهـــذا مـــايعرف اليوم بوزير الأسرى وله نفس الصلاحيات، إلا أن ناظر الأسرى يهتم بأموال الأوقـــاف التـــي توقف للأسرى، ويدلل مدى اهتمام الدولة المملوكية بالأسرى ووضعهم في سلم الأولويات فـــي الدولة،وخاصة أن المماليك كانوا عسكريين من الطراز الأول وجهدهم في تحرير بلاد الإســـلام من الصليبين والمغول سطرتها الأقلام.
- لم تكن الجهود للحكام فقط، بل وجدت جهود شعبية للعلماء والأغنياء وأيـــضا للنـــساء، لاتقـــل أهمية عن جهود الحكام، وذلك إما بخوض حرب لاستنقاذ الأسرى أو الـــسفر بأنفـــسهم لفكـــاك الأسرى من الأسر أو بوقف أموال تصرف على فكاك الأسرى ، وهذه الجهود توضـــح مـــدى عناية العامة بقضية الأسرى وتحريرهم.

التوصيات

تنحصر توصيات الباحثة في النقاط الآتية:

1. أن يولي قادة هذه الأمة الإسلامية جل اهتمامهم بقضية الأسرى والأسيرات في سجون الأعداء، وتحريرهم بكل الوسائل الممكنة سياسياً عسكرياً حتى تحرير آخر أسير من سجون الأعداء.
2. توصي الباحثة أن تكون قضية الأسرى قضية عقائدية مركزية فهي تمس أبناء الأمة الإسلامية وكرامتها ورفعتها.
3. توصي الباحثة أن تعمل عامة الشعوب الإسلامية من علماء ومثقفين أغنياء على نصرة قضية الأسرى وتحريرهم بكل الإمكانيات المقامة لديهم فإن الله مع عبده ما دام العبد في عون أخيه.
4. تولى هذه الدراسة عناية من كل الجهات الرسمية والشعبية، وجعلها ركيزة لهم في كل جهد بذله المسلمون الأوائل لتحرير أسراهم.
5. أن يولي قادة هذه الأمة اهتمامهم بأهالي الأسرى، ومساندتهم مادياً ومعنوياً والنظر بعين الرأفة والعون لهم بإرجاعهم أبناءهم إليهم، وتحريرهم من كل السجون.
6. أن تكون هذه الدراسة دافعاً للمسلمين لتحرير أسراهم من أيدي أعدائهم والاهتمام بهم وبأسرهم.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: المصادر العربية

ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني [ت : 630هـ = 1232م].

1- الكامل في التاريخ ، 10 ج ، تح أبي الفداء عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط2 ، 1415هـ = 1995م .

2- أسد الغابة في معرفة الصحابة، 5 ج ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت .

3- التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل ، تح عبد القادر أحمد طليمات ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، مكتبة المثنى ببغداد ، 1382 هـ = 1963م .

أحمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني [ت291هـ = 904 م].

4- مسند أحمد ، 6ج ، مؤسسة قرطبة، مصر، د.ط .

ابن الأزرق، محمد بن علي الأزرق [ت 250هـ = 864م]

5- بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق علي سامي النشار، منشورات وزارة الإعلام، بغداد، ط1، 1977م.

الأصبهاني، أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني [430هـ = 1038م]

6- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، المكتبة السلفية، د.ط

الأصفهاني، أبو الفرج الأصفهاني [ت : 356 هـ = 966م] .

7- الأغاني ، شرحه وكتب هوامشه ، سمير جابر ، دار الكتب العلمية – بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1412 هـ = 1991م .

الأنصاري، عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان أبو محمد [ت369هـ =980م]

8- طبقات المحدثين بأصفهان، تح عبد الغفور عبد الحق البلوشي، 9ج ، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1412هـ / 1992م.

ابن إياس، ابن إياس الحنفي

9- جواهر السلوك في أمر الخلفاء و الملوك، تحقيق د. محمد زينهم، دار الثقافة للنشر، مصر.

البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري . [ت256هـ 869م]

10- صحيح البخاري ، دار الفكر ، ط1 ، 1411هـ = 1991م .

البكري أبو عبيد، عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي [ت :487هـ=1092م]

11- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1403 هـ = 1982م .

البلاذري، الإمام أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، أبو العباس، البلاذري[ت : 279 هـ= 892م]

12- فتوح البلدان ، تحقيق رضوان محمد رضوان ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1403 هـ = 1982م .

13- أنساب الأشراف، تحقيق وتقديم ، سهيل زكار الزركلي ، دار الفكر، بيروت لبنان ، ط1 1417هـ = 1996م .

البيهقي ، أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي [ت 458هـ = 1066م]

14- شعب الإيمان ،تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، 8 أجزاء ، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1،1410هـ.

الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي [ت279هـ = 892م].

15- سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، وآخرون، 5أجزاء، دار أحياء التراث العربي، بيروت، د.ط.

ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي [ت : 874 هـ = 1469م] .

16- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، مصر ، د.ط.

تقي الدين، محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه الأيوبي. [ت 617هـ = 1219 م]

17- مضمار الحقائق وسر الخلائق، تحقيق حسن حبشي، جزء واحد، عالم الكتب، القاهرة، د.ط .

التميمي ، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي [ت: 354هـ = 965 م]

18- مشاهير علماء الأنصار ، تحقيق م. فلايشهمر ، دار الكتب العلمية ، بيروت،د.ط ، 1959م .

ابن جبير ، محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي أبو الحسين ، [ت : 614هـ = 1217م]

19 - رحلة ابن جبير ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، دار الكتب المصري ، مصر ، ج 1 ، د.ط.

ابن الجوزي ، أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي [ت : 597 هـ = 1200م]

20- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، دراسة وتح محمد عبد القادر عطا ، مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ، ط1 ، 1412 هـ = 1992م .

ابن حزم ، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد [ت456هـ = 1063]

21- المحلى، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 11ج، لجنة أحياء التراث العربي، د. ط.

الحسني، أبو المحاسن الحسني [ت 765هـ = 1238م].

22- ذيل تذكرة الحفاظ، تح حسام الدين القدسي ، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.

أبو الحسين ، محمد بن أبي يعلى أبو الحسين [ت: 531هـ = 1137 م]

23- طبقات الحنابلة ، تح محمد حامد الفقي ، 2ج ، دار المعرفة ، بيروت ،د.ط .

أبو الحسين ، عبد الباقي بن قانع أبو الحسين ، [ت:531 هـ = 1137 م]

24- معجم الصحابة ، تح صلاح بن سالم المصراتي ، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، 3ج، ط1 .

الحميري، محمد بن عبد المنعم الحميري [900هـ = 1495م]

25- الروض المعطار في خبر الأقطار، تح إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، 1405هـ / 1984م.

ابن حوقل، أبي القاسم بن حوقل النصيبي [ت380هـ = 990 م].

26- صورة الأرض، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة،(بدون) ط.

ابن خرداذبة ، ابن خرداذبة

27- المسالك والممالك ،تحقيق محمد مخزوم ، دار أحياء التراث العربي، بيروت، 1988م/ .

ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون [ت : 808 هـ = 1406م]

28- تاريخ ابن خلدون ، المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومـــن عاصـــرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة خليل شحادة ، سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، 1421 هـــ = 1984م .

29- المقدمة ، دار القلم ببيروت ، ط5، 1405هــ = 1984م

الخرساني، أبو عثمان سعيد بن منصور [ت227هــ = 842م].

30- كتاب السنن، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الدار السلفية، الهند ،د.ط .

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان [681 هــ = 1282م]

31- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان تح إحسان عباس، دار صادر ، بيروت ، د.ط.

خليفة بن خياط ، أبو عمرو خليفة بن خياط

32- تاريخ خليفة بن خياط ، ، مراجعة وضبط الدكتور ، مصطفى نجيب فواز ، الدكتورة حكمـــت كشلي فواز ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ط1 ، 1415 هــ = 1995م .

أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي [ت275هــ = 892م].

33- سنن أبي داود، تحقيق فخر الدين محي الدين عبد الحميد، 4ج، دار الفكر، بيروت،د.ط .

الدرامي، عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد [ت 255هــ = 869م].

34- سنن الدرامي، تح فواز أحمد رمزي، خالد السبع العلمي، 2ج، دار الكتاب العربي، بيـــروت، ط1، 1407هــ .

الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي [ت : 478هــ = 1347م]

35- العبر في خير من غبر ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مطبعة حكومة الكويـــت - الكويـــت ، ط2 1368هــ = 1948م .

36- سير أعلام النبلاء ، تح شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقوس ، مؤسسة الرســـالة بيـــروت ،ط1413,1هــ =1922م .

37- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تح عمر عبد السلام تدمري دار الفكـــر العربـــي، ط1 ، 1412هــ = 1993م .

38- الكبائر ، القاهرة ، دار الدراسة ، 2006 .

39- المعين في طبقات المحدثين، تحقيق د. همام عبد الرحيم ســعيد، دار الفرقــان عمــان، ط1، 1404هـ ، جزء واحد.

الرازي، عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي [327 هـ = 938م]

40- الجرح والتعديل مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند ط1 د.ت.

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي [ت: 721هـ = 1321م]

41- مختار الصحاح، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان، ناشرون بيروت، 1415 هـ = 1995م

أبي رافع ، أبي العباس أحمد بن حسن بن علي الخطيب [809هـ = 1406م].

42- الوفيات، عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، ط2، بيروت، 1978م.

الربعي، محمد بن عبد الأحمد بن سليمان بن زبر الربعي ، [ت : 397هـ = 1007م].

43- مولد العلماء ووفياتهم ، تح عبد الله أحمد سليمان الحمد ، دار العاصــمة ، الريــاض ، ط2 ، 1410 هـ ، ج2 .

الزركلي ، خير الدين الزركلي ، [720 هـ = 1320م] تقريباً .

44- الأعلام ، دار العلم للملايين ، ط10 ، بيروت 1992 .

ابن زنجويه، أبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله الخرساني. [ت 251هـ = 865 م]

45- الأموال ،تح شاكر ذيب فياض ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1406 هـ .

السبكي، أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ، [ت 771هـ = 1371 م] .

46- طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق د.عبد الفتاح محمد الحلو د. محمود محمد الطناحي ، هجــر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، الجيزة ، ط2 ، 1992م .

السخاوي، شمس الدين السخاوي [ت 952هـ = 1546م].

47- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، تحقيق عزيز الله العطــاري، دار الكتــب العلميــة، بيروت، 2ج، ط1، 1993م.

السر خسي، محمد بن أحمد السر خسي [ت 490هـ = 1105م]

48- شرح السير الكبير ،تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة، 1957م، د.ط .

ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري [ت : 230 هـ = 844م]

49- الطبقات الكبرى ، دار صادر بيروت لبنان ط،1 د.ت

السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور [562هـ = 1167م].

50- التحبير في المعجم الكبير، تح منيرة ناجي سالم،

السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد [ت581هـ = 1185م].

51- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق عبد السلام السلامي، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1421هـ / 2000م.

السيد سابق، السيد سابق

52- فقه السنة ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، المجلد الثالث .

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي [ت :911 هـ = 1505م]

53- تاريخ الخلفاء ، تح محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة مصر ، ط1 ، 1371 هـ = 1952م .

54- طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1403هـ .

الشافعي، محمد بن أدريس الشافعي [ت 264هـ = 878م]

55- الأم، دار المعارف، بيروت، ط2، 1393هـ ، 8 أجزاء.

ابن شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي ، [ت: 665هـ = 1267م]

56- الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق إبراهيم الزيبق ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1418هـ = 1997م .

ابن شداد ، عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم بن شداد .

57- الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، تح يحيى زكريا عبارة ، منشورات وزارة الثقافة دمشق ، 1412 هـ = 1991م .

أبو شامة، أبو المحاسن بهاء الدين يوسف بن رافع (ت632هـ/1234م)

58- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ،تح إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1997م.

أبو شهبة، أبو بكر أحمد بن محمد بن عمرو بن شهبة القاضي [ت851هـ = 1447م].

59- طبقات الشافعية ، تحقيق عبد الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، 4ج، ط6، 1407ه .

الشهرستاني، أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر [ت548هـ = 1153م].

60- الملل و النحل، تح محمد سيد كيلاني، مكتبة المصطفى، القاهرة، ط1، 1396هـ / 1976م.

الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد بن الشوكاني

61- فتح القدير، الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير، دار الفكر، بيروت، 15ج، د.ط.

الشيباني، أحمد بن عمرو بن الضحاك أبو بكر الشيباني [ت287هـ = 900م].

62- الآحاد والمثاني، تح باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية، ط1، الرياض، 1411هـ = 1991م.

الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك [ت 764 هـ = 1237 م]

63- الوافي بالوفيات ، تح هلمت ريتر، 8 ج ، دار صادر ، بيروت 1962م، 1971م

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني [ت360هـ = 970 م]

64- المعجم الصغير، تح محمد شكور مريد، المكتب الإسلامي، بيروت، دار عمار، عمان، 1405هـ/ 1985م.

65- المعجم الكبير، تح حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، 20 ج، ط2، 1407هـ/ 1983م.

الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري [ت : 310 هـ = 922م]

66- تاريخ الرسل والملوك ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1 1407 هـ = 1986م

67- تكملة تاريخ الطبري ، تحقيق ألبرت يوسف كنعان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ، ط1، 1958م .

الطبري، أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن محمد [ت694هـ = 1290].

68- الرياض النضرة في مناقب العشرة ، عيسى عبد الله محمد مانع الحميري ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ،2ج، 1996م .

ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد أبو عمر [ت : 463 هـ = 1071 م]

69- الإستيعاب في معرفة الأصحاب ،تح الشيخ علي عوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ/ 1995م.

ابن عبد الحكم، الوكيل أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله [ت257هـ =871م]

70- فتوح مصر والمغرب،تحقيق عبد المنعم عامر، الهيئة العامة لقصور الثقافة.

71- سيرة عمر بن عبد العزيز على مارواه الإمام مالك بن أنسو أصحابه، تح أحمد عبيد، مكتببة وهبة، عابدين، ط2، 1373هـ/ 1954م.

ابن العديم ، الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة [ت :660هـ = 1261 م]

72- بغية الطلب في تاريخ حلب ، تح وقدم له سهيل زكار ، دار الفكر العربي بيروت لبنان د. ط.

ابن العربي ، أبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابي العربي [ت 543هـ = 1148 م]

73- أحكام القرآن ،تح محمد عبد القادر عطا، دار الفكر، بيروت، د.ط.

ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي [571هـ = 1175م]

74- المعروف بابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ،تح محب الدين أبي سعد عمر بن غرامه العمروي ، دار الفكر ، ط1 ، 1418هـ = 1997م .

العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي [ت:852هـ = 1448م] .

75- الإصابة في معرفة الصحابة ، تح علي محمد البجاوي، دار الجبل ، بيروت ، ط1 ، 1412 هـ = 1992م .

76- تهذيب التهذيب ، 14ج، دار الفكر، بيروت، ط1، 1404هـ = 1984م.

77- فتح الباري ،تح محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، 13 ج، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ .

العسقلاني، شافع بن علي الكاتب [ت 730هـ = 1333م]

78- الفضل المأثور في سيرة السلطان الملك المنصور، تح عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د.ط.

العصامي ، عبد الملك بن حسين عبد الملك الشافعي العصامي [ت : 1111 هـ = 1699م]

79- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، تح عادل أحمد عبد الوجود ، علـــي محمـــد عوض ، دار الكتب العلمية، بيروت 1419هـــ = 1998م .

علي الكوفي، علي بن حامد بن أبي بكر [ت 613هـــ = 1216م].

80- فتح السند "ججنامة"، تح سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، د.ط.

ابن العماد الأصبهاني ، العماد الكاتب الأصبهاني [ت: 597 هـــ = 1200م]

81- الفتح القسي في الفتح القدسي ، تح ، محمد محمود صبح ، دون تاريخ .

ابن العماد الحنبلي ، عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي [ت:1089هـــ = 1678 م]

82- شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 4ج ، د.ت .

العيني، بدر الدين محمود بن أحمد بن عيسى [ت855هـــ=1455م]

83- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، دار الكتب المصرية، 25ج، د.ط.

أبو الفداء ، إسماعيل أبو الفداء الأيوبي [ت 732هـــ = 1332 م].

84- المختصر في أخبار البشر،دار الكتاب ،القاهرة، ط1.

ابن قدامه ، عبد الله بن أحمد بن قدامه المقدسي أبو محمد [ت 620هـــ = 1223 م]

85- المغني ،10 ج، دار الفكر، بيروت، ط1، 1405هـــ .

القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي [ت: 671هـــ = 1272م]

86- تفسير القرطبي ، تحقيق أحمد عبد العلـــيم البردونـــي، 20 ج، دار الـــشعب، القـــاهرة، ط2، 1372هـــ .

القلقشندى ، أحمد بن علي القلقشندى [ت: 821هـــ = 1418م] .

87- مآثر الإناقة في معالم الخلافة ، تح عبد الستار أحمد فراج عـــالم الكتـــب ، بيـــروت ، ط1 ، 1384 هـــ = 1964م .

ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر[ت751هـــ=1350م]

88- زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب وعبد القادر الأرناؤوط ، مؤســـسة الرســـالة ، بيروت ، 1402هـــ

الكتبي ، محمد بن شاكر الكتبي [ت: 764هـــ = 1363م]

89- فوات الوفيات ، تح إحسان عباس ، دار صادر بيروت، 1394 هــ = 1974م .

ابن كثير ، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء [ت: 774هــ = 1372م]

90- البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ، لبنان ، ط1، د.ت .

91- تفسير ابن كثير،4أجزاء،دار الفكر، بيروت، 1401هــ، د. ط.

ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني [ت275هــ = 888 م]

92- سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، 2ج، دار الفكر، بيروت، د.ط.

مالك بن أنس، أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي [ت179هــ= 795م]

93- المدونة الكبرى، 6أجزاء، بيروت، دار الفكر،د.ط.

94- موطأ مالك، تح محمد فؤاد عبد الباقي، 2ج، دار أحياء التراث العربي، القاهرة،د. ط.

ابن ماكولا ، علي بن هبة الله بن نصر [ت 475هــ = 1083م]

95- الإكمال ،5ج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هــ .

الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن نجيب البصري [ت450هــ= 1058 م]

96- الأحكام السلطانية و الولايات الدينية،دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1405هــ/ 1985م.

المزي، يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي [ت792هــ/ 1391م].

97ــ تهذيب الكمال، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، 35ج، ط1، 1405هــ/ 1985م.

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي [ت: 346هــ = 957م]

98- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، شرحه وقدمه مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1406 هــ = 1996م .

مسلم، الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري [ت 261هــ = 875 م]

99- صحيح مسلم ،طبعة كاملة لونان منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيــروت، ط1، 1421هــ/2001م.

المقدسي ، محمد بن أحمد المقدسي [ت: 390هــ = 999م]

100- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، تح غازي طليمات ، وزارة الثقافة والإرشـــاد القـــومي ، دمشق ، 1401هـــ = 1980م .

المقدسي ، المطهر بن طاهر المقدسي [ت: 507هـــ = 1113م]

101- كتاب البدء والتاريخ ، مكتبة الثقافة الدينية ، د.ط.

المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي[ت 845هـــ= 1441م]

102- كتاب المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار، المعروف بـــالخطط المقريزيـــة، تحقيـــق مصطفى زيادة، دار صادر، بيروت، ط1، 1970م.

103- السلوك لمعرفة دول الملوك ، تح مصطفى زيادة ، دار الكتـــب المـــصرية، 1970م، ســـتة أجزاء. .

104- اتعاظ الحنفا في أخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تح جمال الدين الشيال ، دار الفكر العربي ، 1367هـــ = 1948م .

ابن منذر، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري [ت319هـــ = 931م].

105- الأوسط في السنن والإجماع والإختلاف، تح أبوحماد الصغيرا، أحمد بن محمد حنـــف، دار طيبة، الرياض، ط6، 1405هـــ / 1985م.

ابن منقذ ، أبو العباس احمد بن حسن بن علي بن الخطيب الشهير بـــابن منقـــذ [ت 810 هـــــ = 1408 م]

106- الوفيات، تحقيق عادل نويهض ، منشورات دار الافاق الجديدة ، بيروت ، ط3، 1400 هـــــ =1980 م.

ابن منظور ، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ابن منظور [ت: 711هـــ = 1311م]

107- لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، د.ت .

108- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ، تح إبراهيم صال، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيـــع ، دمشق ، ط1 ، 1408هـــ = 1988م .

النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي [ت 303هـــ = 915 م]

109- السنن الكبرى، تح عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حـــسن، دار الكتـــب العلميـــة، بيروت، 1411هـــ/ 1991م، ط1.

110- المجتبي، تح عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط2، 1406هـ / 1986م.

النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، [405هـ = 1014م].

111ـ المستدرك على الصحيحين، تح مصطفى عبد القادر عطا، 4ج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ/ 1990م.

ابن هشام ،أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري [ت 213هـ = 828م].

112- السيرة النبوية ،تح طه عبد الرؤوف سعد ، دار الجيل، بيروت، 1975م.

ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم [ت 697هـ = 1298م]

113- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تح جمال الدين الشيال، القاهرة، ط1، 1994م.

الواقدي ، أبو عبد الله بن عمر بن واقد [ت 207هـ = 822م].

114- المغازي ،تح مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت، د. ط.

115- فتوح الشام ، دار الجيل ،بيروت ، لبنان ، 2ج ، د. ت .

أبو الوفاء، أبو عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن القرشي[ت775هـ = 1373م].

116- الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، تح محمد حامد الغفي، دار النشر سمير محمد كتب خانة، كراتشي، ط1، 1407هـ.

وليم الصوري

117- تاريخ الحروب الصليبية الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، نقله للعربية د. سهيل زكار، 2ج، دار الفكر، ط1، 1410هـ، 1990م

ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله [ت:626هـ = 1228م]

118- معجم البلدان ، دار الفكر ، بيروت ، د.ط.

اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر العباس [ت: 282هـ = 895م]

119- تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت ، د.ط..

أبو يعلى، محمد بن الحسين الفراء الحنبلي [ت 458هـ = 1065م]

120- الأحكام السلطانية، تح محمد حامد الفقي، دار الكتب العلميــة بيــروت، ط6، 1403هـــــ / 1983م.

أبو يعلى، الخليل بن عبد الله بن أحمد القزويني [ت446هــ = 1054م].

121- الإرشاد في معرفة علماء الحديث، تح محمد سعيد عمر إدريس، مكتبة الرشـــد ، الريـــاض، 3ج، ط1، 1409هــ.

ثالثاً: قائمة المراجع:

الحسن ، عيسى

1- الدولة الأموية، عوامل البناء وأسباب الانهيار، مكتبة بيروت، ط9، 2001م.

حسين، حسن عبد الوهاب

2- تاريخ جماعة الفرسان النيوتون في الأراضي المقدسة، تقديم د. جوزيــف نــسيم يوســف، دار المعرفة الجامعية، مصر الإسكندرية، ط6، 1988م.

الحميدة، سالم محمد

3- الحروب الصليبية عهد الوحدة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط1، 1993م.

الخضري، محمد بك

4- الدولة الأموية محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية، تدقيق أ. نجوى عباس، مؤسسة المختـــار، 2003م.

5- الدولة العباسية محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية، تدقيق أ . نجوى عباس، مؤسسة المختار للنشر، ط1، 1424هــ/ 2003م.

خفاجي، عبد المنعم شرف عبد العزيز

6- معارك فاصلة في التاريخ الإسلامي، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1409هـــــ/ 1989م، ط2، 1412هــ / 1992م.

رنسيمان، ستيفن

7- تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة د. السيد الباز العريني، بيروت، 1967م.

الزبيدي، فخري

8- الموجز المنتخب في حوادث وأخبار هارون الرشيد ودولة وجند العرب في خلافة بني العباس، دار اليوسف، بيروت، ط1، 2004م.
زيادة، محمود
9- الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه، دار السلامة للطباعة، ط6، 1429هـ/ 2008م.
رسالة دكتوراة.
سالم ، عبد الله
10- نساء من حضارتنا، مؤسسة الريان، ط1، 1414هـ/ 1993، الكويت.
سالم، السيد عبد العزيز، سحر عبد العزيز
11- تاريخ الأيوبيين و المماليك، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1999م.
أبو سعيد ، أ. د حامد غنيم
12- الجبهة الإسلامية في مواجهة المخططات الصليبية، دار السلام القاهرة، 1428هـ/ 2007م، ط1.
الشكعة ، مصطفى
13- سيف الدولة الحمداني أو مملكة السيف ودولة القلم، عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبي، القاهرة، ط2، 1314هـ/ 1977م.
شكيل، هادية دجاني
14- القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني العسقلاني، ودورة في التخطيط في دولة صلاح الدين وفتوحاته
الشيخ، عباس محمد يوسف
15- المنتخب من أعلام النساء، تقديم الشيخ أحمد القطان، دار البيان الكويت، 1410هـ/ 1990م، ط1.
الشيخ ، محمد
16- تاريخ الحروب الصليبية، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، 1413هـ/ 1993م.
صقر، عبد البديع
17- نساء فاضلات، دار الاعتصام للطباعة و النشر، مصر، القاهرة، 1986م.
الصلابي، د. علي محمد الصلابي
18- عصر الدولة الزنكية و نجاح المشروع الإسلامي، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط1 1427هـ/ 2006م.
19- دولة السلاجقة، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط1،1428هـ/2007م.

20- السيرة النبوية، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط1،1424هـ/ 2003م.
طقوش، محمد سهيل
21- تاريخ المماليك في مصر و بلاد الشام، دار النقاش، القاهرة، ط1، 1418هـ/ 1997م، ط2، 1420هـ/ 1999م.
عاشور، سعيد عبد الفتاح
22- أوروبا العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، ج1، ط6، 1991م.
عدوان، أحمد
23- الدولة الحمدانية، دار المنشأ، ط1، 1981م.
العدوي ، إبراهيم
24- الأمويون والبيزنطيون البحر الأبيض المتوسط بحية إسلامية، دار رياض الصالحين، ط1، 1414هـ/ 1994م.
العسلي، بسام
25- قتيبة بن مسلم الباهلي، مشاهير قادة الإسلام، دار النفائس، ط6، 1425هـ/ 2001م.
عواد، محمود أحمد حمد سليمان
26- الجيش والقتال في صدر الإسلام، مكتبة المنار، الأردن الزرقاء، ط6، 1407هـ/ 1987م. رسالة ماجستير.
فوزي ، فاروق عمر
27- الثورة العباسية دراسة تاريخية لواجهاتها الدينية و السياسية و لدور العرب في نجاحها، دار الشروق، عمان الأردن، 2001م.
28- التدوين التاريخي عند المسلمين، مركز زايد، الإمارات العربية، ط3، 1423هـ/ 2002م.
الكيلاني، د. ماجد عرسان
29- هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، دار القلم، الإمارات العربية ، ط3، 14238ـ/ 2002م.
الوكيل ، محمد
30- جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين، دراسة وصفية تحليلية لأحداث هذه الفترة، دار المجتمع للنشر، مؤسسة الاعتصام، ط6، 1406هـ/ 1986م، السعودية جدة.

رابعا: الرسائل العلمية الغير منشورة:

31- الملك المعظم عيسى (576 - 624 هـ = 1180 - 1227م) . سياسته الداخلية والخارجية، رسالة دكتوراه ، إعداد رياض مصطفى أحمد شاهين ، إشراف أ.د. بشير إبراهيم بشير، جامعة الخرطوم ، السودان ، 1415هـ = 1994م .

32- السياسة الداخلية لعمر بن عبد العزيز ، رسالة ماجستير ، إعداد الطالب رياض مصطفى أحمد شاهين ، إشراف د. محمد عبد القادر خريسات ، الجامعة الأردنية ، 1410هـ = 1990م .

33- مسلمة بن عبد الملك حياته وجهاده (62 - 121هـ) ، رسالة ماجستير ، إعداد الطالب عبد القادر جبارة محمد الأسطل ، إشراف د. خالد يونس الخالدي ، الجامعة الإسلامية ، غزة ، 1428هـ = 2007م .

34- النظام العسكري لدولة المماليك (648- 923هـ / 1250- 1517م) ، رسالة ماجستير، إعداد الباحث هاني فخري عطية الجزار، إشراف أ.د رياض مصطفى شاهين، الجامعة الإسلامية غزة، 1428ه=2007م.

35- غزة والداروم ودورهما في الصراع الصليبي الإسلامي (492-690/1099-1291م) ، رسالة دكتوراة، إعداد الباحث حسن إبراهيم حسن المسحال، إشراف أ.د علية عبد السميع الجنزوري، د. عصام ناجي سيسالم، جامعة الأقصى فلسطين، وجامعة عين شمس بالقاهرة، 1424ه=2003م.

خامساً: المجلات والدوريات العلمية:

36- شبير، محمد عثمان: أحكام الأسرى في الفقه الإسلامي ،مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، الكويت، 1425 هـ ، 2004م ، العدد56.

37- خربوطلي، شكران: الأسرى ومعاملتهم من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر النبوي، مجلة دراسات تاريخية، العددان 89، 90،آذار، مجلد4، 2005م.

Abstract

The purpose of this dissertation is to demonstrate the different efforts made by Muslims to free their Prisoners of War during the period from the first year after Hijra to the year 692 AH . This was covered through an introduction chapter followed by three chapters and a conclusion.

The dissertation presented a very novel idea that freeing slaves that had converted to Islam in the early days from the tyranny of their enslavers was a form of prisoner freeing. However, the first real prisoner experience for Muslims was after the battle of Badr in which the basics of dealing and treating the detainees were established. There is a good emphasis on how the Prophet Mohammad had a strong concern in freeing and swapping prisoners of war , not only the living, but also the remains of his soldiers.

Through the chapters, the reader feels this spirit that the different Muslim leaders had inherited from their Prophet . There are different amazing examples of how they put enormous efforts and sacrifices to free their prisoners. Indeed it was a priority for them that had lead to starting wars over this aim particularly. Here, the author states that India was concurred by Muslims on the orders of Al Hajaj Bin Yousef in response to a call of help from a Muslim female prisoner. Another example is the famous (Wa Mo'tasemah) shout by another female Muslim lady that led to the conquest of Amourya during the Abbasid era.

The dissertation also presents the different approaches made in order to reach this goal; either by the prisoners themselves or through material compensations or by prisoner swapping. It shows also how this priority was less important in during the Fatimid era being Shiites and not deing really concerened with Sunni prisoners.

This priority was put under intense light during the Crusade wars, especially under Salah Aldeen Al Ayuby rule where his first and foremost concern was to fight to free Muslim prisoners rather than to conquer and regain Muslim lands. Al Mamlouk dynasty had even captured crusaders to use them for military and political

gains which shows how important this subject was and how mature the Islamic state had become in dealing with it that they even had established a separate ministry for Prisoners of War that took care of the prisoners and their families welfare.

In the third and last chapter of this dissertation, the author demonstrates how these efforts were not exclusive to the leadership and how the community had participated in the process of freeing their war prisoners. The Prisoners of War were and still are a public affair that the leadership as well as the community should be involved in the duty of freeing them.

المحتويات